مدخل الى علم التصنيف
في المكتبات

اعداد برجس عزام
ماجستير في فن الأرشيف
وتنظيم المكتبات

مراجعة
الدكتور ماجد علاء الدين

مدخل إلى علم التصنيف
في المكتبات

الطبعة الأولى ـ ١٩٨٦
النسخ / ٢٠٠٠ /

الناشر: الدكتور ماجد علاء الدين

الاخراج: فراس بهنسي

تصميم الغلاف: ناصر الحجلي

تنفيذ مكتب الخدمات الطباعية

طبع في مطابع الصباح

مدخل

اعتمدت في إعداد الكتاب الذي يحمل العنوان «مدخل الى علم التصنيف في المكتبات»، على المراجع التالية:

١ ـ أوديت بدران. التصنيف في المكتبات.

أوردت السيدة بدران في الفصل الأول من كتابها المعلومات التي تتعلق بـ: تصنيف المواد المكتبية. التصنيف. تاريخ التصنيف.

وكان الفصل الثاني حول نظام تصنيف ديوي العشري.

٢ ـ محمد ماهر حماده. علم المكتبات والمعلومات.

خصص الدكتور حماده الفصل السابع من كتابه للتصنيف: تعريفه. أهميته. أسس اختيار أحد أنظمته.

وكتب في هذا الفصل أيضاً عن بعض أنظمة التصنيف مثل: تصنيف ديوي العشري. تصنيف مكتبة الكونغرس الاميركية. تصنيف كتر التوسعي.

٣ ـ عبد الكريم الأمين (وآخرون). مبادىء الفهرسة والتصنيف. الجزء الأول والجزء الثاني.

في الفصل الأول من الجزء الأول نجد بعض المعلومات عن: العرب وحرفة التصنيف. جهود العرب في تصنيف العلوم. التصنيف في القرن السابع عشر والثامن عشر.

كما نجد أيضاً معلومات مختصرة عن بعض أنظمة التصنيف مثل: تصنيف كتر. تصنيف مكتبة الكونغرس الاميركية. التصنيف العشري العالمي. تصنيف براون. التصنيف الببليوغرافي. تصنيف الكولون.

وفي الفصل الثالث من الجزء الأول، تطرق المؤلف الى الكلام عن الرموز، عن نظام تصنيف ديوي العشري وعالج الفصل الثالث من الجزء الثاني التصنيف العشري العالمي.

٤ ـ أحمد بدر. دراسة في المكتبة والثقافتين.

تحدث الدكتور بدر في الباب الثالث من كتابه عن تصنيف المعرفة والكتاب، فكتب في الفصل الثالث من الباب الثالث عن الأصول التاريخية والاجتماعية لعلم تصنيف الكتاب. وفي الفصل العاشر من نفس الباب، كتب عن تصنيف ديوي بين تأثير بيكون وفلسفة هيجل.

اما الفصل الحادي عشر من الباب الثالث فكان حول تصنيف العلوم عند العرب.

٥ ـ محمود أحمد اتيم، أسس التصنيف والتصنيف العملي.

كتب السيد اتيم في الفصل الأول من كتابه عن التصنيف: تعريفه، أغراضه، وظائفه.

وخصص الفصل الثاني لتاريخ التصنيف. أما الفصل الثالث فقد عالج: الأقسام الرئيسية، وأقسام القسم الرئيسي في أنظمة التصنيف العامة. الرمز، الكشاف، عناصر نظام التصنيف العام،المبادىء العامة للتصنيف العملي.

وخصص الفصل الرابع والخامس والسادس بالتتالي لـ:

- نظام تصنيف ديوي العشري.
- نظام التصنيف العشري العالمي.
- نظام تصنيف مكتبة الكونغرس.

وكان الفصل السابع حول أنظمة التصنيف الخاصة.

٦ ـ يوسف داغر. دليل الاعارب الى علم الكتب وفن المكاتب.

كان عنوان الفصل الأول من كتاب السيد يوسف داغر «مباحث عامة في تنسيق العلوم والكتب».

أشار المطلب الأول من هذا الفصل إلى نشأة المعارف البشرية، والمطلب الثاني إلى تنسيق العلوم، والمطلب الثالث إلى تنسيق الكتب. ويقصد المؤلف بكلمة تنسيق التصنيف. وتطرق المؤلف في المطلب الثاني من الفصل الثاني إلى تنسيق العلوم والكتب عند العرب. وخصص المطلب الثالث لطاش كبري زاده وكتابه مفتاح السعادة. . . . ».

٧ ـ خالد الحديدي. فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم.

شرح الدكتور الحديدي في المقالة الأولى من كتابه تصنيف العلوم عند العرب.

وعالجت المقالة الثانية التصنيف عند العرب.

وتعرضت المقالة الثالثةلفن تصنيف الكتب.

وخصص المؤلف المقالة الرابعة لأشهر التقسيمات ـ ويقصد هنا بكلمة التقسيم

التصنيف ـ فقد كتب عن تصنيف ديوي العشري . تصنيف كتر . تصنيف مكتبة الكونغرس . التصنيف العشري العالمي . تصنيف رانجاناثان .

٨ ـ ج . ملز . نظم التصنيف الحديثة في المكتبات . ترجمة عبد الوهاب أبو النور . يعالج السيد ملز في الفصل الأول والثاني والثالث قواعد التصنيف للأعمال تبعاً لمحتواها الفكري .

ويعالج في الفصل الرابع قواعد التصنيف التي يمكن اتباعها عند اعداد الخطة العامة في التصنيف .

وبذلك يمكن القول أن الفصل الأول والثاني الثالث ، عالجت القواعد التي يمكن اتباعها عند اعداد خطة تصنيف خاصة .

وتناول الفصل الخامس والسادس الرمز والكشاف .

أما الفصل السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر فقد تناولت بالتتالي : التصنيف العشري لملفيل ديوي . التصنيف العشري العالمي . تصنيف مكتبة الكونغرس . التصنيف الموضوعي لجيمس دف براون . تصنيف الكولون لرانجاناثان . التصنيف الببليوغرافي لهنري افلين بليس .

وأخيراً كتب المؤلف في الفصل الثالث عشر والرابع عشر عن التصانيف الخاصة والتصنيف العملي .

٩ ـ حسن رشاد . المكتبات العامة .

كتب السيد رشاد في الفصل الرابع من كتابه عن طريقة ديوي في التصنيف ، وأشار أيضاً في هذا الفصل إلى بعض القواعد في التصنيف ، وإلى الخطوات العملية في التصنيف أيضاً .

١٠ ـ أبو الفتوح حامد عوده . تنظيم المعلومات الصحفية في الأرشيف والمكتبات .

كتب السيد عوده في الفصل السابع من كتابه عن التصنيف : تعريفه ، اتجاهاته ، خصائصه .

١١ ـ أبو الفتوح حامد عوده . الطرق الحديثة في إدارة وتنظيم المحفوظات في دور الحكرمة والمؤسسات والشركات .

كتب السيد عوده في الفصل الثامن من كتابه عن التصنيف : تعريفه اتجاهاته (الطبيعي ، العرضي ، الشكلي) .

١٢ ـ محمود فهمي العطروزي . أسس السكرتارية والمحفوظات في المؤسسات العامة والشركات .

يتحـدث السيـد العطـروزي في البـاب الثـالث من كتـابـه عن تصنيف وتـرتيب المحفوظات . ويقول بأن طرق التصنيف هي الطريقة الموضوعية والطرق الجغرافية .

أما الترتيب فهو تنظيم المحفوظات بعد تصنيفها بإحدى طرق الترتيب التالية :

الطـريقـة الهجائية . الطريقة العددية . الطريقة الهجائية العددية . الطريقة الزمنية . الطريقة العشرية .

وفي الباب الرابع ، يتحدث المؤلف عن طرق الحفظ وهي : طريقة الحفظ الرأسي . الطريقة الافقية الطريقة الواقفة .

أما نظم الحفظ فيعددها كالتالي :

الحفظ الأبجدي . الحفظ العددي . الحفظ الموضوعي . الحفظ الجغرافي .

ويقول السيد العطروزي بأن الرابطة بين الحفظ والتصنيف والترتيب قويـة إلى حد أنـه لايمكن تصـور الحفـظ دون تصنيف أو ترتيب . فالحفـظ هو وضـع المستنـدات بشكـل يضمن سلامتها . والتصنيف هو طريقة تبويب هذه المستندات ، ليمكن التعرف على أماكن كل منها . والترتيب هو ترتيب الملفات المراد حفظها بنظام خاص ما .

وتجدر الاشارة إلى أن طرق التصنيف وطرق الترتيب ، ونظم الحفظ ، التي أشار إليها السيد العطروزي ، يمكن جمعها تحت عنوان واحد هو طرق التصنيف . وإذا كان المؤلف قد تكلم عن تطبيق هذه الطـرق على المحفـوظـات ، فإنـه بالامكـان تطبيق بعضها أيضاً على الكتب في المكتبات أيضاً وعلى مواد مكتبية أخرى أيضاً .

١٣ ـ عامر ابراهيم القنديلجي (وآخرون)، المعلومات الصحفية وتنظيمها (الأرشيف الصحفي) .

جاء في الفصـل الثـامن من الكتـاب معلومـات عن التصنيف والفهرسة للمعلومات الصحفيـة ومنهـا تعـريف التصنيف . تاريخ التصنيف عند العرب والغرب . كما جاء في هذا الفصـل أيضـاً معلومـات مختصـرة عن نظم التصنيف التـاليـة : تصنيف ديوي . التصنيف الدولي العشري . تصنيف مكتبة الكونغرس .

١٤ ـ ر. ج. رالف. المكتبة ودورها في التربية . ترجمة مصطفى الصاوي الجويني .

كان الفصـل السـادس من كتاب الدكتور رالف بعنوان «المسائل الفنية» وفيه كتب في تعـريف التصنيف وعـدد فقـط بعض طرق التصنيف ، ولكنه اقترح تطبيق طريقة ديوي في المكتبة المدرسية لأسباب جاءت في الفصل المذكور آنفاً .

١٥ ـ محمد ماهر حماده . مدخل إلى علم المكتبات .

خصص الدكتور حماده الفصل السابع من كتابه للتصنيف: تاريخه، تعريفه، أهميته. أسس اختيار أحد أنظمته. عناصره.

وأخيراً تحدث عن أكثر التصانيف المستعملة في مكتبات العالم شهرة وهي:

تصنيف ديوي. تصنيف مكتبة الكونغرس تصنيف كتر.

وماقرأناه في هذا الفصل من الكتاب لايزيد ولاينقص عما قرأناه في الفصل السابع من كتاب الدكتور حماده «علم المكتبات والمعلومات».

١٦ ـ عامر إبراهيم القنديلجي. تعديل تصنيف ديوي العشري للمكتبات العربية.

كانت العناوين الرئيسية في هذا الكتاب كالتالي: التصنيف. ملفل ديوي. طبعات تصنيف ديوي. الأسس العامة لتصنيف ديوي العشري. الأقسام الشكلية في تصنيف ديوي. كيف يصنف الكتاب. تعديل تصنيف ديوي.

١٧ ـ عبد الوهاب أبو النور. التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات.

تحدث المؤلف في الفصل الأول عن: تعريفات التصنيف. أنواع التصنيف (الفلسفي. العلمي). تسميات التصنيف. مباحث التصنيف (تاريخ التصنيف. نظرية التصنيف. نظم التصنيف. التصنيف العملي).

وفي الفصل الثالث كتب المؤلف في التصنيف المتعدد الأوجه وقال بأن العملية الرئيسية في هذا التصنيف هي التحليل الوجهي.

وخصص المؤلف الفصل الرابع للتصانيف الخاصة.

١٨ ـ أحمد بدر. حشمت محمد علي قاسم. المكتبات المتخصصة: ادارتها وتنظيمها وخدماتها.

خصص المؤلفان الفصل السادس من الكتاب للتصنيف: أهميته. كيف تتم اعداد خطة التصنيف. ثم كتب عن أهم خطط التصنيف الحالية وهي:

تصنيف ديوي العشري. التصنيف العشري العالمي. تصنيف براون. تصنيف مكتبة الكونغرس. تصنيف بليس الببليوغرافي. تصنيف الكولون.

كما كتب المؤلفان في نفس الفصل في اختيار خطة التصنيف، كيف تتم عملية التصنيف، وطريقة تحديد موضوع الكتاب.

١٩ ـ محمد ماهر حماده. علي القاسمي. تنظيم المكتبة المدرسية.

كان عنوان الفصل الثالث من الكتاب «إعداد الكتاب التداول» ورد فيه عن التصنيف: أهميته، تعريفه، مبادىء التصنيف، أسس اختيار أحد أنظمة التصنيف.

تصنيف ديوي، مبادىء عامة في التصنيف. تصنيف القصص والسير.

٢٠ ـ محمود الأخرس. التصنيف وأنظمته.

في الدراسة التي كتبها السيد محمود الأخرس في المجلة العربية للمعلومات حول التصنيف وأنظمته، شرح السيد الأخرس باختصار العناوين التالية: تعريف التصنيف. تاريخ التصنيف. مصطلحات التصنيف. التصنيف في الحياة اليومية. تصنيف الكتب خصائص نظام التصنيف.

وتعرضت الدراسة لأنظمة التصنيف الحديثة وهي: التصنيف العشري. التصنيف العشري العالمي. تصنيف مكتبة الكونغرس. التصنيف التوسعي. التصنيف الموضوعي. التصنيف التوضيحي (الكولون). التصنيف الببليوغرافي.

وأخيراً، تعرضت الدراسة لطريقة ديوي في التصنيف، والى التصنيف العملي.

٢١ ـ محمود الأخرس. التصنيف.

القى السيد الأخرس محاضرة في الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية... التي اقيمت بدمشق عام ١٩٧٢ حول التصنيف شرح فيها: غاية التصنيف. المبادىء العامة للتصنيف ومصطلحاته. تصنيف الكتب (طرق التصنيف) خصائص نظام التصنيف. وأخيراً شرح السيد الأخرس نظام التصنيف العشري.

٢٢ ـ طلعت همام. مائة شوال عن المكتبات والتوثيق والارشيف الصحفي.

في الصفحة ١٨ ومابعدها، أجاب المؤلف عن الأسئلة التالية: معنى التصنيف. طرق التصنيف. خصائص نظام التصنيف. تصنيف ديوي العشري.

٢٣ ـ محمد أمين البنهاوي. التصنيف العملي للمكتبات. يعدد السيد البنهاوي في مقدمة كتابه القواعد العامة للتصنيف العملي.

٢٤ ـ عامر إبراهيم القنديلجي (وآخرون). الكتب والمكتبات: المدخل الى علم المكتبات والمعلومات.

في البحث الثاني من الفصل الرابع عشر، جاء الكلام عن التصنيف، فكتب المؤلف أن أكثر مكتبات العالم اليوم، تستعمل أحد نظم ثلاثة للتصنيف هي: تصنيف ديوي العشري. التصنيف العشري العالمي. تصنيف مكتبة الكونغرس الاميركية، ووصف بإيجاز كل من هذه الأنظمة.

أرغب في نهاية هذا المدخل أن أوضح بأنه يوجد فرق بين التأليف والاعداد. فالتأليف يحتاج إلى العلمية والدقة، بينما الاعداد يحتاج إلى جمع المعلومات فقط من هذا أوذاك

الكتاب ثم تنسيقها وأخيراً اصطفاء الأفضل منها لفائدة القارىء. ولايعني هذا أن الاعداد لايحتاج إلى الجهد والقراءة، بل على العكس قد يتطلب جهداً أكبر وأكثر من التأليف.

وأرغب أن أشير أيضاً إلى أنني لم استخدم الحواشي في نهاية كل صفحة أو الحواشي في نهاية كل فصل، اعتقاداً مني بأن الايضاحات التي وردت في المدخل هي في مقام الحواشي.

أرجو أن يأخذ القارىء بعين الاعتبار أن الفصول أو الأبواب أو المباحث، التي ذكرتها في المدخل هي نفسها التي اعتمدت عليها في اعداد الكتاب الذي بين يديك. وعدا ذلك من أبواب أو فصول أو مباحث، فلم تتعرض للتصنيف أي أنها لاتهم في اعداد الكتاب الذي نحن بصدده.

برجس عزام

* * *

الفصل الأول

تاريخ التصنيف

أولاً : مقدمة

العلم هو كل بحث موضوعه دراسة طائفة معينة من الظواهر، معرفة حقيقة تلك الظواهر وقوانينها التي تخضع لها. فاما الاستفادة من هذه القوانين في مختلف نواحي الحياة فهي مانسميه بفن من الفنون. والفنون إما فنون جميلة وإما فنون نافعة وإما صناعات. وهناك فرق بين العلم والفن والصنعة. فغاية العلم الحقيقة، وغاية الفن الجمال، وغاية الصنعة المنفعة. والعلم نظري والفن خلق والصنعة تجربة. والعلم والصنعة من نتاج العقل بينما الفن من نتاج الخيال.

ويمكن القول بوجه عام أن العلم مثل الفلسفة هدف كل منهما توضيح الأشياء والبحث عن المسببات لا معرفتها عن يقين، ذلك لأننا في الواقع لانعرف حقيقة هذه المسببات.

اما المعرفة، فهي نتاج اتصال العارف بالمعرف به، وأداتها الكلمات ومخزنها الذاكرة. والمعرفة هي مايعرفه العارف عن طريق واحدة أو أكثر من حواسه الخمس. والمعرفة تتطور يوماً بعد يوم، يضاف اليها جديد في كل لحظة ومن كل بقاع الدنيا، وبوسائل مختلفة أهمها دون شك الوسائل العلمية.

كانت المعارف البشرية في عهد نشأتها محصورة ضمن حلقة ضيقة دعاها اليونان «الحكمة» أي الفلسفة. ومن تلك الحلقة انبثقت علوم مختلفة تفرع منها الاختراعات والاكتشافات الحديثة. ولما اتسع نطاق العلوم ادرك العقل البشري ضرورة تصنيفها، جلاء

لغوامضها وتقريب متناولها. مما لاريب فيه، أن المعارف البشرية، كانت غير مقيدة بتصنيف علمي، يكرتز على دعائم راسخة، قبل ظهور نظام ارسطو الى عالم الوجود.

كان الفلاسفة القدامى لايفرقون بين فصول المعرفة المختلفة، وما وصلنا من أقوالهم، نتيجة لذلك كان خليطاً عجيباً من سائر العلوم. كان هؤلاء الفلاسفة الأوائل حكماء حقاً يحملون في عقولهم دوائر معارف. كانوا رجال دين وسياسة وعلماء فلك وطبيعة ورياضيات، ساعدهم على ذلك أن العلم كان في أيامهم محدوداً، ومن الممكن أن يلم بشتى جوانبه عقل واحد عبقري.

وحتى بعد ذلك ظلت الفلسفة هي علم العلوم. وأخذ مجال الفلسفة يتقلص شيئاً فشيئاً، فبعد أن كانت جميع العلوم جزءاً من الفلسفة، أصبح بعضها علوماً راسخة ذات مناهج خاصة بها ونتائج متفق عليها، وكفت بذلك عن أن تصبح جزءاً من الفلسفة.

ومن هنا كانت الفلسفة أماً انجبت كل العلوم بالانقسام، إذ كانت جميعها جزءاً منها ولدتها الفلسفة وعنيت بها أثناء طفولتها ولم تتخل عنها إلا بعد أن أصبحت لها استقلالها وما ان جاءت السنوات الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد، حتى كان الفلك والموسيقى والهندسة وعلم الحساب علوماً قائمة بذاتها.

اهتم الانسان منذ القديم بتصنيف المعرفة. وبذل الفلاسفة المفكرون جهوداً لوضع نظم لهذا التصنيف دون أن يكون لدى أي منهم أدنى تفكير في تطبيق هذه النظم على المكتبات.

كما اهتم الفلاسفة أكثر من غيرهم بتصنيف المعرفة، وخاصة في العصور القديمة والوسطى، انطلاقاً من المفهوم الذي تبنوه وهو (أن تصنيف الشيء هو أول العلم به)، وكان يعتبر الفيلسوف انجازه لتصنيف المعرفة جزءاً من انجازاته الفلسفية.

ليس التصنيف أداة لهو للمكتبيين الحالمين، ولكنه علم له أصوله وقواعده، وله ارتباطه الوثيق بعالم الأفكار والأفعال والانتاج الفكري...

هذا وقد تأسست نظرية تنظيم المعرفة منذ أفلاطون وحتى هنري بليس ورانجاناتان على إفتراضات أساسية أربعة وهي:

١ ـ أن هناك نظاماً طبيعياً عالمياً.. سيبين لنا ـ إذا مااكتشفناه ـ الاطار الفكري الدائم للمعرفة الانسانية جميعها...

٢ ـ أن هذا النظام يتميز بترتيب تنازلي من الجنس إلى النوع إلى القسم ثم إلى الرتبة وأن ذلك التقسيم يتم من أعلى إلى أسفل من الأكثر عمومية الى الأكثر خصوصية.

٣ ـ إن مبدأ التمييز هذا يتم بناء على درجة التشابه أو الاختلاف لصفات وخواص الوحدات المكونة للتصنيف . .

٤ ـ إن هذه الصفات والخواص تعتبر جزءاً جوهرياً وداخلاً ضمن وحدة التصنيف ذاتها . . . وهذه الصفات دائمة لاتتغير بل وتقاوم التغير الذي قد يأتي من الوسط الخارجي المحيط . أي أن هذه الصفات بعيدة عن الاعتبارات المؤقتة أو العرضية .

لعلنا في مجال الفكر الفلسفي نبدأ بأرسطو الذي وضع أول نظام تقسيمي غير مكتوب لترتيب كتبه ، كما اهتم فلاسفة عصره بتركيب وبناء تصنيفات المعرفة . ويمكن أن نقول بأن نظم ومشروعات التصنيف الببليوغرافي التي أتت بعد دلك تدين بالفضل إلى جهود هؤلاء الفلاسفة الأوائل . . ولعل أفلاطون هو أول كاتب معروف لنا ، قد بدأ معالجته التصنيف على أساس الفرض الفلسفي لوحدة المعارف جميعها . . ثم ذهب أفلاطون إلى إفتراض موازاة هذه المعارف لنظام طبيعي عالمي ودائم . وقسم العالم إلى العالم المرئى والعالم الذي يمكن إدراكه بالعقل وحده .

إن تاريخ التصنيف هو تاريخ المحاولات لتنظيم الافكار البشرية منذ أن بدأ الانسان يميز ويفرق أجزاء الكون ومنذ أن أخذ يكون طريقة أو نظاماً بموجبه يربط أجزاء الكون الواحد بالآخر . .

ومثل هذه الطريقة تفيد الفلاسفة والمنطقيين لأنها تقسيم نظري للمعرفة .

لاشك أن هناك علاقة كبرى بين تصنيف المعرفة الانسانية وبين تصنيف الكتب . ذلك أن الكتب هي أوعية المعرفة الانسانية ، وعندما نقوم بتصنيف كتاب باحث في علم الفلك نكون بالحقيقة قد صنفنا علم الفلك نفسه ، ومع ذلك يبقى هناك فرق كبير بين الناحيتين ، فتصنيف المعرفة الانسانية الذي بدأه العلماء والفلاسفة من أقدم العصور ولازالوا يحاولونه نظرية فلسفية بالدرجة الأولى وتهدف لخدمة أغراض فلسفية ، على حين أن تصنيف الكتب حسب موضوعاتها في المكتبات قضية عملية بالدرجة الأولى يهدف منها مساعدة القارىء ومراجع المكتبة وتوفير وقته بتقديم الكتاب المطلوب بأقل جهد وبأقصر وقت ممكن .

ومن الفائدة هنا أن نشير إلى أن هناك نوعان من تصنيف المعرفة :

١ ـ التصنيف الفلسفي : هو عبارة عن تصور الفلاسفة لتقسيم المعرفة ، وهو مجرد رياضة عقلية لم يقصد بها أصحابها أبداً أنها سوف يستفاد منها في تنظيم المواد في المكتبات حتى وان حدثت هذه الاستفادة فهي لم تكن أبداً في ذهن واضعي هذا التصنيف .

٢ ـ التصنيف العلمي : هو تصنيف للكائنات الحية . وهو نوع من التصنيف لم يقصد به واضعوه أيضاً أنه سوف يستعمل لأغراض تنظيم المواد في المكتبات . ولكن قيمته كانت عملية محضة فهذا النوع من التصنيف يقوم على تقسيم الكائنات الحية إلى رتب أو أقسام وفقاً للصفات التشريحية . وقد كان لكل رتبة عدد من الصفات الجوهرية المعروفة التي سجلت عنها بناء على تشريحها . وبناء على هذه الصفات كان من الممكن من خلال التصنيف التعرف على رتبة أو صنف أي كائن حي جديد من خلال التعرف على صفاته التشريحية ومقارنتها مع الصفات التشريحية للأصناف المختلفة .

وقد استفاد هذا التصنيف كثيراً من قواعد التقسيم المنطقي التي ترسخت في علم المنطق . وهذه القواعد تناسبه جيداً لأن النوع الوحيد من العلاقة الذي كان هذا التصنيف يحتاجه هو التكثير من أعلى إلى أسفل ، أي التقسيم ، وهي علاقة الجنس ـ النوع أو العام ـ الخاص التي كانت مستقرة في التقسيم المنطقي ، ومن ثم تأثر هذا التصنيف العلمي بالتصنيف المنطقي ، حتى لقد عد التصنيف في بعض الأحوال مرادفاً للتقسيم . وهو نوع من التأثر دخل إلى تصنيف الكتب فيما بعد عن طريق التصنيف العلمي . وهو وإن كان قد أفاد تصنيف الكتب من بعض النواحي إلا أنه لم يكن وافياً بحاجة التصانيف الحديثة ، لأن تصنيف المعلومات يحتاج إلى تمثيل أنواع أخرى من العلاقات غير علاقة الجنس ـ النوع ، ولذلك أخفقت تصانيف المكتبات التي قامت على أساس قواعد التقسيم المنطقي حينما واجهتها المعلومات الحديثة والتي هي على درجة من التعقيد والتشابك . وهنا نأتي إلى تصنيف آخر وهو «التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات» وهو بحث واسترجاع المعلومات بعد اختزانها مخصصة حسب موضوعاتها .

يضم تاريخ التصنيف وتطوره من الأنظمة الفلسفية حتى وصل إلى الوقت الراهن ، يضم جزأين رئيسيين :

١ ـ جزء تاريخي محض ويتعلق بتاريخ التصنيف منذ أرسطو حتى بداية تطور التصنيف في العصر الحديث ونشأة الخطط الحديثة أي حتى سنة ١٨٧٦ ، وهي سنة ظهور الطبعة الأولى من التصنيف العشري لديوي أول خطة حديثة ظهرت إلى الوجود . .

ورغم أن هذا الجزء تاريخي محض إلا أنه ذو قيمة في دراسة التصنيف لأسباب متعددة ، منها أن التصانيف الفلسفية كان لها شيء من التأثير على بعض أنظمة التصنيف الحديثة ، ومنها أن بعض الأفكار التي تضمنها التفكير التصنيفي للفلاسفة والعلماء كان لها ظلال على بعض الأفكار التي كونت أساس بعض التصانيف الحديثة ، ومنها أن

التصنيف مرآة للحياة العقلية للأمم المختلفة في عصورها المختلفة، ويمكن من خلاله التأريخ للحياة العقلية عند الأمم.

وقد بدأ التصنيف ـ كتاريخ مدون ـ بأرسطو، وبعده يتشعب تاريخ التصنيف إلى شعبتين، إحداهما في أوروبا العصور الوسطى وثانيتهما في الوطن العربي. ولا يحفل تاريخ التصنيف الذي كتبه الغربيون كثيراً بالتصانيف العربية التي ظهرت خلال تلك الفترة مع أنها أرقى بكثير من تصانيف أوروبا العصور الوسطى، خاصة وأن زمام الحضارة الانسانية كان بأيدي العرب خلال ذلك العصر الذي شهد رقيهم العلمي بشكل لا يمكن مقارنته بما كان عليه حال أوروبا العصور الوسطى.

٢ ـ جزء حديث يبدأ من تاريخ التصنيف في العصر الحديث وتطور نظرياته وأنظمته وهو يبدأ في الحقيقة منذ ١٨٧٦ حتى يصل إلى الوقت الحاضر، وهو جزء مفيد لأنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتصنيف الذي نعرفه الآن، وهو لذلك يتصل اتصالاً وثيقاً بنظرية التصنيف ونظم التصنيف.

* * *

ثانياً ـ تاريخ التصنيف عند الغرب

١ ـ في العصور القديمة :

أفلاطون (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق.م)

كان افـلاطـون ينكـر تقسم العلوم، ويـرجـع المعـارف البشرية كلها إلى علم واحد ويقـول ان العـالم الحقيقي هو الـذي يتخـذ الكـون كله وجميـع أنواع المعرفة موضوعاً لدرسه وبحثه، وأنه يرى العلوم كلها ترجع الى أصول بسيطة يجمعها كلها علم واحد. وقد كانت العلوم أيـام افـلاطـون بعد في دور التكوين وعددها محدوداً، ولم يكن قد استقل كل منها عن الآخر من حيث الموضوع بل كانت متداخلة متمازجة.

حاول افـلاطـون تحديـد موضوعات المعرفة في نهاية الكتاب السادس من الجمهورية حيث قال لو قسمنـا خطـاً إلى قسمـين غير متساويين فإن جزءاً منهما، وهو الأصغر، سيمثل عالم المحسوس وجزء آخر، وهو الأكبر، سيرمز إلى عالم المعقول.

والجـزء الأول الخـاص بالعـالم المحســوس، ينقسم بدوره إلى قسمين، أحدهما يمثل المـوجـودات الحيـة من انسان وحيوان كما يشمل النبات، وكذلك موجودات الصناعة والفن التي يصنعها الانسان، والآخر يشبه الصور الوهمية، وهو يضرب لنا مثلاً لهذه الصور الوهمية بالظلال الناتجة من انعكاس المحسوسات على سطح المرايا أو على سطح الماء.

أما عالم المعقول فهو يقسمه أيضاً إلى قسمين، قسم يتضمن المعرفة الرياضية، وهذه هي العلوم التي تقـوم على الفـروض النظـريـة كالهنـدسـة والحساب، ويسميها المعقولات السفلى، لأنها معرفة وسط بين الظن والتعقل، أو هي القنطرة التي تنقلنا من عالم المحسوس إلى عالم المعقـول، أي اننـا نستخـدم المحســوس ليوحي لنا بالمعقول. هذا المعقول ذاته هو القسم الثـاني من عالم المعقـول وهـو المعـرفـة اليقينيـة أو العلم ويسميـه المعقـولات العليـا وموضوعاتها المثل.

فالمعرفـة عنـد افـلاطـون تقسم الى عالم المحسـوس ويعني الطبيعيات وعالم المعقول ويعني الرياضيات والالهيات.

اهتم افـلاطـون شأن كل فلاسفـة عصره إذن بالكلي وليس بالجزئي، فالعلم عندهم هو الكـلي، والكـلي هو عالم المعقـول الـذي يدركه العقل، والجزئي هو عالم المحسوس الذي تدركه الحواس.

وواضـح أن منهـج افـلاطـون في تقسيمه للمعرفة الى محسوسات ومعقولات هو منهج القسمة الثنائية.. رغم أن افلاطون يعود فيربط بين كلا القسمين المحسوس والمعقول عن طريق القنطرة أو المقولات السفلى.

ارسطو (٢٨٤ - ٣٢٢ ق.م)

رفض ارسطـو مذهب استـاذه في القسمة الثنائية، قائلاً إنه مذهب قاصر، واستعمل في تقسيماته منهج التعدد مستخدماً أنواعاً متعددة في التقسيم، وأجناساً متعددة في التقسيم.

وحـين طبق أرسطـو منهجـه ذاك في تقسيم المعـرفة، كان أول من قسم المعرفة تقسيماً فلسفياً على أنها معرفة. فلقد ميز بين:

١ - العلوم النظـريـة، وهـذه هي الهنـدسـة والفلك والمـوسيقى وعلم الحساب. أي العلوم الطبيعية وعلم الرياضيات، وأضاف إلى هذه الفلسفة الأولى والتي سميت بعد ذلك مابعد الطبيعة.

٢ - العلوم العملية، وتشتمل على علوم الأخلاق والاقتصاد والسياسة.

٣ - العلوم الانتاجية أو علوم الشعر، وهذه هي الشعر والبلاغة والجدل.

ويقـول ارسطـو إنه قبل كل هذه الأقسام الثلاثة، يأتي المنطق الذي يقول عنه المعلم الأول أنه هو الاداة التي تستعمل في دراسة كل هذه العلوم، والإلمام به شرط مبدئي لطالب أي علم منها.

ومنـذ ذلـك الحين، شاع في الاندية العلمية، استعمال هذا النظام الذي قسم العلوم إلى ثلاثة أقسام.

ثم انتقل النظام ذاته إلى القرون الوسطى على يد الفلاسفة المدرسيين الذين اتبعوه وتقيـدوا ببنـوده على يد الفـلاسفـة العـرب. وفي مطلع عصـر الانبعـاث وانـدلاع الثـورة الفكرية، بنيت التصانيف الأولية للمعارف البشرية على نظام ارسطو أيضاً.

لقد اتفق افلاطون وارسطو في فكرة تقسيم العلوم ولكنهما اختلفا في نقاط ثلاث:

١ - اعتمد افلاطون القسمة الثنائية للعلوم.

وارسطو خالفه بعد أن تتلمذ ٢٠ سنة على يديه ورأى امكانية تقسيم العلوم تقسيماً ثلاثيا.

٢ ـ اتبع افلاطون مايدركه العقل وماتعرفه الحواس في تقسيمه.

أما ارسطو فقد اتبع الطريقة الفلسفية فجاءت فروع العلوم لديه متعددة فيها تسلسل منطقي.

٣ ـ تقوم المعرفة عند افلاطون على أساس العلم اليقين وهي متدرجة فيها العام والخاص.

عند ارسطو العام اجناس وأنواع يندرج فيه الاخص تحت الاعم فالانسان نوع من الحيوان والحيوان نوع من الكائنات الحية.

لقد خطا افلاطون وارسطو أول خطوة في مجال تنسيق المعرفة دون أي معرفة منهم بأن هذا التنسيق سيصبح خطط تصنيف في المكتبات. فكانت هذه الخطوة مفتاح الوصول الى عصر تمايز العلوم وانفصالها عن بعضها البعض، فجاء العلماء ورجال الفكر من بعدهم ليتابعوا السير في الطريق الذي ابتدأ بخطوة افلاطون وارسطو.

فما خطة تصنيف ديوي، خطة تصنيف رانجاناثان، خطة التصنيف العشري العالمي وغيرها.. إلا ثمرة جهود أولئك العلماء ونتاج بحثهم عن طريقة تصنيف تستوعب جميع المعارف البشرية وتسمح بكل سهولة وسرعة لأي قارىء أو باحث أن يصل إلى الكتب والمراجع في المكتبة.

٢ ـ في العصور الوسطى:

إذا انتقلنا إلى أوربا في العصور الوسطى التي امتدت ألف سنة كاملة (٤٧٦ ـ ١٤٥٢م) نجد أن المعارف قد انحطت وانحصرت الثقافة والمعرفة بيد الكنيسة وساد البلاد تعصب ذميم وجهل مطبق، مما أدى إلى تقلص ظل المكتبات وانحصارها في إطار الكنائس والاديرة وبعض قصور الحكام وكانت أغلب الكتب ذات طبيعة دينية ومكتوبة باللغة اللاتينية وموضوعة في عهدة الرهبان الذين كان قسم كبير منهم جاهلاً أو مهملاً أو خاملاً وأغلب الكتب كانت مسلسلة ولايطلع عليها إلا الرهبان أنفسهم وأعدادها ضئيلة.

وقد صنفوا كتبهم في الأونة الأولى على الشكل التالي، إذ جرت العادة أن يجمع أحد

المؤلفين جميع المعلومات المتعلقة بموضوع من الموضوعات ويصدرها في مكتبة وهم بذلك يقصدون أنهم جمعوا في هذه المجموعة أو السلسلة جميع المواد التي يحتاجها الباحث عن هذا الموضوع بحيث لايحتاج إلى الرجوع الى أي كتب للإستزادة أو التوسع .

كما أن تصنيفهم للكتب كانت تصنيفات شكلية لاتمت الى التقسيم الفني بصلة، فمنهم كانوا يقسمونها آناً حسب تاريخ كتابتها وأحياناً حسب أسماء مؤلفيها وأحياناً أخرى حسب حجمها، حيث كانت توضع في خزائن وكل خزانة تحمل رمزاً وتوزع الكتب حسب أحجامها في رفوف مختلفة يحمل كل رف رقماً أما الكتاب نفسه فيحمل علامة مطبعته أي أن الترتيب كان على النحو التالي:

الخزانة ـ الرف ـ الكتاب ـ علامة المطبعة .

فكانت الكتب والحالة هذه تحتل مكان ثابت على الرف لاتتعداه أبداً.

أما اليسوعيين (أو الجزويت) فلم يتعدوا في تصنيفهم للكتب ماكان يفعله الرومان في أوائل العهد المسيحي من تقسيم الكتب إلى قسمين رئيسيين، كتب ألفها المؤمنين المشهورين، كانت توضع في جهة اليسار من المدخل وكانت ذات تجليد لامع وفي الجهة المقابلة من المدخل كانوا يضمون كتب الهراقطة وهي كتب كئيبة وغير نظيفة تجلد بغلاف أسود.

والمؤرخون للمكتبات في هذه الحقبة يضربون مثلاً لما كانت عليه مكتبات الأديرة في ذلك العهد بمكتبة (دير كارليخبيان) في لورش التي كانت تقسم كتبها الى كتب دينية وهذه تشمل كتباً عن الأنجيل بعهديه القديم والجديد ثم مؤلفات القساوسة، ثم تاريخ حياة القديسين، ثم كتباً في غير المواد الدينية وتشمل كتب التاريخ والجغرافيا وكتب الشعر وتشمل كل الأعمال الأدبية الكلاسيكية .

وبعد ذلك جاء المدرسيون أو أصحاب الفلسفة المدرسية الذين ظهروا في العصور الوسطى .

وضع أصحاب الفلسفة المدرسية تصنيفهم على أساس النظام التربوي أو التعليمي وهذا مايعبر عنه بالمجموعة الثلاثية وبالمجموعة الرباعية وهو النظام السائد في المنهج التعليمي بجامعات العصور الوسطى . ولعل أهم ماأسهم به أصحاب الفلسفة المدرسية هؤلاء، هو وضعهم الأساس الفلسفي للتصنيف الذي أفاد منه كونراد جسنر.

قسم المدرسيون المعرفة الى علوم دينية وعلوم دنيوية متأثرين بذلك بالفلاسفة العرب .

وأمـا العلوم الـدنيـويـة فقسمـوهـا إلى علوم سبعـة أيضـاً سمـوها العلوم السبعة الحره، ثلاثة منهـا أسمـوهـا مجمـوعة العلوم الثلاثية وتشمل: قواعد اللغة ـ البلاغة والجدل. وأربعة منها أسموها الضوابط أو مجموعة العلوم الأربعة وهي الفلك ـ الموسيقى ـ الحساب ـ الهندسة.

وبعد ذلك وأسفل هذه العلوم وضعوا القانون ثم الطب.

وظـل اهتـمام رجال الكنيسة بالكتب وتصنيفها قائماً ماظلت الأديرة تحتوي على كتب وما دام جزء من عمل الرهبان هو الإشراف على مكتبات هذه الأديرة.

وجاء بعد ذلك توما الأكويني: وهو فيلسوف وقديس إيطالي ولد عام (١٢٢٥م) وتوفي عام (١٢٧٤م) وهـو يمثـل الفكـر الكـاثـوليكي، شرح معظم كتب أرسطـو ومعظم أجـزاء الكتاب المقدس انتهج منهج الفلاسفة العرب في الفصل بين (اللاهوت) أي العلوم الدينية والفلسفـة فالأول يعـود على العقـل دون أن ينكر الوحي والثاني يعتمد على العقل وحده. وهو في الكثير من كتاباته يستعين بابن سينا وابن رشد.

ويصنف الأكويني المعارف إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

١ ـ المنطق: الذي يتخلل العلوم جميعاً ويسبق العلوم جميعاً وموضوعه المنهج العلمي وليس هو دراسة الأشياء الواقعية.

٢ ـ العلوم النظرية: وتشمل درجات ثلاثاً وفقاً لدرجات التجديد الثلاث.

أولها: الفلسفة الطبيعية وتبحث كل الموضوعات التي تتناول العمليات المادية والتي لايمكننا فهمها إلا بالاشارة الى هذه العمليات، وبذلك تشتمل فلسفة الأكويني الطبيعية على كل الموضوعات التي تناولها أرسطو في كتابيه (الطبيعة) و (النفس).

وثـانيتهـا: الفلسفـة الـريـاضيـة: وهي التي لاحـاجـة بها الى الـرجوع الى العالم الطبيعي والمحسـوس وان كانت تدرس النتـائـج المتضمنـة في فكـرة الكم كالحسـاب والهندسة وهذه لايتناولها الأكويني.

وثـالثتهـا: الفلسفـة الميتـافيزيقية: وهي التي تتجاوز حدود العالم المادي لأن موضوعاتها غير مادية (كالله) وتشمل الميتافيزيقا والإلهيات.

٣ ـ علوم الفلسفة العملية: وهذه تشمل الأخلاق والاقتصاد والسياسة)ونحن بنظرة سريعة إلى هذا التقسيم نرى أنه لايخرج عن تقسيم ارسطو للمعرفة، بل هو يطابقه تماماً لو أبعدنا عن تقسيم أرسطو علوم الشعر.

٣ ـ في العصور الحديثة :

تميزت هذه الحقبة من الزمن بإهتمام المكتبيين بتصنيف المعرفة الى جانب الفلاسفة، وبرز من الفلاسفة فرانسيس بيكون، الذي يعتبر أول المصنفين النظاميين.

ومن المكتبيين الذين عالجوا تصنيف المعرفة المكتبي الفرنسي غابريل نودي، وبرونيت الفرنسي أيضاً.

ووضع وليام هاريس الاميركي تصنيفه عام ١٨٧٠، وقد تأثر في عمله هذا بتصنيف بيكون.

كونراد غسنر (١٥١٦ ـ ١٥٦٥)

إن أول تقسيم بني على أساس فلسفي في العصر الحديث هو تقسيم كونراد غسنر، ولقد كان غسنر هذا عالماً المانياً سويسرياً، عالماً بالنبات وعالماً بالطب.

إن عمله الكبير الذي سوف تظل الأجيال تذكره له هو قائمة الكتب اللاتينية والعبرية والاغريقية وبه أيضاً مذكرات ايضاحية ومقتطفات من الكتب الهامة التي وردت بتلك القائمة.

قسم غسنر المعرفة طبقاً لقواعد فلسفية ثابتة. كان يقول أن الفلسفة هي مجموع كل المعارف ويمكن تعلمها من خلال العلوم والفنون. وأما العلوم والفنون فيقول أنه يوجد منها نوعان، نوع إعدادي ونوع أساسي.

فأما العلوم الاعدادية فمنها ماهو ضروري ومنها ماهو بغرض الأبهة. فأما الضروريات فهي تنقسم الى ماهو بغرض العرض أو الوصف وماهو من قبيل علوم الحساب وفنونه. وأما علوم الأبهة فهي علوم غريبة نوعاً تشتمل على علوم السحر والكهنة إلى جانب علوم التاريخ والجغرافيا والفنون الميكانيكية.

وأما العلوم الأساسية فهي تشمل أسمى أنواع المعارف وارفعها مثل كل فروع الفلسفة من الميتافيزيقيا الى الأخلاق الى السياسة إلى الاقتصاد إلى القانون إلى الطب إلى الديانات. ولم تتحقق المساعي لتجديد نظام «الفلاسفة المدرسيين» المستند إلى نظام ارسطو إلا في القرن السادس عشر، على أثر اختراع الطباعة وانتشار الحرية الدينية والسياسية.

وفي هذا العصر قام العالم كونراد غسنر فوضع عام ١٥٤٥ تصنيفاً جديداً للكتب يخالف في أسسه وجوهره، ماتقدمه من طرائق التصنيف، ولاسيما نظام «الفلاسفة

المدرسيين» ونشر عمله الذي قسم فيه المعرفة البشرية إلى واحد وعشرين أصلاً وهي: النحو، الجدل، الخطابة، الشعر، الحساب، الهندسة، الموسيقى، علم الهيئة، النجامة العرافة والقيافة، الجغرافية، التاريخ، مختلف العلوم، الفلسفة الطبيعية، الفلسفة اللاهوتية، الفلسفة الأدبية، تدبير المنزل، علم السياسة، الشرائع والحقوق، الطب، اللاهوت. وكانت طريقة غسنر هذه أولى المحاولات العلمية التي أجريت للتوفيق بين الثورة الفكرية التي احدثتها النهضة العلمية الحديثة وبين الطريقة المدرسية التقليدية المنحدرة عن الأجيال الوسطى ونظام ارسطو.

فرانسيس بيكون (١٥١٦ - ١٦٢٦)

رائد الفلسفة الانكلزية الحديثة. أول وأهم الانظمة الفلسفية هو النظام الذي وضعه كونراد غسنر. وهناك كثير من النظم الفلسفية الأخرى ومن أهمها لائحة المعرفة البشرية ونشرت لأول مرة عام ١٦٠٥ والتي كانت من أعمال فرنسيس بيكون. وقبل أن يضع لائحته درس المعرفة البشرية ودرس الأفكار المسجلة في الكتب. وأن البيان الذي قدمه عن المعرفة، كان عبارة عن تاريخ لتسجيل الأفكار وتقسيم المعرفة الممثلة في المطبوعات، وكانت لائحته منطقية وموضوعية ويمكن تطبيقها في ترتيب الكتب.

ظل تصنيف ارسطو متبعاً في العالم كله حتى عصر النهضة عندما اتى فرنسيس بيكون بتصنيف جديد للمعرفة الانسانية مبني على تصنيف ارسطو للمعرفة. وكان لتصنيف بيكون أغمق الأثر في كل تصنيف للكتب ظهر بعد ١٦٠٥م وهي السنة التي ظهر فيها تصنيفه. وعلى نمط تقسيم بيكون كان المشروع الأول لتصنيف مكتبة الكونغرس. اعتمد بيكون في نظام تصنيفه على المجموعة الثلاثية والمجموعة الرباعية. وأكد على وحدة المعرفة وأن أقسامها تشبه فروع الشجرة التي تلتقي في جذع واحد.

لم يحاول أحد في الغرب هدم تقسيم ارسطو إلا منذ أن بدأت سلطة ارسطو العلمية تنهار أمام الاكتشافات العلمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، إذ قام بيكون وغيره يحاولون هدم فلسفته. وبيكون لم يكتف بإبداع طريقة جديدة كديكارت تقوم مقام منطق المعلم الأول فحسب، بل أنه قسم العلوم تقسيماً جديداً اعتمد فيه على النظريات الشائعة في عصره عن العقل والتي كانت ترى أنه مقسم الى ملكات كل منها قائم بنفسه، وهي ملكات الخيال والذاكرة والعقل. وان لكل منها علوم مستقلة بعضها عن بعض.

وضع بيكون تقسيماً للمعرفة أساسه موضوعي ولذلك فنحن نسميه بالتقسيم الموضوعي للمعرفة. ويقسم المعرفة إلى ثلاثة أقسام وأول هذه الأقسام يعتمد على الذاكرة

وهي علوم التاريخ، وثانيها يعتمد على الخيال وهي الفنون، وثالثها يعتمد على العقل وهي علوم الفلسفة.

ثم يع ود بيكـون فيقسم هذه العلوم الى فروع ثلاثـة. ويعود بيكون ويقسم الأقسام التسعة الى اق ـام أكثر خصوصية.

ومن الواضح أن هذا التقسيم غير علمي إذ أن أساسه رأي وهمي هو أن العقل مقسم إلى ملكـات أو قوى كل منهـا مستقلة عن الأخـرى فالعلم الحـديث قد كشف لنا عن فساد هذا الرأي. أضف إلى ذلك أن هذا التصنيف لايسع كل العلوم العديدة التي كشف عنها المعاصرون.

ولبث نظـام بيكـون مرعيـاً في القـرنين السابع عشر والثامن عشر، حتى نهض العالم الفـرنسي «دالمبـير» (١٧١٧ ـ ١٧٨٣) فجـلا غوامضه، وأوضح معانيه، ثم جعل له صيغة جديـدة، كان لها تأثـير عظيم على التصـانيف الشهـيرة التي قامت في القرن التاسع عشر، وهذه أهمها:

نظام أمبير.

نظام أوغست كونت.

نظام سبنسر.

نظام اسكندر باين.

وقد اعتمد بيكون ـ كما رأينا سابقاً ـ في تصنيفه على ثلاث قوى عقلية هي:

١ ـ الذاكرة ـ ومنها انبثق التاريخ.

٢ ـ الخيال ـ ومنه انبثق الشعر والفنون.

٣ ـ العقل ـ ومنه انبثقت الفلسفة.

١ ـ التاريخ ويقسم إلى:

تاريخ طبيعي: فنون (فنون تستخدم قوى الطبيعة)

ظواهر (سماوية وأرضية).

تاريخ انساني: كنسي.

مدني (مذكرات، آثار، تراجم، سياسي)

تاريخ أدبي: تاريخ الأدب، تاريخ الفن.

٢ ـ فنون وشعر وتقسم إلى:

قصة. دراما. فنون وصفية.

٣ ـ الفلسفة وتقسم إلى :
علم مابعد الطبيعة : متافيزيقا . رياضيات .
علم الطبيعة : فيزياء . رياضيات .
علم الأنسان : علوم العقل . المنطق . علم النفس . علم الجسم . علم الأخلاق . علم العلاقات السياسية والاجتماعية .
الفلسفة الالهية : اللاهوت الطبيعي . المبادىء الأولية (القوانين التي تحكم الفكر) .
ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٩٠) عالم ورياضي وفيلسوف فرنسي .

وفي تقسيمه للمعرفة . . . كان مبدأ ديكارت أن العلم كالشجرة ، جذورها المتافيزيقا ، وساقها الطبيعيات ، وفروعها سائر العلوم الأخرى وهي : علم الطب . علم الميكانيك . علم الأخلاق .

غابريل نودي (١٦٠٠ ـ ١٩٥٣) . ولد في باريس ، واشتغل بالأدب ، كما اشتغل بالكتب والمكتبات .

كتب نودي كتاباً قسم فيه الكتب إلى اثني عشر قسماً مشهورة هي :
الديانات . مصادر الكتب . الفنون الحربية . المجمع المقدس والنظم الكنائسية . الجغرافيا . العلوم السياسية . الطب . التقاويم والوقائع الزمنية . التشريع . الفلسفة . التاريخ الآداب .

واستعمل كل المكتبيين المعاصرين الذين اتوا من بعد نودي ، استعملوا تقسيمه لتصنيف كتبهم . استعمله بويللود صاحب تقسيم اتحاد بائعي الكتب الفرنسيين المشهور . واستعمله برونيت الذي كتب كتابه معتمداً على تقسيم اتحاد بائعي الكتب الفرنسيين ، الذي اعتمد بدوره على تقسيم نودي .

كاموس

اعادت الثورة الفرنسية التفكير بصورة جذرية في كثير من جوانب الحياة ونشاطاتها ومن بينها عالم الكتب ، فقد انشىء المعهد الوطني للعلوم والآداب عام ١٧٩٥ ، وكانت له أقسام ثلاثة هي :

١ ـ قسم العلوم الطبيعية والرياضية .
٢ ـ قسم العلوم الأخلاقية والسياسية .
٣ ـ قسم الآداب والفنون الجميلة .

واستتبع ذلك مناقشات خاصة بتصنيف مكتبة المعهد المذكور ، وكان لكل من اميلهون وكاموس آراء متعارضة بالنسبة لتنظيم الكتب وتنظيم فهارس المكتبات ، وعارض

كامـوس الطـريقـة التقليدية التي تضع الديانة المسيحية على رأس نظام التصنيف، وكانت حجته في ذلك أن الثورة الفرنسية التي أدت إل المجتمع العلماني لاينبغي أن تضع الديانة في هذا الوضع، ولقد اشتمل المؤلف الذي وضعه شامورين عن تاريخ التصنيف فصلاً كاملاً عن الثورة الفرنسية وأثرها في نظم التصنيف.

لقد أصر كاموس على سبيل المثال على أن الكتب ينبغي أن ترتب طبقاً للطريقة التي ستفيـد البـاحث الـذي يسعى للتعلم والحصـول على المعارف. وفي رأيه أن الإنسان محاط بالعديد من الأشياء، فهو ينظر إلى العالم ككل بما فيه من سماء ونجوم وأرض. وبالتالي فإن كاموس سيبدأ تصنيفه بالفلك والجغرافية. ثم هو يرى الإنسان بعد ذلك يتجه الى الأفكار الروحية ولكنه يشد إلى الواقع تتبعاً لحاجاته الطبيعة. ثم يتابع كاموس بعد ذلك نشاطاته في مجالات المعـرفـة الأخـرى: ولعل بليس قد تابع ـ بتأثر أكبر ـ نفس العملية (التي سبقه اليها كامـوس) في كتـابـه تنظيم المعرفة ونظام العلوم ولكن هذه المحاولات جميعاً تعتبر ذات أهمية تاريخيـة فحسب، ذلـك لأننا عندما نتحدث اليوم عن التصنيف بالمكتبات، فنحن نتحدث عن نظم غاية في التعقيد، حيث تهتم بالموضوعات المفرطة في التخصص والتي لها سند أدبي على أن تجهز هذه النظم بالرموز المخصصة لكل موضوع.

وعلى كل حال فيمكننـا أن نقـول بأنـه لم يكن هنـاك أي نظـام تصنيفي رقمي حتى القرن الثامن عشر، كما أن الحاجة لمثل هذه التصانيف لم تكن ملحة أيضاً نظراً لعدم وجود التخصصات الموضوعية الدقيقة وحصر القراءة في الطبقة الارستقراطية.

جاك شارل برونيت (١٧٨٠ ـ ١٨٦٧)

وممن حاول التقـريب بين التصنيف العلمي والكتـابي «جـاك شارل برونيت» مؤلف الدليل المشهور الذي عد في حينه فصل الخطاب في تصنيف الكتب.

يقسم دليل «برونيت» إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول ويضم خمسة أجزاء بمثابة معجم بعناوين الكتب النادرة أو الثمينة التي ظهـرت، قديـماً وحـديثـاً في عالم الطبـاعة، في أهم أقطار العالم، مرتبة على الهجاء بحسب عناوينها. ويتبع عنوان كل كتاب واسمه ايضاحات نقدية تبين أهمية الكتاب وفائدته.

أمـا القسم الثـاني: مجلد واحد، هو المجلد السادس من الكتاب، ويضم ٣١٨٧٢ موضـوعـاً مختلفـاً لأشتـات المعـرفـة البشـريـة، مردهـا جميعاً إلى خمسة أصول كبرى هي: اللاهوت. الشرع أو الفقه. العلوم والفنون الآداب. التاريخ.

اعتمدت المكتبات الكبرى في فرنسا وفي غيرها من البلدان الأوربية هذا النظام الذي وضعه «برونيت».

وترغب في هذا النظام المكتبات القديمة التي تكثر فيها كتب اللاهوت والشرع والحقوق والفقه والتاريخ، وترتاح إليه المكتبات الحديثة التي تغلب فيها العلوم والفنون والآداب على اختلافها. كذلك، لانعرف في تاريخ تصنيف الكتب، قبل ظهور نظام برونيت، طريقة كاملة، تصلح لجميع المكتبات على السواء، بما فيها من اشتات المواضيع.

أما النظام الذي استنه برونيت فهو من أفضل النظم وأكملها واسهلها تناولاً، لما هو عليه من الانسجام والائتلاف. فجمع بين المبدئين التأليفي والتحليلي. فهذه الطريقة تأليفية من حيث انها تجمع في أقسامها الرئيسية، مناحي التفكير الكبرى للعقل البشري. وأما كونها تحليلية فيظهر من حيث خصت أصول وفروع، باسهاب وتفصيل، كل النتاج العقلي حسب ارتباط هذه الفروع وأقسامها وتشعباتها بالأصول العامة.

وانتشر تقسيم رونيت هذا وذاع، ويكفي أن تعلم أن المكتبة الوطنية بباريس كان الأصل في تقسيمها تصنيف برونيت. وحتى التقسيم القائم حالياً في مكتبة المتحف البريطاني فيه شبه كبير من هذا التقسيم. والنقد الموجه لهذا التقسيم طبقاً للنظريات الحديثة هو أنه ليس له كشاف وأن الترقيم الذي استعمل به صعب ومعقد ولا يروق للمكتبي في أيامنا هذه، كما أن العلوم الحديثة لاتحظى منه بالاهتمام الذي هي جديرة به.

امبير، اندريه ماري (١٧٧٥ ـ ١٨٣٦م)

فيزيائي ورياضي فرنسي وواضع قانون أمبير في الكهرباء وجد أمبير أنه يمكن تقسيم المعرفة بالطريقة الثنائية، فوضع تقسيمه لا على أساس موضوعي، وإنما على أساس الشكل.

قسم المعرفه إلى:

١ ـ العلوم الطبيعية أو العلوم المادية.

٢ ـ العلوم العقلية أو العلوم الروحانية.

١ ـ العلوم المادية وتنقسم إلى:

ـ علوم غير عضوية تعتمد على الملاحظة وهي:

طبيعة. كيمياء. جيولوجيا. فلك. مناجم وصناعات.

ـ علوم غير عضوية لاتعتمد على الملاحظة وهي:

حساب. جبر. هندسة. ميكانيك. رياضيات.

ـ علوم عضوية (أحياء) وهي :

حيوان. نبات. زراعة. تربية حيوان. سلالات.

ـ علوم عضوية (تتصل بالحياة من تغيرات) وهي :

الطب. الصحة العامة والوقائية

٢ ـ العلوم الروحية البحتة وتقسم إلى :

ـ علوم روحية فلسفية بحتة وهي :

فلسفة. نفس. منطق. اخلاق. متافيزيقا.

ـ علوم روحية بحتة للوصول إلى فكر الإنسان وهي :

علم الجدل. قواعد لغة. أدب. جمال. تنشئة أطفال.

ـ علوم الاجتماع (سياسية) وهي :

قانون عام. قانون خاص. تشريع. اقتصاد.

وهكذا تنقسم المعرفة لدى أمبير إلى قسمين كبيرين، ينقسمان إلى أربعة أبواب، تنقسم إلى ثمانية فصول، ثم إلى ستة عشر فرعاً، ثم إلى اثنين وثلاثين قسماً من الدرجة الأولى، ثم إلى أربعة وستين قسماً من الدرجة الثانية، ثم في النهاية إلى مائة وثمانية وعشرين فرعاً للعلوم المختلفة أو العلوم من الدرجة الثالثة. وليس هنالك من شك في أن ذلك التقسيم الثنائي بني على أساس فكرة منطقية سليمة وهي أن فيض المعارف ينبع من أصلين أساسيين أحدهما مادي والآخر روحي.

أوغست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٧٥) فيلسوف وضعي فرنسي. كان له فضل تسمية العلوم المنظمة للمجتمع باسم «علوم الاجتماع».

وجد هذا الفيلسوف الاجتماعي أنه من الضروري لتأسيس نظامه الاجتماعي، أن يقسم العلوم على صورة تشمل كل المعارف بحيث يبين صلة كل منها بالآخر. وعنده لابد أن تكون الغاية من العلوم نفعية، بمعنى أنها تكون مفيدة للنوع البشري.

والعلوم عنده تتدرج تدريجاً يبتديء من أكثرها واقعية وضبطاً إلى أقلها ضبطاً فأكثر العلوم دقة وضبطاً هي الرياضيات، وعلى نتاج الرياضيات تبنى العلوم الفلكية ويليها في الرتبة العلوم الطبيعية. ونتائج العلوم الطبيعية تكون الدعامة لعلم الكيمياء، وعلم الكيمياء أساس لعلم الحياة، وعلم الحياة أساس لعلم الاجتماع. فالعلوم إذاً حسب رأي كونت ترتبط بعضها ببعض من جملة وجوه:

١ ـ وجهة الدقة

٢ ـ وجهة استناد كل منها على الآخر.
٣ ـ وجهة بساطتها وتركيبها.
٤ ـ وجهة نفعها.

فالرياضيات مثلاً، أكثرها بساطة، والاجتماع أكثرها تعقيداً وتركيباً وعنده أن أكثرها دقة وضبطاً هو أبسطها وأقلها نفعاً كالفلك مثلاً وأكثرها نفعاً أقلها ضبطاً كالاجتماع الذي هو في الذروة من حيث النفع، وهو العلم الذي وقف عليه أكبر جانب من فلسفته.

إن المفهوم الحديث عن تسلسل ترتيب العلوم ومبدأ علاقة العلوم ببعضها والتي يعتمد فيها كل علم في المجموعة على العلوم التي سبقته ولكنه لايعتمد على العلوم التي تليه. هذا المفهوم يعتمد على أعمال كونت، لقد أعلن كونت أن النظام الأساسي للمعرفة هو نظام يتميز بتناقص العمومية وزيادة التعقيد. وإن هذا النظام يتفق مع التطور التاريخي والتتابع التربوي.

وقد إبتدأ نظامه بالرياضيات ثم بالفلك ثم الطبيعيات ثم الكيمياء ثم علم الاحياء ثم علم الاجتماع.

يقدم لنا كونت فلسفته الوضعية. . ويقدم لنا معها تصنيفاً للمعرفة نسميه التصنيف الوضعي. قسم كونت المعارف الانسانية الى مراحل ثلاث: المرحلة الدينية، ومافوق الطبيعة، والمرحلة العلمية. ولما كانت المرحلة العلمية هي المرحلة العامة بالنسبة لكونت، فإنه يعود فيقسمها، بصفتها مرحلته الوضعية إلى:

علوم بحتة وتشتمل على ستة علوم رئيسية: الحساب (ويشتمل على علمي الهندسة والميكانيك)، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، وعلوم الأحياء، وعلم الاجتماع. والقسم الثاني هو العلوم التطبيقية.

يقول كونت ان علم الحياة مثلاً هو العلم البحت الذي يبحث في الحياة، وان علم الامراض التي تعتور الاحياء سواء كانت حيواناً أم نباتاً هو العلم التطبيقي الذي يقابله.

إن تقسيم كونت أسهل وأكثر وضوحاً من تقسيم أمبير للمعرفة، وهو يرتكز على أساس تاريخي علاوة على الأساس الفلسفي.

سبنسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣م). فيلسوف انكليزي. درس الهندسة، والعلوم الطبيعية، وعلم النفس.

قسم العلوم في المرحلة الوضعية تقسيماً وضعياً أيضاً، ولكن إلى ثلاثة أقسام لا إلى قسمين كما فعل كونت، فقال ان العلوم تنقسم إلى:

ـ علوم بحتة : علوم الحساب والمنطق .
ـ علوم تطبيقية : الفلك . الجيولوجيا . علم النفس . علم الحياة . علم المجتمع .
ـ علوم بين هذه وتلك لاهي بالبحتة ، ولاهي بالتطبيقية ، وإنما هي علوم تدرس الظواهر التي تصادفها مثل : الكيمياء . الفيزياء . الميكانيك .

وقد حدا الخلل في تقسيم كونت بسبنسر إلى اذاعة رأي جديد سنة ١٨٦٤م في ترتيب العلوم وهو انها تنقسم إلى الأقسام الثلاثة الآنفة الذكر .

كما أن سبنسر عارض كونت في نظريته عن التطور التاريخي للعلوم . ولكن سبنسر أكد على وحدة المعرفة كما أنه فشل في محاولته انكار مبدأ كونت عن علاقة العلوم ببعضها .

وكونت وسبنسر لايدرجان علم ماوراء الطبيعة ولاعلم الكلام أو الالهيات ضمن العلوم ، بل أنهما يتخطونها ، ولا يعدونها علوماً قابلة للبحث . بينما يرى غيرهما كلا من هذين العلمين يبحث في موضوع قائم بنفسه .

أوتو هارتفج (١٨٣٠ ـ ١٩٠٣)

أما في ألمانيا فقد كان لها أنظمة تصانيف كثيرة ولكنها لم تكن منتشرة خارج المانيا ومن أشهرها والتي برزت في بداية هذا القرن هو تصنيف أوتو هارتفج ١٨٨٨ ، الذي كان يستعمل في مكتبة جامعة هاله . وقد كان له تأثيره على التصنيف في الولايات المتحدة .

أما في ايطاليا فقد كانت هناك محاولات لجمع أنظمة ديوي وهارتفج ومن الأنظمة المعروفة فيها كان نظام بونازي .

وليام هاريس (١٨٣٥ ـ ١٩٠٩) فيلسوف اميركي .

في عام ١٨٧٠ افترح وليام هاريس نظام تصنيف عام مبني على معكوس تصنيف بيكون الذي يقسم المعرفة إلى قسمين عامين : انساني وإلهي . وقد اهتم اتباع بيكون بالقسم الانساني فقط والذي اشتق من الذاكرة الخيال والعقل .

ولكن هاريس ضم القسم الثاني إلى الديانات ، وبعد أن عكس ترتيب أجزاء القسم الأول ، بدأ هاريس مختصر تصنيفه بالعلوم بما في ذلك الفلسفة والدين الخ ، ثم أضاف الفنون مشتملاً على الفنون الجميلة والشعر والقصة ، واخيراً التاريخ الذي ضمنه الجغرافيا والتاريخ المدني والتراجم . وهذا التقسيم يشبه مابدأه ديوي .

بيكون	هاريس
الاصلي	المعكوس

التاريخ	الفلسفة	العلوم ـ الفلسفة . ـ الدين . ـ العلوم الاجتماعية والسياسية . ـ العلوم الطبيعية والتطبيقية .
الشعر	الشعر	الفن ـ الفنون الجميلة . ـ الشعر . ـ القصة . ـ المتنوعات الأدبية .
الفلسفة	التاريخ	التاريخ ـ الجغرافيا والرحلات . ـ التاريخ المدني . ـ التراجم .

وقد اتبعت بعض المكتبات طريقة المكان الثابت للكتاب ، أي أن الكتاب عندما يأتي إلى المكتبة لأول مرة يعطي رقماً ويوضع على الرف بموجب هذا الرقم ويعرف به ، ولكن هذا الرقم لايدل بحال من الأحوال على موضوع الكتاب وإنما يدل على مكان الكتاب في المكتبة . فإذا فرضنا أن الكتاب كان هو الكتاب الرابع الذي وضع على الرف الخامس من الواجهة الجنوبية في الغرفة رقم ٧ أصبح رقمه الذي يعرف به هو ٤×٥ /٧ج وهكذا يستعمل هذا الرقم في التعرف على هذا الكتاب ويعاد بموجبه ، وعندما يعاد الكتاب إلى المكتبة يعاد إلى مكانه الثابت .

ولكن هذه الطريقة عقيمة واعاقت البحث العلمي كثيراً ، وكانت من العقبات الرئيسية التي احالت دون انتشار المكتبات لأنها لاتفرق بين كتاب يبحث في الطب وكتاب يبحث في الشعر وإنما تضع هذا بجانب ذاك دون التفات إلى اختلاف المادة في كل منهما . وظل الوضع على حاله حتى أتى ديوي وأوجد تصنيفه الشهير فأحدث ثورة في عالم التصنيف ، وكان ذلك بداية سلسلة من التصانيف ظهرت في العالم ، وكلها تهدف إلى تسهيل عملية ترتيب الكتب حسب الموضوعات .

ثالثاً ـ تاريخ التصنيف عند العرب

١ ـ مقدمة :

يمكن أن نشير إلى أن هناك مفهوماً أساسياً تكون عبر القرون بالنسبة للتصنيف العربي. وهو وحدة العلوم والمعارف الإنسانية.

وانطلاقاً من هذا المفهوم الأساسي لوحدة العلوم المختلفة، فقد اعتبرت العلوم كلها فروعاً لشجرة واحدة ترسل ثمراتها وأوراقها طبقاً لطبيعة الشجرة ذاتها.

وإذا كان أحد فروع الشجرة لايمكن أن ينمو بصورة مطلقة، فإن أي فرع من فروع المعرفة لاينمو بصورة غير محدودة أيضاً. . ومعنى ذلك أن كل فرع من فروع العلم محدود بنطاق المعارف والعلوم الانسانية الأخرى. . ولاينمو ذاتياً دون اعتبار للفروع الأخرى النامية من الشجرة ذاتها.

وعلى الرغم من أن فكرة وحدة العلوم واعتمادها بعضها على بعض موجودة منذ أفلاطون ودارت حولها فلسفته في التصنيف إلا أن هذه الفكرة قد تدعمت ورسخت في التفكير العربي مع عقيدة التوحيد التي نادى بها الاسلام. . كما أن التفكير الأرسطي في التصنيف له تأثير ملحوظ على تصنيف العرب للعلوم. ولكن التصنيف العربي يختلف عن الارسطي في وجوه عديدة كما سنرى مع جابر بن حيان ومع الكندي ومع تصنيف اخوان الصفا ومع تصنيف الخوارزمي وغيرهم. . .

وعلى كل حال فقد وضع العلماء والفلاسفة العرب تصانيف نعرف بعضها ولانعرف البعض الآخر معرفة كافية حتى الآن وبالتالي فإن تصنيف العرب للعلوم موضوع مفتوح للبحث والدراسة والمقارنة وذلك كحلقة رئيسية في التقدم الانساني العلمي الحضاري، حيث أخذ العرب ممن سبقوهم وأضافوا اضافات أصيلة وعنهم أخذت الحضارة الأوروبية على يد بيكون وكلود برنارد وغيرهم.

كان الكندي ـ فيلسوف العرب ـ والفارابي ـ المعلم الثاني ـ أول من قسم المعرفة عند

العرب. أما إذا أتينا إلى تصنيف الكتب قفز إلى الأذهان محمد بن اسحق بن النديم.

وكثير ون هؤلاء الذين حاولوا أن يكتبوا تصانيف للكتب العربية بعد ابن النديم، فالعرب هم الذين جعلوا تقسيم العلوم علماً قائماً بذاته لذاته، بل أنهم أدرجوا ذلك العلم ضُمن العلوم الإلهية.

يقول حاجي خليفة أن من أجاد علم تقسيم العلوم استطاع في سهولة ويسر أن يعلم حال العالم بالعلم وحال من يدعي علماً به.

كان أول من وضع تقسيماً للعلوم عند الغرب هو جابريل نودي، ولكن طاشكبري زاده سبقه إلى تصنيف الكتب بقرابة مائة عام. وحاجي خليفة واحد من الذين وضعوا قواعد تصنيف الكتب بالمعنى الذي نستعمله اليوم، وكان من أئمة المشتغلين بعلم التصنيف، ومن أوائل الذين وضعوا أسساً لتصنيف الكتب قبل الكثيرين من الذين يدعون ذلك من الغربيين.

كان تقسيم المعرفة وتصنيف الكتب تبعاً لذلك، موضوعاً يتناوله سائر الفلاسفة بالبحث، كانوا يقولون إن أول العلم بالمعرفة هو تصنيفها. وكان العرب يقولون إن العالم يختبر بمقدار ما يدريه عن علم تقسيم المعرفة ذلك. فهذا هو الفارابي يجعل من ضمن الأسباب التي دعته إلى أن يصنف كتابه (احصاء العلوم) هو أن يحصي لك العلوم علماً علماً وأجزاء كل ماله من أجزاء، حتى إذا سألك سائل أجبته فتأكد لديه معرفتك بالعلم.

٢ ـ في العصور القديمة:

حاول الإنسان منذ أقدم العصور أن يصنف المعرفة الانسانية وكتبها فتاريخ تصنيف الكتب والمكتبات تاريخ طويل وعريض. طويل لأنه يبدأ من أعماق الزمان ويمتد إلى هذا العصر الذي نعيش فيه، وعريض لأنه لايتحدد بقطر من الأقطار أو أمة من أمم العالم القديم أو الحديث وإنما هو يتتبع مراكز الاشعاع الثقافي وينتقل معها على مر العصور من قطر الى قطر ومن وطن إلى وطن.

وفي أرض الشرق القديم تمتد أعمق جذور هذا التاريخ الطويل. فالعرب هم أصحاب حضارة وتراث فهم لم يكونوا مجرد ناقلين لحضارة ماقبلهم، ولكنهم أسهموا إسهاماً أصيلاً في مختلف العلوم والفنون والآداب فقد وجدت دار الكتب في مصر القديمة قبل الميلاد

بما يقـرب من ثلاثـة آلاف عام وفي حدود سنـة ٢٠٠٠ ق . م كانت هنـاك مكتبـات تحوي برديـات مطـويـة ومحفوظة في جرار معنونة ومصفوفة على رفوفها، وفي بلاد مابين النهرين تجد كتب البـابليـين والآشـوريـين منـذ الألف الثـالث قبـل الميـلاد، فقد كانت الألواح الطينية المحفوظة في جرار، مصنفة ومرتبة على رفوف تملأ عدداً كبيراً من المكتبات في هياكل الدولة البـابليـة وقصـورهـا . وفي مدينة نينوى عثر على محفوظات وألواح في مكتبة الملك الآشوري آشـور بانيبـال الـذي عني بجمع تراث البابليين والآشوريين في مختلف فروع المعرفة، فأنشأ مكتبـة بلغت مقتنيـاتها ثلاثين ألفاً من الألواح الطينية التي تسجل أدب الآشوريين وتاريخهم وحضـارتهم وكـانت هذه الألـواح مرتبـة في مجمـوعـات بحيث لاتختلط ألواح النص الواحد بغيرها، فكان كل لوح يحمل عنوان السلسلة التي تأتي ضمنها ويبدأ بتكرار السطر الآخير من اللوح السـابق عليـه، حتى إذا كان اللوح الأخـير من النص ذكـر فيه عدد الألواح التي يشملهـا الكتـاب كله . وكـانت هذه الألـواح مرتبة حسب الموضوع فكانت توضع اللوحات الفخارية في جرار وترتب الجرار على الرفوف حسب موضوعاتها، وكانت المكتبة ضخمة جداً لدرجـة أنهـا شغلت عدداً كبـيراً من الغـرف مخصص للمـوضوع الواحد غرفة أوأكثر. وقد صنِّفت هذه الألـواح تحت رؤ وس موضـوعـات ستـة هي التـاريخ والقانون والعلوم والسحر والعقائد والأساطير ومفهرسة في فهرس مصنف أيضاً،

وتقـول مصـارد أخـرى بأن الآشـوريـين قد قسموا الأفكار المكتوبة على الألواح إلى قسمين الأول منها يعالج علوم الأرض، وأما الثاني فعلوم الفلك والنجوم .

أما السومريون الذين سكنوجنوبي العراق فكانوا يصنفون كتبهم حسب الموضوعات فكانت اللوحات المحتوية على الشعر في مكان والمحتوية على الملاحم في مكان آخر.

وقد أعتمدت نظرية التصنيف عند العرب على الانتاج الفكري والعقلي الذي انتجه العلماء والمفكرن العرب وفي وادي النيل كان لمصر شرف السبق الى اختراع الكتابة وانشاء أول مكتبة عامة ونعني بها مكتبة الاسكندرية التي كانت مركزاً مشعاً للبحث العلمي ويقوم عليهـا كبـار من رجـال العلم والأدب أمثال كاليماخوس وأرستاخوس وكانت المكتبة ملحقة بالمتحف الـذي كان بدوره تابعـاً للقصـر الملكي ، وكـان الملك نفسـه هو الذي يتولى اختيار القـائمـين عليهـا عنـدمـا كانت مصـر تحت سيطرة اليونان ولقد واجهت المكتبة لأول مرة في التاريخ مسؤ وليتين خطيرتين .

أولاهما : تتصـل بالـتـراث الانسـاني نفسـه إذ لم تكن تقتصر على مجرد تصحيح النصوص وإنما تعدت ذلك الى تقسيمها وتصنيفها الى لفائف على حسب طول النص أو

قصره وكان الكتّاب والنساخون في العصر القديم لايستعملون علامات الترقيم ومن ثم كانت قراءة النصوص تتطلب مشقة كبيرة وعسراً شديداً فكانت المكتبة تعمل على حل هذه المشكلة بتصنيف هذه النصوص إلى لفائف على حسب الطول للنص أو قصره فقد كانت النصوص في القديم تكتب على لفائف نبات البردي الذي كان ينمو بكثرة هائلة على مجرى النيل وكان المصريون يصنعون من سيقانه صحفاً يكتبون عليها وكانت هذه النصوص تختلف طولاً وقصراً وتقوم حول قطع اسطوانية من المعدن أو الخشب وتكون الكتابة على وجه واحد من البردية وبعد الانتهاء من الكتابة عليها تربط بخيط وتحفظ في حافظة من الرف أو تحفظ في جلود وبالطبع لم يكن يمكن للفافة واحدة أن تستوعب نصا من النصوص الطويلة فكان لابد من تقسيم تلك النصوص على عدد من اللفائف متوسطة الحجم كي يسهل حفظها وتصنيفها وتجمع في مكان واحد يحمل اسم المؤلف وتحفظ في عيون أو ثقوب في الجدران تختلف أحجامها باختلاف عدد لفائف الكتاب الواحد ولم يكن لهذه العيون أبواب تغلق عليها وإنما كانت كعوب اللفائف ظاهرة للعيان وكانت توضع على الرفوف دون وقاية ولكن بنظام وكان يلصق على كل لفافة بطاقة صغيرة مكتوب عليها اسم الكتاب المدون بها واسم مؤلفه. لذلك فإن المكتبة المصرية القديمة لم تكن لتروق الناظر المتفرج فقد كانت عبارة عن جملة رفوف أو خزانات موضوع عليها وفيها لفافات البردي ولايظهر فيها إلا أطرافها المستديرة.

أما المسؤولية الثانية التي تصدت لها مكتبة الاسكندرية فكانت عمل أول ثبت بالتراث القومي لليونان ولقد ارتبطت هذه المسؤولية بشخصية كتب لها الخلود في تاريخ مكتبة الاسكندرية وهي شخصية كاليماخوس.

كاليماخوس (٣١٠ - ٢٤٠ ق.م)

ولد كاليماخوس في برقة وهاجر في مستهل حياته إلى الاسكندرية/لعب كاليماخوس دوراً هاماً في تاريخ مكتبة الاسكندرية، فقد جهز تصنيفاً خاصاً لمجموعات الكتب التي كانت موجودة في المكتبة عندما عين مديراً لها وهذا العمل هو الذي ميزه كمكتبي عن غيره، ويعتبر بذلك من أوائل المصنفين في العالم المكتبي، بل يمكن القول أن أقدم ماوصلنا من تصنيف للكتب هو الذي وضعه كاليماخوس. ولما كان التصنيف الذي اتبعه كاليماخوس لم يعثر عليه بشكله الكامل. فقد عمد الباحثون إلى تفسير أجزاء هذا التصنيف حسب الكتابات التي عثروا عليها. وهناك ثلاثة أقسام معروفة على وجه التأكيد وهذه الأقسام هي:

(أ) فن الخطابة.
(ب) القانون.
(جـ) متنوعات.

وهناك قسمان آخران هما التاريخ والفلسفة، عرفا بعد ذلك، ويمكن اضافتهما إلى الأقسام الثلاثة السابقة.. وعلى الرغم من أن هذه الأقسام هي التي تم العثور عليها، إلا أن معظم الثقاة يؤكدون بأن هناك عشرة أقسام للتصنيف وبالتالي فقد استنتجوا بأن الأقسام الخمسة الباقية هي:

- الملاحم والبطولات وغيرها من ألوان الشعر غير الدرامي.
- الدراما.
- الطب.
- علوم الرياضيات.
- العلوم الطبيعية.

هذا وقد أعطى كاليماخوس - تحت التصنيف - اسم المؤلف ومكان ميلاده واسم والده واساتذته وتعليمه ولقبه وترجمة قصيرة لحياته وعناوين أعماله ومؤلفاته، وتعليق حول أصالة هذه المؤلفات وأخيراً الكلمات الأولى من مؤلفه وعدد سطور مخطوطه.

وضع كاليماخوس تصنيفه لمكتبات الاسكندرية ذلك أنه لم يكن أميناً لمكتبة الاسكندرية الرئيسية كما يظن الكثيرون خطأ، فالقوائم التي وصلتنا عنه هي قوائم لكل الكتب التي كانت موجودة في مكتبات الاسكندرية. ويكون كاليماخوس بذلك أول من وضع قوائم موحدة لكل الكتب الموجودة بهيئة ما أو بمدينة ما وفي مكتبات متعددة.

صنف كاليماخوس المواد بموجب تصنيف مقسم إلى أقسام كبرى رئيسية شملت المعرفة الانسانية كلها. وهناك مايدل على أنه كانت أبواب وفصول لهذه الأقسام الرئيسية. وان بعض الفصول كانت تقسم زمنياً والبعض الآخر كانت توضع فيه الكتب طبقاً لنظام خاص يعتمد على المؤلف.

أما في مكتبات الأديرة القديمة عند العرب التي وجدت في شبه جزيرة سيناء فقد كانت الكتب ترتب حسب المواضيع وحسب الأحجام حيث كانت توضع في خزائن تحمل كل خزانة رمزاً وتوزع الكتب حسب أحجامها في رفوف يحمل كل رف رقماً. أما الكتاب نفسه فيحمل علامة مطبعته أي أن الترتيب كان على النحو التالي: الخزانة - الرف - الكتاب - علامة المطبعة.

وهكذا فإننا نلاحظ إذا ماقمنا بمقارنة بسيطة بين عمليات التصنيف التي كانت متبعة في كل مكتبة وكل بقعة من أرجاء الوطن العربي القديم فإننا نلاحظ التشابه في طرائق التصنيف المبتعة لديهم فجميعهم (الآشوريون ـ المصريون ـ الأديرة ـ البابليين ـ) قد اعتمدوا التصنيف الشكلي/ والموضوعي في بعض الأحيان فكانوا يجمعون الكتب ويضعونها في جرار مرتبة ومصفوفة ويجمعون في خلال ذلك البرديات والألواح القصيرة مع بعضها والطويلة مع بعضها.

٣ ـ في العصور الوسطى

ظهرت المكتبات عند العرب وتطورت نتيجة لانتشار المعرفة والعلم في العالم العربي. واهتم العرب بتصنيف وتنظيم المكتبات، وكانت الفهارس على نوعين فهي إما أن تكون مكتوبة في مجلدات تستعمل كالكتب فيرجع إليها المطالع من أجل معرفة محتويات المكتبة وإما أن تكون اسماء الكتب والمؤلفين مكتوبة على لائحة معلقة على مدخل كل قسم من الأقسام. وكانت المطبوعات مرتبة حسب المواضيع أي أن كل موضوع له فهارسه الخاصة به.

واستخدم العرب التصنيف وسيلة رتبوا بها المواد في مكتباتهم، فقد كانوا يرتبون الكتب حسب الموضوعات. فقد خصصت غرفة أو أكثر لكل فرع من فروع المعرفة الإنسانية، وذلك في المكتبات الكبرى كمكتبة الحكم الثاني المستنصر بالله الخليفة الأموي الاندلسي في قرطبة والذي حكم الاندلس بين سنتي ٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ وكمكتبة دار الحكمة في القاهرة التي أسسها الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله سنة ٣٩٥هـ. أو يفردون الكتب الباحثة في موضوع واحد من موضوعات المعرفة الانسانية في خزانة خاصة بها أو يضعونها على رف مستقل وذلك حتى يسهل تناولها ولايتعب مناولها.

الكندي (٨٠١ ـ ٨٦٥)

يعتبر جابر بن حيان أول من وضع تصنيفاً عربياً للعلوم إلا أن هذا التصنيف مفقود. ولم يتبع جابر بن حيان في تصنيفه التقليد الارسطي في تقسيم العلوم، بل انفرد بترتيب خاص.

وجاء الكندي بعد ذلك فصنف علوم عصره ولكنه لايختلف عن التصنيف الارسطي إلا من حيث اهتمام الكندي بدين موحى به في مقابل التدين بالفلسفة لدى ارسطو.

درس الكندي علوم الدين واللغة والآداب، وهو أول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين.

يعد الكندي أول مصنف للعلوم عند العرب وهو صاحب قسمة العلوم إلى قسمين: دينية وفلسفية أو دينية ودنيوية أو علوم إلهية وعلوم انسانية. هذا التفسيم هو من ابتكار الكندي، ولانقول أنه أخذه من الغرب. وكانوا قبل الكندي يدرجون علوم الدين ضمن علوم الفلسفة، ولكننا نرى فلاسفة المسيحية بعد الكندي يأخذون ذلك عنه.

إن الكندي لم يعمد إلى وضع تصنيف للعلوم، قائم بذاته من حيث هو تصنيف نظري للمعارف، كما فعل الخوارزمي أو الفارابي من بعده، ولكن تصنيفه للعلوم كان تصنيفاً عملياً جاء أثناء ترتيبه لكتب ارسطو في رسالته التي أسماها «كتب ارسطو طاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة».

وكان للكندي مكتبة كبيرة تسمى بالكندية، فلا عجب أن كان عالماً بالكتب وتصنيفها. وقد قسم علوم الفلسفة إلى ثلاثة:

العلم الرياضي. علم الطبيعيات. علم الربوبية.

وقسم العلوم الرياضية إلى:

- ماكان مركب من مادة وصورة وهي:

نبات. حيوان. انسان. جماد.

- ماكان مستغنياً عن الطبيعة وهي:

النفس.

وإذا ماانتهى الكندي من العلوم الانسانية بما فيها من رياضيات، ومنطق، وطبيعة، ومابعد الطبيعة، واخلاق وسياسة، ذكر أن هناك نوعاً من العلوم، ذلك الذي يتم بلا طلب، ولاتكلف ولابحث. . . . . وهو علوم الاسلام.

يقول الكندي عن الفلسفة انها علم الأشياء بحقائقها، وإذا فغايتها إدراك الحقيقة، ويقول عن الشريعة إنها تعلم الانسان ماهو حق، وهو إذ يفعل ذلك يجمع بين الفلسفة والشريعة على مبدأ واحد هو معرفة الحق وعمل الخير.

الفارابي (٨٥٠ ـ ٩٥٨م):

ويسمونه المعلم الثاني لأنه جمع ماألفه ارسطو المعلم الأول. فيلسوف المسلمين شرح كتب ارسطو.

يعتبر تصنيف الفارابي لعلوم عصره واحداً من أقدم التصانيف العربية، وأكثرها

تأثيراً في جميع التصانيف التي جاءت من بعده. وقد سجل الفارابي تصنيفه في كتابيه «التنبيه على السعادة» «واحصاء العلوم». والأخير كتاب معروف في الغرب وترجمه الى اللاتينية العالم جرارد من كريمونا كما ان لكتاب الفارابي ترجمة عبرية كذلك... كما ظهر تصنيف الفارابي أيضاً في كتابه «التنبيه على السعادة».

وعلى الرغم من أن الفارابي قد كتب بعض المؤلفات في الكيمياء وتفسير الاحلام وغيرها من العلوم المشابهة، إلا أنه لم يشملها بصراحة في تصنيفه... وأن كان قد ضمن تصنيفه في مجال الفيزياء تفاعلات العناصر لتكوين المركبات، كما ينبغي الإشارة إلى ان العلماء العرب من بعد الفارابي قد اهتموا بهذه العلوم وبالكيمياء وغيرها...

ادرج الفارابي تصنيفه للمعرفة في كتابه «احصاء العلوم» وفيما يلي موجز لهذا التصنيف حيث قسمه إلى ستة أقسام وكل قسم إلى أجزاء وكل جزء إلى مراتب:

١ ـ علوم اللسان، وهي اللغة. النحو. الصرف. القراءة. الشعر.

٢ ـ المنطق، وهي المقولات. القضايا. القياس. البرهان. الجدل. السفسطة. الشعر. الخطابة.

٣ ـ الرياضيات، وهي العدد. الهندسة. المناظر. علم الأوزان. صناعة الأدوات. علم الحيل. علم النجوم. علم الموسيقى. علم الأثقال.

٤ ـ العلوم الطبيعية، وهي علم الحيوان. والنبات والجماد والانسان والنفس.

٥ ـ العلوم المدنية.

٦ ـ ماوراء الطبيعة، وهي الالهيات والخلقيات والسياسة الاجتماعية.

ولقد ظهر تصنيف الفارابي وتأثيره على العلماء العرب الذين جاءوا من بعده وأهمهم في هذا المجال ابن سينا ـ الغزالي ـ ابن رشد.

الخوارزمي (القرن العاشر م)

(وهو غير الخوارزمي صاحب علم الجبر المشهور، الذي عاش في القرن التاسع).

الخوارزمي مؤلف أقدم دائرة للمعارف هذه التي أسماها «مفاتيح العلوم» قسم المعرفة فيها تقسيماً شكلياً إلى قسمين:

١ ـ علوم شرعية (علوم العرب) وتقسم إلى:

ـ علوم الشريعة وتبحث في الفقه والكلام.

ـ علوم تتصل بالشريعة وتبحث في النحو والكتابة والشعر والعروض والأخبار.

٢ ـ علوم فلسفية (علوم اليونان) وهي العلوم الدخيلة وتشمل: الفلسفة. المنطق

الطب. الحساب. الهندسة. الفلك. الموسيقى. الحيل. الكيمياء.

ويكون الخوارزمي بذلك أول من أضاف من الفلاسفة العرب إلى تقسيم المعرفة علمي الطب والكيمياء. لم يقصد الخوارزمي بدائرة معارفه هذه تصنيفاً للعلوم وإنما ألفها بالمقام الأول لشرح بعض الألفاظ. لذلك لايستند تقسيم الخوارزمي على أساس منطقي، ولا على أساس فلسفي.

ميز الخوارزمي ـ كما ورد آنفاً ـ بين العلوم العربية الصرفة والعلوم الأجنبية وبالتالي تحرر من النظريات الفلسفية الاغريقية.

اخوان الصفا:

وحتى اخوان الصفا الذين كان هدفهم تطهير الشريعة بالفلسفة، والذين كانوا ـولون ان الشريعة قد تدنست بالجهالات، ولاسبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، حتى هؤلاء حاولوا أن يرتبوا المعرفة على نحو معين، وقصدوا ذلك النحو من الترتيب لشتى فروع المعرفة واصروا عليه.

وأما الترتيب الذي حاولوه، واصروا عليه خلال رسائلهم فكما يلي:

الرياضيات، وتشتمل على علوم العدد، والهندسة، والنجوم والموسيقى.

ثم الطبيعيات، وتبحث في كل الموجودات من جماد ونبات وحيوان.

ثم العقليات، وتبحث في نواميس الكون ومنشأ الأخلاق.

ثم الغيبيات، وتبحث في الأمور الغيبية.

وضع اخوان الصفا رسائلهم وقسموها طبقاً لذلك التقسيم الذي ذكرناه للمعرفة، قسموها إلى أقسام أربعة:

الرسائل الرياضية.

الرسائل الجسمانية الطبيعية.

الرسائل النفسية العقلية.

الرسائل الناموسية الالهية والشرعية والدينية.

ولكل من هذه الأقسام أصول وفروع. وفضلاً عن ذلك، فقد افرد اخوان الصفا فصلا خاصا قسموا فيه المعرفة واسموه فصلاً «في اجناس العلوم»، وتصنيف المعرفة لديهم يعتبر علماً بذاته. والعلوم ـ حسب قول اخوان الصفا ـ التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس:

١ ـ العلوم الرياضية وهي تسعة أنواع:

الكتابة والقراءة. اللغة والنحو. الحساب والمعاملات. الشعر والعروض. الرجز والفأل.

السحر والعزائم. الكيمياء والحيل. الحرف والصنائع. البيع والشراء والتجارات.

٢ ـ العلوم الشرعية الوضعية وهي ستة أنواع:

التنزيل. التأويل. الروايات والأخبار. الفقه والسنن والأحكام. التذكار والمواعظ والزهد والتصوف. تأويل المنامات.

٣ ـ العلوم الفلسفية وهي أربعة أنواع:

آ ـ الرياضيات وهي: العدد. الهندسة. الفلك. الموسيقى (علم التأليف).

ب ـ المنطقيات وهي: صناعة الشعر، صناعة الخطب، صناعة الجدل، صناعة البرهان، السفسطة.

جـ ـ العلوم الطبيعية وهي: علم المبادىء الجسمانية، علم السماء والعالم، علم الكون، علم حوادث الجو، علم المعادن، علم النبات، علم الحيوان.

د ـ العلوم الالهية وهي: علم معرفة الباري، علم الروحانيات، علم النفسانيات، علم السياسة، علم المعاد وهو معرفة ماهية النشأة الأخرى.

أما علم السياسة فهو خمسة أنواع:

السياسة النبوية: يختص بها الأنبياء.

السياسة الملوكية: يختص بها خلفاء الانبياء.

السياسة العامية: وهي الرياسة على الجماعات.

السياسة الخاصية: معرفة كل انسان كيفيفة تدبير منزله.

السياسة الذاتية: معرفة كل انسان نفسه وأخلاقه.

إن رسائل اخوان الصفا تشبه دائرة معارف مشبعة بآراء أصحابها الفلسفية والعلمية والاجتماعية والدينية. كما أننا نجد تصنيفاً مميزاً في رسائل اخوان الصفا، فقد رتبت مادتها بطريقة موضوعية يمكن التعرف منها على نظام للتصنيف يقسم المعرفة أقساماً رئيسية أربعة ـ كما ورد أعلاه ـ.

والجديد في تصنيف إخوان الصفا، هو اعتبارهم علم السياسة ضمن العلوم الإلهية وتقسيمهم له إلى خمسة أقسام. والسبب في ذلك يعود إلى رغبتهم في اصلاح الشرائع عن طريق الفلسفة.

ابن النديم

ابن النديم صاحب «الفهرست» والذي يعتبر نظام التصنيف فيه أول نظام تصنيف يصلح للتطبيق على الكتب. والفهرست مقسم إلى عشرة مقالات، وتحتوي هذه المقالات

على أربعة وثلاثين فناً من مختلف الفنون وذلك على النحو التالي:
المقالة الأولى ـ ثلاثة فنون:
١ ـ لغات الامم من العرب والعجم وأنواع كتاباتها.
٢ ـ اسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين.
٣ ـ لغة القرآن.
المقالة الثانية ـ ثلاثة فنون في النحويين واللغويين:
١ ـ النحو واخبار النحويين (نحاة البصرة) وأسماء كتبهم.
٢ ـ النحو واخبار النحويين (نحاة الكوفة) وأسماء كتبهم.
٣ ـ قوم من النحويين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم.
المقالة الثالثة ـ ثلاثة فنون في الأخبار والآداب والسير والأنساب:
١ ـ اخبار الاخباريين واصحاب السِّير وأسماء كتبهم.
٢ ـ اخبار الملوك وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم.
٣ ـ اخبار الندماء والجلساء والمغنين وأسماء كتبهم.
المقالة الرابعة ـ فنان في الشعر والشعراء:
١ ـ طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين ممن لحق الجاهلية.
٢ ـ طبقات الشعراء الاسلاميين وشعراء المحدثين.
المقالة الخامسة ـ خمسة فنون في الكلام والمتكلمين.
١ ـ الكلام والمتكلمين من المعتزلة.. وأسماء كتبهم.
٢ ـ اخبار متكلمي الشيعة... وأسماء كتبهم.
٣ ـ اخبار متكلمي المجبرة والحشوية... وأسماء كتبهم.
٤ ـ اصناف متكلمي الخوارج.. وأسماء كتبهم.
٥ ـ اخبار الزهاد والعباد والمتصوفة وأسماء كتبهم.
المقالة السادسة ـ ثمانية فنون: في الفقه والفقهاء والمحدثين.
١ ـ أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم.
٢ ـ أخبار أبي حنيفة وأصحابه وأسماء كتبهم.
٣ ـ أخبار الامام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم.
٤ ـ أخبار داود وأصحابه وأسماء كتبهم.
٥ ـ أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم.

٦ ـ أخبار أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم.

٧ ـ أخبار الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم.

٨ ـ أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم.

المقالة السابعة ـ ثلاثة فنون في الفلسفة.

١ ـ أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم.

٢ ـ أخبار المهندسين والارتماطيقيين والموسيقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات.

٣ ـ الطب وأخبار المستطببين وأسماء كتبهم.

المقالة الثامنة ـ ثلاثة فنون: في الخرافات والسحر والشعوذة.

١ ـ أخبار المسامرين والمخرفين وأسماء الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات.

٢ ـ أخبار المشعبذين والسحرة وأسماء كتبهم.

٣ ـ في الكتب المصنفة في معان شتى لايعرف مصنفوها ولا مؤلفوها.

المقالة التاسعة ـ فنان: في المذاهب والديانات غير الاسلامية.

١ ـ وصف مذاهب الصابئة.. والمزدكية وأسماء كتبهم.

٢ ـ وصف المذاهب غريبة الطريقة كمذاهب الهند والصين وغيرهم من الأمم.

المقالة العاشرة ـ أخبار الكيميائيين والصوفيين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم.

صنف ابن النديم اذن مجموعات الكتب التي وعاها حتى عصره إلى مجموعات عشر.

١ ـ اللغات والكتب المقدسة وعلوم القرآن.

٢ ـ النحو واللغة العربية.

٣ ـ الأخبار والانسان.

٤ ـ الشعر.

٥ ـ علوم الكلام.

٦ ـ الفقه والحديث.

٧ ـ الفلسفة والعلوم القديمة.

٨ ـ الاسماء والخرافات والسحر.

٩ ـ المذاهب والاعتقادات.

١٠ ـ الكيمياء.

وليست هنـاك فكـرة فلسفية وراء تصنيف ابن النديم للكتب على هذا المنوال كما أنه لايوجد ترتيباً تاريخياً وراء هذا التقسيم. ولكن مايلفت النظر أنه وضع من المبادىء الأولى في علم تصنيف الكتب.

وكتـاب ابن النـديم «الفهـرست» من أقـدم كتب الـتراجم ومن أفضلها. لخص فيه الـتراث الاسـلامي في صورة ابهـرت أهـل الغـرب، وهـو فهـرست بكتب العلوم القـديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منا باللغة العربية.

جمع فيـه مؤلفـه أسـماء الكتب التي عرفهـا حتى أواخـر القـرن الرابع ونسقها حسب مواضيعهـا ثم اثبتهـا تحت اسـماء مؤلفيهـا، فعرف المؤلف تعريفاً موجزاً، ووصف الكتاب حيث تيسر ذلك وصفاً قصيراً. واسلوبه في التأليف أن يقدم الكلام في الفنون التي بوبها إلى أن يستكمل ابحاثه ثم يترجم المؤلفين فيها ويسرد أسماء مؤلفاتهم جميعاً سواء أكانت كلها مما يتعلق في الفنون أم لم يكن، ويطيل في بعض التراجم ويختصر في بعضها، وربما ذكر أسماء الكتب المؤلفة في الفن الذي يتكلم عنه في باب خاص.

ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧)

يقسم ابن سينا المعرفة إلى:

أولاً ـ نظرية:

١ ـ المنطق.
٢ ـ العلم الطبيعي.
٣ ـ العلم الرياضي.
٤ ـ العلم الإلهي.

ثانياً ـ عملية:

١ ـ علم الاخلاق.
٢ ـ تدبير المنزل.
٣ ـ تدبير المدينة.
٤ ـ علم النبوة.

يقسم ابن سينا الاجناس الواردة اعلاه إلى أقسام أصغر. ويقسم المنطق إلى اقسامه التسعة التي سبق القول عنها، وهو لايضيف شيئاً جديداً إلى مانقله الفارابي عن ارسطو.

الغزالي (١٠٥٩ ـ ١١١١م) الفيلسوف المتكلم الصوفي.

يقسم علوم الفلاسفة إلى أقسام ستة رئيسية هي:

١ ـ رياضية : تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم، ولا يتعلق شيء منها بالامور الدينية بل هي أمور برهانية .

٢ ـ المنطقيات : لايتعلق شيء منها بالدين .

٣ ـ بحث في عالم السماوات وكواكبها . وماتحتها من الأجسام المفردة . . كالماء والهواء والتراب والنار، ومن الأجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن .

٤ ـ الالهيات .

٥ ـ السياسيات .

٦ـ علم الكلام : يبحث في ذات الله وصفاته القديمة وصفاته العقلية وأحوال الانبياء والأئمة ، وفي أحوال الموت والحياة والقيامة والبعث والحشر والحساب ورؤية الله . وهو يقسم علم الكلام إلى أصول وتوحيد .

ابن خلدون (١٢٣٢ ـ ١٤٠٦) .

مؤرخ فيلسوف اجتماعي . يقسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين رئيسيين : علوم طبيعية ، وعلوم نقلية . فأما العلوم الطبيعية فهي علوم يهتدي اليها الانسان بفكره . وأما العلوم النقلية فهي علوم يأخذها المرء عمن وصفها . وهو يقسم العلوم النقلية أو الشرعيات كما يسميها أحياناً أخرى ، إلى علوم مأخوذة من الكتاب والسنة . وهي : علم التفسير . علم القراءات . علم الحديث . علم الفقه . علم الكلام . علم التصوف . وإلى علوم اللسان العربي وهي : اللغة والنحو والبيان والأدب . ويقسم ابن خلدون العلوم الطبيعية إلى أقسام أربعة :

١ ـ علم المنطق .

٢ ـ العلم الطبيعي : اذا ترجمنا ذلك إلى لغتنا الحاضرة فإنما يعني علوم الحيوان والنبات والجيولوجيا والمترولوجيا (الظواهر الجوية والأرضية) . وكذلك الميكانيك وعلم الطب . وعلم الفلاحة .

٣ ـ العلم الإلهي أو الميتافيزيقا .

٤ ـ علوم التعاليم : الحساب . الهندسة . علم الهيئة (الفلك) الموسيقا .

وفي النهاية يقول ابن خلدون عن الفلسفة أنها علم قائم بذاته .

تعتبر مقدمة ابن خلدون من أفضل ماكتبه العلماء المسلمين في تصنيف العلوم الاسلامية .

لقد جاء ابن خلدون عند نهاية أكثر فترات التاريخ الاسلامي نشاطاً ، كما يمثل

تحليـل ابن خلدون للعلوم نتائج انعكاساته وملاحصاته الدقيقة ـ كعالم التاريخ ـ على حقبة كاملة من التـاريـخ الاسـلامي الخصب: لقـد قام ابن خلدون بمسـح للآداب والعلوم في العالم الإسلامي محدداً هدف ونطاق كل واحد من هذه الدراسات. وربما يعتبر تصنيف ابن خلدون ملخصـاً لخطـة دراسـة العلوم والآداب في المعـاهد الاسلامية الدينية خلال القرون المـاضيـة. . وعلى الرغم من ان بعض المعاهد لم تدرس جميع الموضوعات التي أحصاها ابن خلدون في تصنيفـه، فإن هذه المعـاهـد قد أقـرت المبـادىء العـامة لتصنيفه الذي قد يعتبر الصيغة النهائية للتقسيم الإسلامي للعلوم.

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن ابن خلدون قد تأثر بالخوارزمي في تصنيفه. . . إذ قسم ابن خلدون علوم عصره إلى علوم طبيعية، إلى علوم نقلية. . والعلوم الأولى تشترك فيها جمع الأمم والثانية تختص بها الأمة الاسلامية.

والعلوم الأجنبيـة عنـد الخـوارزمي أصبحت عنـد ابن خلدون العلوم الطبيعيـة التي تشترك فيها جميع الأمم. . أما العلوم الشرعية عند الخوارزمي فهي العلوم النقلية عند ابن خلدون.

القلقشندي (١٣٥٣ ـ ١٤١٨ م)

كاتب وأديب. اشهـر كتبـه «صبـح الأعشي في صناعة الانشا». يفرد القلقشندي في كتـابـه «صبـح الأعشى في صنـاعة الانشا». . باباً يتحدث فيه عن تصنيف المعرفة، ويجعل أصول هذا الباب سبعة كما يجعل فروع العلوم فيه أربعة وخمسين

الأصل الأول: الأدب وفيه عشرة علوم.

الأصل الثاني: العلوم الشرعية وفيه تسعة علوم.

الأصل الثالث: العلم الطبيعي وفيه اثنا عشر علماً.

الأصل الرابع: علم الهندسة وفيه عشرة علوم.

الأصل الخامس: علم الهيئة وفيه خمسة علوم.

الأصل السادس: علم العدد وفيه خمسة أعلام.

الأصل السابع: العلوم العملية وفيه ثلاثة علوم هي: السياسة ـ الأخلاق ـ تدبير المنزل.

٤ ـ في العصور الحديثة :

طاشكيري زاده (١٤٩٥ ـ ١٥٦٠ م)

صاحب كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» الذي يعتبر أهم كتاب تصنيف عربي . وقد جعل زاده التصنيف أحد العلوم الثلاثمائة التي عالجها في كتابه وسماه «علم تقاسيم العلوم» .وقد تعرف على طريقتين لتكوين الأقسام هما :

١ ـ التدرج من الأعم إلى الأخص .

٢ ـ التدرج من الأخص إلى الأعم .

وهاتان الطريقتان مشابهتان للطريقيتين الحديثتين الاستدلالية والاستقرائية .

يقسم طاشكيري زاده كتابه إلى سبع دوحات :

الدوحة الأولى : في بيان العلوم الخطية وكل الكتب التي تبحث في فضل الخط وفيها مقدمة وشعبتان .

الشعبة الأولى ـ الصناعة الخطية .

الشعبة الثانية ـ الكتب التي الفت في املاء الحروف والكتب الباحثة في علم إملاء الخط العربي .

الدوحة الثانية : العلوم المتعلقة بالالفاظ ، وفيها مقدمة وثلاث شعب :

الشعبة الأولى : المفردات .

الشعبة الثانية : تتعلق بالمركبات وأولها علم النحو . ثم علم المعاني وعلم البديع وعلم البيان وعلم العروض .

الدوحة الثالثة : العلوم العقلية ، وفيها مقدمة وشعبتان :

الشعبة الأولى ـ المنطق .

الشعبة الثانية ـ علم آداب الدرس .

علم الخلاف (يبحث عن وجوه الاستنباطات المختلقة) .

علم الجدل .

الدوحة الرابعة : العلوم الحكمية والرياضية والطبيعية ، وفيها مقدمة وعشر شعب :

الشعبة الأولى ـ العلم الالهي والكتب الباحثة فيه .

الشعبة الثانية ـ فروع العلم الإلهي .

الشعبة الثالثة ـ العلم الطبيعي وفروعه .

الشعبة الرابعة ـ الكتب التي تبحث في فروع العلم الطبيعي.
الشعبة الخامسة ـ فروع العلم الطبيعي وفيها عدة عناقيد:
العنقود الأول: فروع علم الطب.
العنقود الثاني: فروع علم الفراسة.
العنقود الثالث: فروع علم احكام النجوم.
العنقود الرابع: فروع علم السحر.
الشعبة السادسة ـ العلوم الرياضية (الهندسة. علم الهيئة وعلم العدد والموسيقا).
الشعبة السابعة ـ وكتبها وهي فروع علم الهندسة.
الشعبة الثامنة ـ فروع علم الهيئة (الفلك).
الشعبة التاسعة ـ فروع علم العدد (الحساب).
الشعبة العاشرة ـ فروع علم الموسيقى.
الدوحة الخامسة: علوم الحكمة العملية، وفيها أربع شعب:
الشعبة الأولى: علم الأخلاق.
الشعبة الثانية: علم تدبير المنزل.
الشعبة الثالثة: علم السياسة.
الشعبة الرابعة: كافة فروع الحكمة العملية:
من علم آداب الملوك، وعلم آداب الوزارة، وعلم الاحتساب وعلم قواد العساكر والجيوش.
الدوحة السادسة: في العلوم الشرعية. وفيها مقدمة وثمان شعب:
الشعبة الأولى: علم القراءة.
الشعبه الثانية: علم رواية الحديث.
الشعبة الثالثة: علم تفسير القرآن.
الشعبة الرابعة: علم دراية الحديث.
الشعبة الخامسة: علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام.
الشعبة السادسة: علم أصول الفقه.
الشعبة السابعة: علوم الفقه.
الشعبة الثامنة: في فروع العلوم الشرعية وفيه مطالب سبعة:
المطلب الأول: فروع علم القراءة.

المطلب الثاني: فروع علم رواية الحديث.
المطلب الثالث: فروع علم التفسير.
المطلب الرابع: فروع علم دراية الحديث.
المطلب الخامس: فروع علم أصول الدين.
المطلب السادس: فروع علم أصول الفقه.
المطلب السابع: فروع علم الفقه.

الدوحة السابعة: في علوم الباطن وهي تشتمل على مقدمة وأربع شعب:
الشعبة الأولى: في العبادات ويتفرع عنها عشرة أصول.
الشعبة الثانية: في العادات ويتفرع عنها عشرة أصول.
الشعبة الثالثة: في المهلكات وفيها عشرة أصول.
الشعبة الرابعة: في المنجيات وفيها عشرة أصول.

ابتكر زاده لتصنيف العلوم طبقاً لمواضيعها، طريقة حصرها في أربع مراتب رئيسية وهي: الكتابة والعبارة والذهن والشرع، ثم كسر تلك المراتب على ست دوحات فجعل المراتب الثلاث الأولى ثلاث دوحات. أما المرتبة الرابعة المختصة بالشرع فجعلها ثلاثاً أيضاً، نظراً لكثرة ابحاثها وتشعب مواضيعها. وقسم المؤلف كلاً من هذه الدوحات إلى مقدمة وشعب. وأنشأ لكل من تلك الشعب فروعاً وللفروع عناقيد ومطالب وهلم جرا.

إن كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة هو أشبه بدائرة المعارف لكثير من العلوم والابحاث وقائمة كتب لكثير من المؤلفات ومجموعة تراجم أو سير لكثير من الأدباء وخزانة أدب لمواضيع جمة في اللغة وآدابها والعلوم وموضوعاتها.

هذا الكتاب أشبه بدائرة المعارف لآداب اللغة العربية وعلومها ومؤلفاتها، وقد ذكر فيه العلوم وأقسامها في شكل المشجر، فسمى الأبواب بالدوحات والفصول بالشعبات ومادون الفصول بالعناقيد. وطريقة التشجير بدأت في حقل التأليف اللغوي، ثم انتقلت بالاقتباس إلى حقل التأليف في تصنيف العلوم والكتب وأول من اقتبسها طاشكبري زاده. أما طريقته في تأليفه فهي انه يفرع العلوم بحسب علاقاتها بعضها ببعض، مما يدل على حسن أسلوبه، فيعرف العلم ثم يذكر أهم المؤلفين فيه ويترجم بعضهم ويصف أحياناً بعض المؤلفات وينتقد بعضها.

يتفق معظم الباحثين على أن تصنيف زاده هو من أكمل التصانيف العربية، إذ جعل زاده التصنيف علماً مستقلاً بذاته. فهو يعرفه كما يلي «هو علم باحث عن التدرج من أعم

الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المتدرجة تحت ذلك الأعم، ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم كذلك». ويشير التعريف إلى أن زاده استخدم في تصنيفه المنهجين الاستنباطي والاستقرائي وبذلك جاء تصنيفه أقرب التصانيف إلى الأنظمة الحديثة. هذا وقد اعتمد زاده في تصنيفه على المؤلفات وليس على مجرد التقسيم الفلسفي للمعرفة.

ومعنى ذلك مرة أخرى وضوح فكرة العلم في التصنيف وكذلك وضوح فكرة فصل العلم عن الفلسفة.

حاجي خليفة (١٦٠٨ - ١٦٥٧ م)

وضع حاجي خليفة أشهر كتبه «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون»، وهذا الكتاب أهم الكتب المصنفة وأوسعها في بيان أحوال الكتب. استغل فيه مدة عشرين سنة وكتب فيه ماينيف على (٩٥٠٠) من أسماء المؤلفين، وتكلم فيه على ثلاثمائة علم وفن، وحاجي خليفة واحد من الذين وضعوا قواعد تصنيف الكتب بالمعنى الذي نستعمله اليوم. وكتاب خليفة (الكشف. . . . .) هو معجم للمؤلفات العربية، جامع لأخبار الكتب المصنفة في الاسلام وقبله وأحوال مصنفيها ووفياتهم.

رتب كتابه «الكشف» على حروف المعجم، فأورد فيه (١٥٠٠٠) كتاب، ذاكراً اسم مؤلفه وسنة وفاته، وموضوع الكتاب أو شيئاً من مقدمته وعدد مجلداته أو أوراقه، مسترسلاً إلى ماوضع عليه من الشروح والتعاليق والاختصارات والترجمات وماشاكل، من مؤلفات العرب والعجم، ولاسيما الفرس والاتراك، فهو أطول مؤلف لخزائن الكتب وأدق وصف لها. وقد صدره بمقدمات في تاريخ العلوم والفنون ومايتعلق بها، منتقداً مايراه منها، مفيضاً الكلام في العلوم الاسلامية. ثم ذكر مفصلاً العلوم في حروفها واعقبها بذكر المؤلفات فيها وعلى الجملة فإن هذا الكتاب من أوسع الكتب التي نشرت للمتأخرين في آداب اللغة ووصف مؤلفاتها. ومن مزاياه نقل شيء من مقدمات الكتاب والإشارة إلى مواضيعها، وذكر ولادة أو وفاة المؤلف وزمن وضع الكتاب، مما يعين المطالع على معرفة المؤلف وكتابه وزمنه وموضعه وهو الغرض الأول من ذلك.

رابعاً ـ أثر بيكون وهيجل على ديوي

يرى كثير من الباحثين في فلسفة التصنيف وتاريخه، أن التصنيف العشري لميلفل ديوي هو تعديل «بيكوني مقلوب» لخطة تصنيف وليم توري هاريس. وأن استخدام ديوي لأفكار بيكون هو الذي جعل لفرانسيس بيكون أقوى تأثير في التنظيم الببليوجرافي. ولكن باحثين آخرين... يختبرون هذا الافتراض ويدللون بالأدلة القوية بأن تصنيف ديوي قد تأثر بتصنيف هاريس.. ولكن هاريس نفسه قد تأثر بفلسفة هيجل وأفكاره وليس بأفكار بيكون...

نتعرض هنا بالتحليل لاسهام كل من بيكون وهيجل في عالم المعرفة والبحث والتصنيف بوجه عام وبتأثيرهما بوجه خاص على تصنيف ديوي. ونشير في ذات الوقت إلى بعض الأدلة التي تؤكد تأثر كل من بيكون وهيجل بالفلاسفة والعلماء العرب في تصانيفهم وأفكارهم.

لم يكن فرانسيس بيكون عالماً، ولكنه بشر بفلسفة جديدة فحسب.. لقد كان بيكون فيلسوفاً ومحامياً ورجل سياسة وأدب.. فهو لم يخلق علماً جديداً... ولكنه بشر بفلسفة جديدة تتصل بالعلم الاستقرائي.

لقد رأى بيكون حقائق العالم ككل متكامل، ورأى أن الظاهرة التي تشمل هذه الكلية ينبغي أن نصل إليها عن طريق التجميع والاختبار والتقييم، قبل أن يجرؤ العالم على التعميم.

لقد اعتقد بيكون بأن الاستقراء هو أساس العلم الجديد الذي يجب أن يبدأ بالحقائق المستمدة من الملاحظة والتجربة... والتي يمكن باتباع خطوات المنهج العلمي أن تؤدي إلى صياغة مبادىء عامة.

لقد ذهب بيكون إلى أن مصدر جميع الأخطاء هو وجود الشوائب بالعقل الانساني... وأن الوظيفة الأساسية للاستقراء هو المعاونة في تنقية الفكر... وهناك بعض الأخطاء الشائعة التي تحول بين العقل وبين تقبله للاختراع والجدة والابتكار.

وبيكـون شأنـه شأن أي فيلسوف لايطمئن للتجريد ولايثق فيه . . . قد دفع بمنهجه الاستقرائي إلى استخدام التصنيف كأداة لتنظيم العالم . . وذلك كمطلب ضروري لتقدم المعارف الانسانية .

تبنى بيكون صورة سيكولوجية متكاملة للتصنيف الذي وضعه . . ووضع في الطبعة اللاتينيـة (١٦٢١) لمؤلفـه تفـاصيل نظام التصنيف هذا الذي ارتكز على الملكات العقلية الانسـانيـة الثـلاث «الـذاكـرة والتصـور والعقـل والتي صدر عنها التاريخ والشعر والفلسفة ولايوجد هناك غير هذه في تحليله .

لقد أراد بيكون بتنظيمه لتصنيفه طبقاً للقوة المعرفية للانسان أن يؤكد بإصرار اعتقاده بوحـدة جميـع المعـرفـة . . . وأن أقسام المعرفة هي كالفروع في الشجرة التي تلتقي كلها عند أصـل واحـد لقـد كان لإصـرار بيكـون على وحـدة العلم والمعـرفـة ، جذور في المعتقـدات الإغريقية عن الحكمة العالمية

على الـرغم من أن نظـام بيكـون للتصنيف يختلف جذريـاً وفي تفـاصيله عن الذين سبقـوه إلا أن دين بيكـون لأرسطـو ملحـوظ في عدد من مقـولاتـه وفئـاته كالثالوث الروائي وكذلك الثلاثية والرباعية .

لقـد فصـل بيكـون التـاريـخ المدني عن التاريخ الطبيعي وبذلك أرسى قواعد فصل العلم عن الفلسفة وكان بيكون يرى أن التاريخ المدني يضم كل الشئون الانسانية ويرى أن التاريخ الطبيعي يضم كل حقائق الطبيعة وهنا ينبغي أن نشير إلى أن بيكون قد أخطأ حين انتهى إلى أن العقـل يعمـل داخـل مقصـورات محكمـة وأن الـذاكرة محددة ومقصورة على التـاريـخ وأن التـاريـخ نفسـه ليس إلا مجرد استعـادة الحقـائق وأن العقل والخيال هما طرفان متضادان متباعدان .

هذا وقـد ظل مبـدأ وحـدة المعـرفـة ذا أهمية خاصة في أوائل القرن السابع عشر وهذا المبدأ أو المفهوم الأساسي هو الذي تكون وتدعم عبر القرون بالنسبة للتصنيف العربي والاسلامي .

وعلى كل حال فقد مهد تصنيف بيكون لعصر التنوير في القرن الثامن عشر كما أرسى قواعـد خطـة نسقيـة تساعد المؤلفين والجامعيين والناشرين في تنظيم قواميسهم وموسوعاتهم وغيرها من المؤلفات التي لعبت دوراً هاماً في نشر المعارف .

لقد ظل تصنيف بيكون ـ ذو الاقسام الأساسية الثلاثة ـ النموذج الذي يجتذبه ويتبناه المكتبيون والباحثون حتى نهاية القرن التاسع عشر بل وحتى العصر الحاضر (باستثناء برونت

الـذي تحدى هذا التقسيم للمعـرفة الذي وضعه بيكون)، وكان تبنى أوروبا لهذا التصنيف ملحوظاً في انجلترا وفرنسا وإيطاليا على الخصوص. . . أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد تبنى توماس جيفرسون خطة بيكون لتنظيم مكتبته الخاصة. . . . . وعندما باع مكتبته للحكـومـة الأمـريكية بعد الحرب عام ١٨١٢ كان تصنيفه (المبنى على تصنيف بيكون) هو أسـاس خطـة تصنيف مكتبـة الكـونغـرس الأمريكية وظل مستخدماً حتى بعد عام ١٩٠٠ بقليل حين وضع مارتل وهانزون التصنيف الحالي لمكتبة الكونغرس.

وهنا يجب أن نشير إلى الحدث الهام والأساسي في تاريخ التصنيف وهو تصنف ديوي العشري إذ يرى كثير من الباحثين ـ ومنهم جيسي شيرا أحد رواد علم المكتبات بأمريكا ـ أن ديـوي قد استخـدم تعـديـلاً «بيكـونياً مقلوباً» لخدمة تصنيف وليم توري هاريس وذلك لوضـع التصنيف العشـري المعروف باسم تصنيف ديوي العشري. . وهذا الاستخدام من قبل ديوي لأفكار بيكون هو الذي جعل بيكون أقوى وأوجد تأثير في التنظيم الببليوجرافي.

كما أن تبنى المعهد الدولي للببليوجرافيا لنموذج تصنيف ديوي لوضع تصنيفه المعروف باسم «التصنيف العشري العالمي» قد أعطى بيكون تأثيراً متصلاً وحصيناً في العالم كله على افتراض أن ديوي قد استخدم أفكار بيكون.

وهنـا ينبغي أن نشـير إلى أن بيكـون لم يكن يقصـد ـ حين وضـع تصنيفـه ذاك أنـه سيستخـدم في تنظيم الكتب بالمكتبـة أو وضع المداخل في الببليوجرافيات والموسوعات ولكن أمنـاء المكتبـات استخـدمـوا ما كان تحت أيـديهم من خطـة أو نظـام، لتصنيف موادهم وتنظيمها. . ووجدوا أن تقسيم بيكون يستجيب لاحتياجاتهم. وعلى الرغم من أن بيكون دعى إلى اتباع المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة. . إلا أنه لم يتبين أن الملاحظة ذاتها ليست موضوعية في جميع الأحيان لأنها بالضرورة مترابطة مع المناخ الفلسفي الذي تتم فيه. . . ولكنه أدرك ـ ربما أكثر من جميع المعاصرين له ـ الصعوبة الحقيقية في التأكد بدقة من حقائق الطبيعة. . . ومما يشهد له ببعد النظر أنه توقع معتقدات جون لوك والتي تشير إلى أن جميع الأفكار الإنسانية هي في النهاية نتاج الاحساس والشعور.

لم تكن هذه الفكـرة ضمنيـة في مؤلفه الأرجانون الجديد ولكنها كانت الأساس الذي بنى عليـه نظـام تصنيفـه. . وبـالتـالي فيمكن اعتبار بيكون واحداً من الرواد الأوائل الذين فتحـوا الطـريق لبعض مدارس البحث في انجلترا في مجال علم النفس. . كما أثـرت أفكاره واتجاهاته على الدراسات اللغوية. . ولعلها مازالت مؤثرة كذلك ـ في بعض جوانبها ـ على

مشاكل التوثيق المعاصرة وعلى نظرية المعلومات وعلى المنطق الرمزي وحتى على السيبرناطيقا.

لقد احتار المكتبيون الباحثون في تعليل وفهم وتفسير بعض جوانب التصنيف العشري لديوي. فعلى سبيل المثال لماذا يأتي موضوع «الدين» بعد موضوع «الفلسفة» مباشرة؟ لماذا يبتعد وينفصل «الاجتماع» عن التاريخ بأقسام كثيرة لاترابط بينها؟ لماذا تنفصل «اللغة» عن «الأدب»؟ ثم لماذا تقترب بعض الموضوعات من بعضها دون أن يكون بينها علاقة؟

لقد كانت هذه المشكلة في بداية هذا القرن ذات أهمية كبيرة للباحثين والاخصائيين في مجال التصنيف. ولم تكن هناك إجابة شافية. ولم يعد المكتبيون يسألون هذه الأسئلة بعد ذلك.

ولكن اكتشافات لايدكر الحديثة قد فتحت المجال لمناقشة هذه الأسئلة مرة أخرى ومحاولة الرد عليها. لقد اوضح لايدكر بما لايدع مجالا للشك بأن الاقسام الموضوعية الرئيسية لتصنيف ديوي العشري تعتمد تاريخياً وتتبع نظام تصنيف وليم توري هاريس، الذي وضع للمكتبة العامة المدرسية في سانت لويس.

ثم أصبح السؤال التالي: لماذا رتبت الموضوعات والأقسام بهذا الترتيب في تصنيف هاريس؟.

لقد كان هاريس باعترافه ومهنته هيجيليا. فقد درس فلسفة هيجل من عام ١٨٥٨ وحتى عام ١٨٧٩ وجعل هذه الفلسفة أساس جميع نشاطاته وكان يقول «بأن منطق هيجل» محورى بالنسبة لجميع تفكيره منذ عام ١٨٦٠.

لقد وضع هاريس نظاما للتصنيف شاملا ومرنا يصلح لخدمة مجموعة صغيرة (٢٠,٠٠٠ مجلد) أو كبيرة (تصل إلى ١٢٠,٠٠٠ مجلد) من الكتب والمطبوعات.

لقد قدم هاريس خطة تصنيفه في مجلة الفلسفة التأملية. وقد أشار في تقديمه ذاك إلى أن أي تصنيف للكتب لابد وأن يعتمد على نظام.. ولكنه لم يذكر هيجل مطلقا. وإنما ركز على تصنيف فرانسيس بيكون للمعرفة وذلك لإظهار عدم صلاحيته كأساس لتصنيف الكتب... وقد كان ذلك ضرورياً لأن نظام مكتبة الكونغرس له جذوره في فلسفة بيكون.

ولكن جرازيانو في رسالته العلمية لنيل درجة الدكتوراه قد قام بوضع مختصر لتصنيف بيكون للمعرفة ـ بنفس الاطار الذي وضعه هاريس ـ وقد أوضح الكاتب أنه ليس هناك أي

تشـابـه بين تصنيف هاريس وتصنيف بيكـون كما أنـه ليس هنـاك تشـابه بين تصنيف ديوي وتصنيف بيكون.

لقد ذهب هاريس إلى أن تصنيف بيكون ليس كافياً. ولكنه إذا قلب فإن الأقسام الثلاثة ستكون في نظام حقيقي أفضل. أي أن العلم يجب أن يأتي أولاً على اعتبار أنه يقدم الطريقة والمنهج والمباديء التي تأتي بعد ذلك ثم يأتي الفن ثم التاريخ.

وهذه الأقسام الثلاثة للمعرفة تتقابل بالضرورة مع نفس مستويات المعرفة الثلاثة التي وضعها هيجل.

في سنـة ١٨٧٣ كان ملفيـل ديـوي (١٨٥١ ـ ١٩٣١) شابـا في مقتبـل العمر، وكان يعمل مساعداً لأمين مكتبة كلية أمهرست، وسرعان ماأحس عقله اليقظ بالحاجة إلى نظام جديد للتصنيف غير النظم السائدة في ذلك الوقت، نظام يكفل المرونة اللازمة والتوحيد في الاستعمال. واهتـدى إلى النظـام العشـري في الـترقيم وأضافه إلى قوائم التصنيف الذي وضعه ولذلك عرف نظامه بالعشري. ثم أصدر الطبعة الأولى منه في عام ١٨٧٦.

وقد قدم ديوي إلى تصنيف المكتبات عدة مميزات لم يسبقه إليها أحد، فكانت ذات أثر كبير ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ على نظم التصنيف التالية له، بل إن هذه الصفات والمميزات الجديدة قد أصبحت أركاناً أساسية في أية خطة للتصنيف بعده وأصبح المصنفون يتداولونها فيما بعد على أنها تراث مسلم به. وأن التصنيف العشري كان طفرة رائدة في حقل التصنيف وصناعة الخطط، كان نموذجاً ومنبها للأذهان، جاء بعده علماء التصنيف يحاولون أن ينقـدوه، أو يحسنـوا أو ينسجـوا على منـوالـه، لهذا حفـل التصنيف في النهـايـة بتراث علمي كبـير جعـل منـه علماً وطيـد الأركان، لذلك لانغالي إذا قلنا إن عام ١٨٧٦ كان نقطة تحول حاسمة في تاريخ التصنيف خاصة وعلم المكتبات عامة: ومن حسن حظ هذا التصنيف أن الظروف كانت جميعاً في صالحه. فقد كان أول خطة حديثة جمعت مميزات عديدة، ثم عاش صاحبـه ردحـاً من الـزمـان فغـذاه بذهنـه المتـوقد، وعبقريته الفذة وجهده المتواصل وعمله الـدائب. لذلـك كتب لهذا النظـام دون غيره من النظم التي أتت بعده شهرة طبقت الآفاق حتى أننا نراه الآن بصورة أو بأخرى في معظم بلاد العالم.

الفصل الثاني

التصنيف

أولاً ـ مقدمة :

توحي كلمة التصنيف إلى امين المكتبة المبتدىء أن التصنيف هو تحديد أرقام أو رموز أي موضـوع للكتب المتـوفـرة في المكتبـة، وبـاختصـار فان تصنيف المكتبـة هو فن اكتشاف موضوع كل كتاب وتمثيل هذا الموضوع برمز من رموز التصنيف الذي تستخدمه «المكتبة».
ويقـودنـا هذا القـول إلى أن التصنيف هو «تـرتيب الكتب على الرفوف، أو وضعها بطريقة تكون هي الفضلى في مساعدة القراء على استعمال الكتب، وبمعنى أوسع فان التصنيف هو وسيلة يستطيع عقلنا بواسطته أن يحدد أي موضوع ويميزه عن أي موضوع آخر؛ ولا نأبه كثيراً في حياتنا العادية إلى مثل هذا الأمر لأننا نميز الأشياء تلقائياً، ما عدا الاشياء المتشابهة فاننا نبحث عن الفروق الموجودة في كلٍ منها لكي نميز الشيء الواحد عن الأخر.

وإذا كان مفهوم التصنيف بسيطاً، فان ايضاحه وتوضيحه وتطبيقه ليس بالأمر السهل ويجب أن ندرك من البـدايـة أن التصنيف هو لفـائـدة القـراء ولفـائـدة العاملين في المكتبات للتقليل من التعقيدات التي يواجهها هؤلاء ويواجهها القراء عند البحث عن الكتب.

والتصنيف هو قوة المـلاحظـة عنـد التطبيق على جميع الاشياء وفيما يلي أمثلة لايضاح هذا القول.

١ ـ إذا أراد المرء أن يعرف ما يمتلكه من نقود فان عليه أن يوزع نقوده إلى مجموعتين: ورقية ومعدنية. ثم عليه أن يقوم بتقسيم المجموعة الورقية إلى فئات، قيمة الورقة من الفئة الاولى عشرة دنانير، ومن الفئة الثانية خمسة دنانير ومن الفئة الثالثة دينار، ومن الفئة الرابعة نصف دينـار، وعليـه أن يقـوم بتقسيم المجمـوعة المعدنية إلى فئات أيضاً، قيمة القطعة من

الفئـة الاولى : شلنـان، ومن الفئـة الثـانيـة شلن واحد ومن الفئة الثالثة قرشان، ومن الفئة الـرابعـة قرش واحـد، ومن الفئـة الخامسة نصف قرش. ويوضح هذا المثال المبدأ الذي تم بمـوجبـه التصنيف فقـد جرى تقسيم النقود حسب مبدأين اثنين، ففي الحالة الاولى جرى التقسيم حسب المادة المصنوعة منها النقود ورق ومعدن، وفي الحالة الثانية جرى تقسيم كل مجمـوعـة حسب قيمتهـا. ومن هذا المثال يتبين لنا أن التصنيف تنظيم حسب مبدأ وقاعدة، وليس تجميعاً للأشياء وتنظيمها في مجموعات بطريقة عفوية.

٢ ـ نستطيـع أن نيمـز تلقـائيـاً بين سيارة الباص وسيارة الاجرة الصغيرة، باعتبار أن الاولى أكـبر حجـماً وتتسـع لعـدد كبـير من الركاب، وذات مقاعد خاصة بها، ونميز بين الصيدلية والبقالية بمعرفة المواد المعروضة للبيع في كلا المكانين.

هذه الأمثلة ذات فروق واضحة، ويستطيع عقلنا أن يميزها لاشعورياً ودون بذل أي جهد لايجاد الفرق بين شيء وآخر، ومع ذلك فان تعليلاً ذهنياً قد حدث لفصل فئة عن فئة اخرى.

٣ ـ إذا أخـذنـا بعـين الاعتبـار موضوعين متشابهين إلى درجة كبيرة، فاننا نحتاج إلى إعمال العقـل، فإذا أردنـا مثـلاً توزيع مجموعة من الطوابع في حافظة خاصة بها، فاننا نرى للوهلة الاولى أن الطـوابـع متشـابهـة وعلينا أن نتفحصها لتمييـزهـا وفصلها. وأول ما نقوم به هو توزيعهـا حسب البلدان، بمعـرفـة اللغة المكتوبة على كل طابع، والصور التي يحملها، ثم نقـوم بترتيب طوابـع كل بلد حسب قيمـة كل طابـع، وقد تتدخل ميزات اخرى تحتاج إلى اعتبـارات دقيقـة كألـوان هذه الطـوابـع وتخـريمها او امتلاك بعض هذه الطوابع خصائص تجعلها نادرة ذات قيمة والتصنيف في هذا المثال هو عملية شعورية حسية.

وعنـدمـا نصنف مجمـوعـة من الكتب نجـد أن كثـيراً منهـا يتم تصنيفـه أوتـوماتيكيا وبتـدريب بسيـط ومعـرفة معقولة بنظام التصنيف، بينما تحتاج بعض الكتب إلى دراسة قبل تحديد موضوعاتها واختيار المكان المناسب لها في نظام التصنيف.

ثانياً ـ التصنيف في الحياة اليومية :

إن تطبيق التصنيف عملية تشمل جميع مناحي الحياة بالرغم من أن المرء لا يتحققها ولا يتبينها، وان كلمة التصنيف نادرة الاستعمال ولكن يستعاض عنها بمفردات اخرى كالتنظيم أو الترتيب أو التوضيب. . . الخ :

ولنأخذ موظف البريد مثلاً، فإنه يحفظ الطوابع في سجل، يضع كل نوع من هذه الطوابع وحده، حسب قيمة كل طابع فنجد الطوابع من فئة الفلس وحدها وكذلك الفلسين، والثلاثة والاربعة والخمسة وهلمجرا، ولكل فئة لون خاص بها ليسهل معرفتها أو تمييز كل فئة عن غيرها.

وبناية المدرسة موزعة حسب الاستعمال، فهناك غرفة لمدير المدرسة واخرى للمعلمين وثالثة للمكتبة ورابعة للمختبر، وغرف للتدريس وهذه موزعة حسب الصفوف، فهناك غرفة لطلاب الصف الاول، وأخرى للصف الثاني. . . الخ ويساعد هذا الترتيب أو التصنيف على حفظ النظام في المدرسة بمعرفة كل طالب غرفة صفه، ويساعد أيضاً على القيام بجميع نشاطات المدرسة على الوجه الاكمل.

لندخل أحد محلات بيع الخضار والفواكه، فنجد أن الخضار معروضة وحدها والفواكه وحدها، ثم نجد الخضار موزعة في مجموعات حسب أنواعها ومثلها الفواكه، وقد نجد نوع الخضار الواحد أو الفاكهة الواحدة مقسومة إلى مجموعتين ثمن كل منهما يختلف عن الآخر حسب الجودة والرداءة، ويساعد هذا الترتيب أو التصنيف كلا من البائع والمشتري على معرفة الأنواع المتوافرة، والبضائع المعروضة. من هذا يتضح أن التصنيف لا يساعدنا على تمييز الخضار والفواكه فقط، بل يساعدنا على معرفة الصنف أيضاً.

فالتفاح مثلاً أو البرتقال أنواع متعددة، والتصنيف هو الذي يرشدنا إلى النوع الذي نريده، وهكذا يستطيع عقلنا أن يميز المجموعات المعروضة ويميز أنواع كل مجموعة باستخدام الفرق والتشابه المتوافر لدى كل نوع، بحيث يصل الانسان إلى مرحلة لا يستطيع عندها أن يصل إلى نتائج أدق وأوفى من تلك التي قد توصل اليها.

وقـد مقـدور المـرء أن يتـذكـر كثير ا من الأمثلة الموجودة في حياتنا اليومية ولا ضير من ذكر الأمثلة التالية :

١ ـ تصنف المدارس حسب أنواع التعليم ومراحله إلى : رياض اطفال، ابتدائية، ثانوية، صناعية، زراعية، تجارية .

٢ ـ يقسم البلد لأسباب ادارية إلى : محافظات، ألوية، وأقضية .

٣ ـ تقسم الوزارة الواحدة لتنظيم أعمالها إلى : مديريات وأقسام .

٤ ـ يوزع فريق كرة القدم طبقاً للمكان الذي يحتله كل لاعب في الملعب إلى حامي الهدف، دفاع، جناح أيمن، جناح أيسر، قلب الهجوم الخ . .

٥ ـ تصنف غرف البيت حسب الاستعمال إلى غرفة نوم، غرفة جلوس غرفة مكتبة، غرفة طعام . . . الخ .

٦ ـ تقسم المكتبـة العـامـة حسب كتبهـا وفئـات قرائهـا إلى دوائـر وقـاعات : مكتبة المراجع، مكتبة الدوريات والصحف، مكتبة المطالعة والاعارة، مكتبة الاطفال الخ . .

٧ ـ ينظم دليل التلفون حسب المدن ويرتب ترتيباً هجائياً بأسماء المشتركين في كل مدينة .

٨ ـ تصنف القوات المسلحة إلى ثلاث مجموعات طبقاً لواجبات كل مجموعة : سلاح الطـيران، المشـاة، البحـريـة، ويـوزع كل سلاح ويقسم حسب الغـرض والحاجة فيقسم سلاح المشاة إلى ألوية وكتائب وحظائر وفئات .

٩ ـ تقسم النـار حسب مادة وقـودهـا إلى : نار الفحم، نار الحطب، نار الغـاز، نار الكاروسين الخ . . .

١٠ ـ تقسم المـلابس حسب الفئـات التي تستعملهـا إلى : ملابس للرجال، ملابس للنسـاء، ملابس للأطفـال، وتصنف حسب الغـرض إلى ملابس صيفيـة، ملابس شتوية وتصنف حسب المادة المصنوعة منها إلى : ملابس صوفية، ملابس قطنية، ملابس كتانية .

١ ـ تقسم الجـامعـة حسب موضـوعـات التخصص، إلى كليـات : آداب، علوم، حقـوق، طب . . . الـخ، وتقسـم الكليـة لأغـراض التخصص إلى دوائـر أو أقسام، فكلية الآداب مثـلاً تقسم إلى : قسم اللغـة العـربيـة، قسم الجغـرافيـا، قسم التـاريـخ، قسم الفلسفة . . . وهلمجرا .

١٢ ـ تصنف السيـارات حسب أغـراض استعـمالهـا إلى : باصـات، سيـارات خصوصية، شاحنات، سيارات صغيرة للأجرة .

١٣ ـ تقسم الهندسة التطبيقية حسب مجالات التخصص إلى : هندسة ميكانيكية، هندسة كهربائية، هندسة ري، هندسة طرق الخ. . .

١٤ ـ يقسم الراديو حسب الوسيلة التي تستخدم عند استعماله إلى : راديو بطارية جافة، راديو بطارية سائلة، راديو كهرباء.

١٥ ـ يصنف العمال في المجتمع وفق الأعمال التي يقومون بها إلى : نجارين، خياطين، سواقين. . . الخ.

* * *

ثالثاً ـ تسميات التصنيف :

كان يطلق على التصنيف إحدى التسميات الآتية :

١ ـ تصنيف الكتب

٢ ـ تصنيف المكتبات

٣ ـ التصنيف الببليوغرافي .

٤ ـ التصنيف المكتبي .

٥ ـ التصنيف لأغراض التوثيق .

والتسمية الأخيرة حديثة نسبياً هي الأخرى ولكن حلت محلها الآن التسمية التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات» أما التسميات الأربع الأولى فهي التسميات الأقدم .

ولعل السبب في أن التصنيف كان يسمى في الأصل تصنيف الكتب والمكتبات هو أن هذا التصنيف حينما نشأ كانت الغلبة والسيادة للكتاب كوحدة ببليوغرافية ، ولم تكن الوحدات الببليوغرافية الأخرى قد احتلت مكانتها في عالم النشر والبحث ، فلما أراد علماء المكتبات أن يميزوا بين هذا النوع من التصنيف والتصانيف الفلسفية والعلمية التي كانت سائدة ربطوه بالكتاب على اعتبار أنه الوحدة الببليوغرافية المقبولة آنذاك .

ولما اتسعت دائرة النشر اصبح هذا النوع من التصنيف يطبق على كل الوحدات الببليوغرافية فكان لابد من تغيير التسمية بحيث تعكس هذا التطور الجديد .

رابعاً ـ تعريف التصنيف:

١ ـ التصنيف في ابسط بيان له هو وضع الأشياء المتشابهة معاً، وإذا وصف بصورة أوفى فهو ترتيب الأشياء وفق التشابه أو الاختلاف. انه فرز الأشياء وتجميعها. إلا أنه بالاضافة إلى ذلك يعتبر تصنيف الكتب تصنيفاً للمعرفة مع التعديلات اللازمة التي يمليها الشكل المادي للكتاب.

٢ ـ التصنيف هو العملية الذهنية التي يتم من خلالها التعرف على أن للمفاهيم العقلية أو صور الأشياء تشابهاً أو توافقاً، حيث تنظم مرتبطة واحدتها بالأخرى وفق هذا التشابه أو التوافق.

٣ ـ التصنيف سلسلة أو نظام من الأقسام أو الأصناف، مرتبة وفق مبدأ مفهوم أو غرض أو اهتمام، أو أية مجموعة منها معاً. ويطلق المصطلح على ترتيب اسماء الأقسام تصنيفها سواء كانت مادية أو مجردة.

٤ ـ تصنيف المكتبة هو تقديم فكرة متعددة الابعاد في شكل خطي واحد.

٥ ـ هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلم المتدرج تحت ذلك الأعم. ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم كذلك.

٦ ـ إن لفظة تصنيف في اصطلاح علم المكتبات تعنى ترتيب المواد ،ذات الموضوع الواحد ترتيباً منهجياً يتقدم فيها العام على الخاص، وتقسم الموضوعات تقسيمات دقيقة بحيث تمنع تزاحم الأرقام الكبيرة، وبذلك يساعد التصنيف في الموضوع الواحد على إخراج جميع الكتب التي لا تمت إلى الموضوع بصلة، وبذلك يسهل على القارىء والمكتبي العثور على الكتاب المطلوب والموضوعات مجال البحث بسهولة ويسر.

٧ ـ صنف الشيء أي وزعه إلى فئات حسب الميزات التي تتوافر في كل فئة. والصنف هو النوع أو الفئة التي تنتج بعد عملية التصنيف. والجمع أصناف وصنوف. والتصنيف هو عملية التوزيع أو التقسيم التي تجري للشيء أو لمجموعة الأشياء لانتاج فئات

أو أصناف جديدة بعد كل عملية من عمليات التصنيف.

٨ ـ التصنيف هو البحث الـذي يكـون مجالـه دراسة الموضوعات الناجمة عن الظواهر الطبيعية والانسانية والرياضية. وبمعنى آخر هو دراسة المعرفة وتحديد موضوعاتها المتمثلة في الاصول وما يتفرع عنها. وبتوضيح اكثر، فان التصنيف للمعرفة هو تقسيمها إلى مجالات أو حقـول رئيسيـة أسـاسيـة، وتحديد الموضوعات المشمولة في كل حقل، وبيان العلاقات التي تربط بعضها بعضاً.

٩ ـ ان علم التصنيف هو تقسيم المعرفة إلى ابواب وفصول وفروع وأنواع وأجناس، في محاولـة لبيـان العـلاقة التي تربط كل منها بالآخر، موضحاً مكان كل علم بالنسبة للعلوم الأخرى كلبنة في بناء المعرفة ككل، ونعني بكل ذلك ترتيب العلوم في مجموعات متميزة، وفي تسلسل، ووفقاً لنظام معين. فإذا ما طبقنا علم التصنيف هذا على الكتب، أوعلى ناحية معينة من نواحي الحياة وهي المكتبات، خرجنا بفن من الفنون هو فن تصنيف الكتب.

١٠ ـ يقصد بالتصنيف في علم المكتبات ترتيب المعلومات الموجودة بالمكتبة ترتيباً من شأنه أن يجعل جميع كتب الموضوع الواحد في مكان واحد على الارفف تجاورها اوثق الكتب صلة بموضوعها.

١١ ـ يمكن تعـريف التصنيف بوجـه عام بأنـه العمليـة التي تقسم بها أيـة مجموعة من المواد إلى مجموعات فرعية بحيث تتكون كل مجموعة من واحدات ذات صفات أوخصائص متجانسة تجعلها نوعاً محدداً، وبحيث ينتج عن ذلك فصل المواد غير المتجانسة تبعاً لدرجة اختلافها.

١٢ ـ التصنيف هو ترتيب الأشياء بناء على ما بينها من تشابه أوفوارق، أي جمع الأشياء المتشـابهـة بعضهـا إلى جانب بعض تبعـاً لدرجة تشابهها، وفصل الأشياء غير المتشابهة عن بعضهـا، وهـذا بوضع الأشياء في نظام واحد يميز بعضها عن البعض الآخر ويوضح الصلة بين انواعها ووجه الاختلاف بينها.

١٣ ـ التصنيف هو عمليـة دراسـة تحليليـة للأشيـاء الغـرض منهـا جمع المتشـابـه من الوحدات وبالتالي فصل المختلف. وبعد الدراسة العميقة لكل ما مطلوب تصنيفه تجمع كل مجمـوعـة متـماثلة متشـابهة في الصفات والمقام والرتبة وتتحد مكانياً في مكان واحد وتدرج في سلسلة واحـدة. ان الشيء الـواحـد قد يصنف بتقسيمـه إلى أقسـام كل قسم يتكـون من وحـدات أكثـر وأشـد تماثـلاً وهكـذا حتى يكـاد يصـل التشابه إلى محو أية تفرقة بين الوحدة والأخرى في كل قسم وتكون الوحدة لها ذاتية خاصة لايشاركها فيها غيره من الوحدات.

وعلى هذا الأســاس فان تصنيف الكتب والمـواد المكتبيـة الأخـرى في المكتبـة معنـاه تنظيمهـا ووضعهـا في مجمـوعات تضم كل منها كافة الكتب التي تعالج موضوعاً معيناً. مثال ذلـك أن الكتب التي تخص موضـوع الكيميـاء تجمـع في مكـان واحد، والكتب التي تخص تاريخ الهند في مكان آخر والكتب التي تخص ادارة الأعمال في مكان ثالث وهكذا.

١٤ ـ من هذه التعـريفـات نستطيـع أن نخلص إلى أن التصنيف هو عمليـة تجميـع الأشيـاء المتشـابهـة معـاً. ويشـترك جميـع أعضـاء المجموعة الواحدة، أو القسم أو الصنف الـواحـد، النـاتجـة عن التصنيف في خاصية واحدة على الأقل لا يملكها أعضاء الأقسام أو الاصناف الأخرى.

والخـاصيـة هي صفـة جوهرية في الشيء. وهناك عدد من الخصائص الجوهرية التي تجعـل الشيء هو هو وليس شيئـاً آخـر، مثـل خاصيـة النطق في الانسان. ولكن هناك أيضاً مجموعة من الصفات الأخرى. والمهم أن تكون الخاصية أساسية أو جوهرية بالنسبة للغرض من التصنيف. مثـال ذلـك: حينـما يصنف عالم النبـات النباتات المختلفة، فإن الخصائص التي يختـارهـا أساساً للتقسيم لا بد وان تكون مختلفة عن الخصائص التي يحتاجها البستاني. وتلك التي يحتاجها عالم الحيوان تختلف عن تلك التي يحتاجها الطبيب البيطري الذي يعمل في حديقـة للحيـوان. وتقسيم الطلبـة في كليـة ما لأغـراض الـدراسة يختلف عن تقسيمهم لأغـراض تحقيق صحفي يهتم بنسبـة الإنـاث إلى الـذكـور. وهكـذا فالمهم دائـماً أن تكون الخصائص المختارة متصلة بالغرض من التصنيف.

١٥ ـ ويمكن أن نسحب التعريف العام للتصنيف على المعرفة والمعلومات فنقول إن التصنيف: هو جمع المعلومات المتشابهة، وفصل المعلومات غير المتشابهة، ويتحدد التشابه أو الاختلاف على أساس التشابه الموضوعي لأن الصفة أو الخاصية الجوهرية للمعلومات هي المحتـوى الفكـري أو المـوضـوع. ولا شك أن المحتـوى ا لفكـري هو الخاصية الجوهرية في المعلومـات وليس أي بيـان وصفي أو شكـلي آخـر، فمن أجـل هذا المحتوى الفكري تقتنى المعلومـــات أصـلاً وتنشأ المكتبـات ومـراكـز المعلومـات، بل من أجلهـا نشأ علم المكتبـات والمعلومات كله.

١٦ ـ كلمـة التصنيف بالانكليـزيـة Classification، وهي مشتقـة من كلمـة لاتينية والتي كانت تعـبر أو ترمـز إلى الفئـة أو الطبقـة التي ينتمي إليهـا كل فرد من أفراد المجتمع. حيث كان الشعب مقسماً إلى ست طبقات حسب مبادىء خاصة. وهي الثروة التي يملكها الفرد وأهميـة الفـرد بالنسبـة لبـاقي الشعب. والصف class، هو مجموعة أشياء تحمل صفة

واحدة متشابهة بينهم (هذه الصفة موجودة في كل جزء من هذه الأشياء) فمثلاً البشر يمكن ان نصنفه حسب اللون والجنس، والتوزيع الوطني . . . وعليه يمكن ان نصنف الاشياء حسب أي مبدأ أو قاعدة تناسبنا وحسب سعة الخطة أو النظام الذي نريد ان نعمله .

والتصنيف يجمع الأشياء المتشابهة ويبعد الاشياء المختلفة .

إن كلمة التصنيف هي لفظ ينطبق على عملية تنظيم الاشياء أو الافكار في مجموعات وفق درجات تشابهها وحسب مبادىء وقواعد خاصة .

تصنيف الكتب هو عملية تحديد الموضوع أو الموضوعات في المواد المكتبية والدلالة على هذه المواضيع برمز من رموز نظام التصنيف الذي تستعمله المكتبة .

تصنيف الكتب: هو فن اكتشاف موضوع كل مطبوع . والدلالة على موضوعه برمز.

والتصنيف في المكتبة يكون على شكلين :

١ ـ ترتيب الكتب على الرفوف .

٢ ـ ترتيب مداخل الكتب في الفهرس .

من هذا نستطيع أن نقول ان الكتاب الواحد له مكان واحد داخل الرفوف بينما مدخل الكتاب الواحد في الفهرس متعددة، وذلك حسب حاجة الكتاب للفهرسة الكاملة فبواسطة التصنيف يحلل المطبوع الى كل الاوجه المتعلقة به .

ان تصنيف الكتب لا يمكن ان يكون عرضياً (اي بمجرد أرقام متسلسلة حسب الحجم، اللون، المؤلف، العنوان، تاريخ النشر، البلد، السعر، اللغة) وإنما يكون التصنيف طبيعياً أي حسب الموضوع ، أما عوامل تنظيم الكتب فهي :

١ ـ جمع الكتب المتشابهة بشكل يظهر علاقتها ببعضها .

٢ ـ وضع الكتب ذات المواضيع المتشابهة نسبياً قريباً من الكتب الأخرى المتشابهة في الموضوع فمثلاً الجبر والهندسة على مقربة من الحساب . فالتصنيف اذن هو فن تعيين الاماكن المناسبة للكتب حسب نظام التصنيف .

خامساً ـ الغرض من التصنيف :

إن الغرض الأساسي من التصنيف هو جعل الكتب والمواد المكتبية الأخرى في المكتبة اسهل منالاً وبالتالي اكثر فائدة للقارىء. وبعبارة أخرى فانه إذا ما أريد للمجموعات المختلفة من الكتب والمواد المكتبية الأخرى أن تستعمل بسهولة وبصورة واسعة ومنظمة، فيجب أن تنظم وتصنف بطريقة منطقية ومعقولة، كان تنظم ابجدياً حسب موضوعاتها وحسب عناوينها، وبذلك تكون منفعتها اكبر واعم مما لو تركت في فوضى من غير تصنيف أو تنظيم بشكل أو بآخر.

ومجاميع الكتب والمواد المكتبية الأخرى تطلب عادة وعلى الأغلب حسب موضوعاتها. والقراء ورواد المكتبة يفضلون أن يجدوا كافة الكتب التي تعالج موضوعاً معيناً في مكان واحد يسهل الوصول إليها واختيار ما يناسبهم منها باسرع وقت واقل جهد. وإذا ما أريد للكتب والمواد المكتبية الأخرى أن تنظيم وتصنيف حسب موضوعاتها كان على المكتبة اذن ان تتبنى تصنيفاً معيناً يؤمن لها هذا التنظيم.

ان التصنيف ليس علماً ثابتاً له اصوله الراسخة فحسب بل هو فن يحتاج في حالات عديدة إلى ممارسة الأحكام الشخصية التي يستحقها كفن.

ولقد قيل منذ زمن بعيد على لسان أحد علماء التصنيف «ان تجد تصنيفاً مرضياً شيء وان تجد مصنفاً مرضياً شيء آخر.

يحتل التصنيف مركزاً هاماً بين العمليات الفنية التي تقوم بها المكتبات في سبيل تنظيم مجموعاتها وتقديم هذه المجموعات لجماهير القراء بوسائل سهلة ميسرة. ويقول آخر:

يعتبر التصنيف من أكثر الأعمال الفنية أهمية في المكتبات وأكثرها دلالة على عناية القائمين على شؤونها فتصنيف الكتب يبدأ مع الكتاب فحيثما تكون هناك كتب تكون هناك حاجة ماسة لتصنيفها. وإن أي إنسان يميز لاشعورياً في عقلهِ كل يوم. مئات المرات بين أشياء مختلفة وأحياناً بين شيئين مختلفين من جنس واحد. ونوع واحد وإن عملية التمييز هذه هي عملية التصنيف بأوسع معانيه: لماذا فعل هؤلاء الناس هذا الشيء؟ ولماذا ميزوا بين

هذه الأصناف؟ ولماذا صنفوها؟ وهل لم يجدوا طريقة أفضل من أجل تمييزها؟

إن الانسـان اكتشف في وقت مبكـر جداً من حيـاته فوائد هذا التمييز، فهو مفيد وهو عملي وهو اقتصادي ولازم وضروري، ولذلك اتخذ الانسان طريقة التصنيف هذه من أجل عملية التمييز بين الأشياء لأنه لم يجد أفضل منها.

ويفيـد التصنيف القـارىء والمكتبي فهـو يهيىء للقارىء مجاميع موحّدة متشابهة ذات موضوع واحد متسلسل تتصل حلقاته بعضها ببعض بعلاقات العموم والخصوص، بحيث تتناهى في الصغر حتى تصل إلى حد لا نجد موضوعاً خاصاً يندرج تحتها وفي هذا من دقة الشمـول والاحـاطـة ما يكفي القـارىء البـاحث في السيطـرة على مواد البحث المطلوبـة، ويـدرك المكتبي الخبـير عن طريق التصنيف مدى ما يستوعب ذلك الموضوع من مواد ثقافية لتغطيـة المـواضيـع النـاقصـة. والتصانيف كثيرة وكلها تهدف إلى تسهيل مهمة القارىء في البحث واشباع رغبته في الحصول على معلومات منتظمة ومرتبة ترتيباً منهجياً في أي علم من العلوم.

ويقـوم التصنيف بتقـريب العلوم المتشـابهة وتسلسلها بعضها مع بعض، فيتألف من مجمـوعهـا جسم واحـد لايتجـزأ، وهـذا العمـل الشاق، الكثير الصعوبات، جعل العلماء والفلاسفة أن لا تتفق آراؤهم على طريقة واحدة في التصنيف، إذا ارتأى كل منهم غير ما ارتأه سواه ولم تتخـذ التصنيفـات، شكـلاً ثابتاً مستقراً ذا روابط وضوابط، إلا بعد أن هذبها البحث وصقلها الإستقصاء والتمحيص، وهي نظراً إلى تقدم العلوم والفنون لا تزال عرضة لبعض التبديل والتعديل وستبقى كذلك أبد الدهر.

* * *

سادساً ـ اسس التصنيف:

١ ـ التصنيف الطبيعي:

وهو تقسيم المواد المصنفة إلى مجموعات على اساس التشابه الاساسي بينهما كتقسيم الانسان إلى اجناس بشرية على اساس الصفات والخصائص الجسمية الموروثة التي لا دخل للانسان فيها، فنقول ان الانسان ينقسم إلى اجناس ثلاثة هي الجنس القوقازي والجنس الزنجي والجنس المغولي وذلك على اساس قوانين علمية تبثت بالتجربة.

وحين نقسم أية مجموعة من المواد تقسيماً موضوعياً صرفاً فان هذا يعتبر تصنيفاً طبيعياً لأنه يبنى على اساس العلاقة المنطقية بين الموضوعات المتجانسة، وذلك كتقسيم الفنون إلى عمارة ونحت ورسم وطباعة وتصوير وموسيقى، ثم تقسيم الرسم إلى رسم فني ورسم زخرفي ورسم لطباعة المنسوجات ورسم على الزجاج وهكذا.

ويعتبر التصنيف الموضوعي هو الطريقة الاساسية لاية عملية تصنيف حيث انه يرتب الموضوعات على أساس علاقات منطقية بينها بحيث يمكن تحديد مكان كل موضوع داخل التصنيف، كما يمكن الوصول إلى الموضوع بسهولة عن طريق عملية التفكير المنطقي، ويمكن ملاحظة ذلك خلال عملية التصنيف الآتية لموضوعات الزراعة.

الزراعة
الاراضي الزراعية
الري
الصرف
مكافحة الآفات الزراعية
المحاصيل الزراعية

وبتحليل هذه الموضوعات يتضح انها مجمعة على اساس التجانس الموضوعي بينها، كما انها مرتبة ترتيباً منطقياً باعتبار ان عملية الزراعة تبتدىء باعداد الأراضي الزراعية ثم يلي

لاحتياجات العمل، أو بسبب طبيعة المادة المصنفة.

ويعتبر التصنيف العرضي وكذلك التصنيف الشكلي البديل للتصنيف الطبيعي عند الحاجة والفكرة الاساسية في التصنيف العرضي انه لا يهتم بجوهر المادة الموضوعي ولكنه يهتم بصفة عارضة أو مكتسبة اتصلت بها، ولايضاح ذلك فإنه يمكن ان تقسم مجموعة كبيرة من الاشخاص على أساس مؤهلاتهم كالآتي:

بدون مؤهلات

مؤهلات أقل من المتوسط (ابتدائية أو اعدادية)

مؤهلات متوسطة (ثانوية)

مؤهلات عالية أو جامعية.

مؤهلات عليا (ماجيستير. دكتوراه).

ويلاحظ هنا أن التقسيم بني على أساس «الخاصية» وهي المؤهلات التي يكتسبها الشخص في المجتمع.

ويدخل تحت التصنيف العرضي التقسيم الجغرافي والتقسيم التاريخي.

ويلاحظ أنه باستخدام التصنيف العرضي فإنه يمكن تجميع موضوعات مختلفة تحت الاسماء المتعلقة بها.

فيمكن مثلاً تجميع موضوعات مختلفة تحت الدول بالطريقة الآتية:

سورية	السودان	الجزائر
الزراعة	الزراعة	الزراعة
الصناعة	الصناعة	الصناعة
التعليم	التعليم	التعليم.

٣ ـ التصنيف الشكلي:

هو تقسيم المواد المصنفة إلى مجموعات على أساس الصفات الشكلية التي تتميز بها هذه المواد كتقسيم الانسان على أساس طول القامة أو على أساس الوزن. والشكل هنا يعني الشكل الخارجي للمادة أو الشكل الذي صيغ فيه موضوعها، ويلاحظ أنه باستخدام الشكل فإنه يمكن تجميع الموضوعات المختلفة على أساس علاقات شكلية بينها. ويكون التصنيف الشكلي الذي يتم على أساس الشكل الخارجي للمادة كتصنيف الكتب على الرفوف تبعاً لاحجامها.

أمـا التصنيف الشكـلي على أسـاس الشكل الذي صيغ فيه موضوع المادة كتصنيف المـراجـع إلى قواميس ودوريـات ودوائـر معـارف، وكتصنيف الادب إلى شعر ونثر وقصص ومقالات، وذلك على أساس الشكل الذي كتبت فيه المادة وبصرف النظر عن موضوعها.

* * *

سابعاً ـ طرق التصنيف

١ ـ الطريقة الهجائية:

ترتب الكتب في هذه الطريقة حسب الحرف الأول فالثاني فالثالث... للكلمة أو الكلمات التي اختيرت لأن تكون عنواناً للكتاب أو اسم مؤلف الكتاب، فتأتي الكلمة المبتدئة بحرف الألف ثم التي تبدأ بحرف الباء... وترتب الكلمات المبتدئة بحرف الألف فيما بينها حسب الحرف الثاني من الكلمة فإن اتفقت فيه رتبت حسب الحرف الثالث وهكذا وتتبع هذه الطريقة في جميع الحروف. إذن ترتب الكتب على الرفوف طبقاً لقواعد الترتيب الهجائي، وبذلك فإنه عند طلب أي كتاب فإنه يرجع إلى الرف للبحث عن الكتاب في الترتيب الهجائي وعند استرجاع الكتاب فإنه يعاد إلى مكانه في الترتيب الهجائي في الرف.

عيوب الطريقة:

١ ـ ان الرف المخصص لحرف معين كثيراً ما يمتلىء فيقضي الحال إلى نقل الكتب من رف إلى آخر.

٢ ـ لا تحدد مكاناً ثابتاً للكتاب، لأن الكتاب لا يأخذ رقماً والرقم هو الذي يحدد المكان الثابت للكتاب.

٣ ـ تحتاج لمجهود كبير في ترتيب هجائياً في الرفوف كما أنها تحتاج لنفس المجهود عند البحث عن الكتب لاضطرار الباحث إلى أن يتتبع الأسماء حرفاً حرفاً حتى يصل إلى الكتاب المطلوب.

٤ ـ ان استخدام هذه الطريقة قد يعرض لاحتمالات الخطأ وهذا يترتب عليه تكرار الكتب وازدواجها وذلك في حالة ترتيب الكتب في غير اماكنها الصحيحة من الترتيب.

والخلاصة أن الطريقة الهجائية تستخدم في حالتين:
آ ـ ترتيب الكتب في المكتبة حسب اسم المؤلف.
ب ـ ترتيب الكتب في المكتبة حسب عنوان الكتاب.

٢ ـ الطريقة العددية:

تنشأ الطريقة العددية بوضع رقم على كل كتاب حسب ترتيبه بالنسبة لانشائه فمثلاً لدينا عدة كتب عن الصناعة ـ الأمن ـ المواصلات، فإنها سوف ترقم على التوالي بالأرقام ٢١ ٣ دون النظر إلى ترتيبها الهجائي ويأخذ الكتاب الذي ينشأ بعد ذلك الرقم ٤ وهكذا تبعاً لتسلسل الاعداد الطبيعي أي أنه كلما ورد كتاب جديد إلى المكتبة أخذ الرقم التالي لآخر رقم مستعمل، هذه الطريقة سهلة بسيطة لا تكلف المسؤول عن المكتبة أي جهد فكري، فمن السهل تحديد رقم متسلسل لجميع الكتب، عند تدوينها في سجل المكتبة. فالكتاب الأول الذي يرد إلى المكتبة يحمل الرقم (١) والذي يليه يحمل الرقم (٢) وهكذا إلى ما لا نهاية، فتاريخ ورود الكتاب إلى المكتبة هو الذي يحدد رقمه المتسلسل، فلو تجمع لدى مكتبة ما (٦٣٢٥) كتاباً فإن (٦٣٢٥) رقماً تستخدم عند التسجيل، ويحمل كل كتاب رقماً متسلسلاً خاصاً به ويقوم أمين المكتبة بترتيب الكتب على الرفوف حسب ارقام التسلسل، فيكون الكتاب الأول على الرف الأول هو الكتاب الذي يحمل الرقم المتسلسل (١) والكتاب الأخير هو الذي يحمل الرقم المتسلسل (٦٣٢٥).

وماذا يعني رقم التسلسل بالنسبة لرواد المكتبة أو بالنسبة للكتاب؟ ان الاجابة عن هذا السؤال سهلة جداً. فالرقم المتسلسل لا يعني شيئاً بالنسبة لرواد المكتبة، فالقارىء الذي يحتاج إلى كتاب ما أو الى مجموعة من الكتب لا بد وأن يلجأ إلى احدى الوسائل التي تساعده في نيل بغيته، فهو إما أن يسأل عن كتاب لمؤلف ما، أو عن كتاب بعنوان ما أو كتب تبحث في موضوع معين، ولن يدور في خلده، ولن يكون في وسعه، أن يسأل عن كتاب بواسطة رقمه المتسلسل، فالكتاب الواحد ذو الموضوع المحدد، يحمل أرقاماً متسلسلة مختلفة في جميع المكتبات، فنجد مثلاً أن كتاب «السكرية» تأليف نجيب محفوظ يحمل الرقم المتسلسل (٢٩١) في مكتبة (أ) ورقم التسلسل (٨٠٧) في المكتبة (ب) وهلمجرا.

ان اعتماد الارقام المتسلسلة لترتيب الكتب، هو نظام سقيم، لجأت إليه بعض المكتبات لجهل القائمين عليها بالأسس السليمة والنظم الصحيحة التي يجب اتباعها في

تصنيف الكتب، ولذلك فإن هذه المكتبات تعاني من الفوضى، وتعاني من الجمود بشكل لا تحسد عليه.

قد يقول البعض أن ترتيب الكتب حسب أرقام التسلسل يساعد على عملية الجرد والجواب واضح بين، فالهدف من وجود أية مكتبة لا ينحصر في جرد كتبها، بل الغاية من وجودها هي تقديم المعارف البشرية في مختلف ميادينها وحقول تخصصها إلى المجتمع الذي تخدمه المكتبة، مهما كان عدد أفراد هذا المجتمع، ومهما كان عدد الكتب التي تحويها.

يجد الانسان صعوبة في العمل بهذه الطريقة في حالة ازدياد عدد الكتب، فيحتاج إلى وقت طويل حتى يهتدي إلى رقم أي منها لذلك فإنه يلزم للرجوع إلى الكتب في هذه الطريقة استخدام فهرس بطاقات مرتب ترتيباً هجائياً، بأن يعمل لكل كتاب بطاقة يدون عليها اسم الكتاب أو اسم مؤلف الكتاب، ورقم الكتاب، وتحفظ هذه البطاقات في ادراج الفهرس الخاصة بذلك. فإذا أردنا البحث عن كتاب ما، فما علينا إلا الرجوع إلى درج البطاقات لمعرفة رقم الكتاب. فيصبح بعد ذلك الوصول إلى الكتاب عملاً آلياً سهلاً للغاية.

وفي حالة زيادة الكتب في المكتبة فإن ذلك يحتاج فقط إلى إضافة رف جديد ترتيب فيه الكتب الجديدة ترتيباً عددياً بعد آخر كتاب في المكتبة ولا حاجة لنقل الكتب من رف إلى آخر كما هو الحال في الطريقة الهجائية.

الموضوع وأرقام التسلسل:

أراد البعض أن يخرج عما اعتاد عليه غيرهم باستخدام أراقم التسلسل في تنظيم الكتب، فخطوا خطوة جريئة، فقسموا الكتب حسب موضوعاتها، وخصصوا لكل موضوع رقماً خاصاً به، ورتبوا كتب الموضوع الواحد حسب أرقام التسلسل، فنجد أن أحدهم قد خصص رقم (١) للكتب التاريخية ورقم (٢) للكتب الجغرافية، ورقم (٣) للكتب الادبية، ورقم (٤) لكتب العلوم... الخ، ونجد أن الكتاب الأول من كتب التاريخ يحمل الرقم ١/١ والكتاب الثاني يحمل الرقم ١/٢، الثالث يحمل الرقم ١/٣ والكتاب الألف وخمسمئة وثمانية وأربعين يحمل الرقم ١/١٥٤٨، وينطبق هذا الترتيب على مجموعات الكتب ذات المواضيع المختلفة مع حدوث تغيير طفيف بالنسبة للرقم المخصص للموضوع، أي ان أول كتاب من كتب الجغرافيا يحمل الرقم ٢/١ باعتبار أن الرقم (٢) خاص بالجغرافيا والرقم

(١) يعني الكتاب الأول، وعليه قس بالنسبة لكل موضوع .

وهـذا الـترتيب اجـراء محلي خاص بالمكتبـة الـواحـدة، إذ نجـد أن كتـاب «القضية الفلسطينيـة» تأليف أكـرم زعيـتر ، ذو أرقام متعددة، تختلف بين مكتبة واخرى، فقد يكون رقمه ١/١٠٣ في المكتبة (أ) لأن المسؤول في هذه المكتبة قد اعتمد الرقم (١) لكتب التاريخ وكان الرقم المتسلسل لهذا الكتاب هو (١٠٣)، ونجد رقمه ٥/٦٧٧ في المكتبة (ب)، لأن المسؤول في هذه المكتبـة قد اعتمـد الـرقم (٥) لكتب التاريخ وكان الرقم المتسلسل للكتاب نفســه هو ٦٧٧ ، فيختلف رقم هذا الكتـاب من مكتبـة إلى اخرى باختلاف الترتيب الذي اتبعه كل مسؤول في تنظيم كتب مكتبته .

وللرد على هذا الاسلوب من التنظيم يمكن القول إن المسؤولين في المكتبات ليسوا في وضع يؤهلهم لاختراع أنظمة متعددة، بحيث يصبح لكل مكتبة نظام خاص بها لا يعرفه إلا المسؤول فيها، وان أي نظام من أنظمة التصنيف لا بد أن تتوافر فيه صفات وميزات .

والخلاصة أن الطريقة العددية، تستخدم في حالتين :

آ ـ ترتيب الكتب حسب تاريخ ورودها للمكتبة .

ب ـ ترتيب الكتب حسب رقم التسلسل الذي سجلت بموجبه في سجل الورود أول قدومها للمكتبة .

٣ ـ الطريقة الهجائية العددية :

ترتب الكتب في هذه الطـريقـة في مجمـوعـات هجـائيـة، وتـرقيم كل مجموعة بأرقام مسلسلة، ولا يشترط أن تكون الكتب في المجموعة الهجائية الواحدة في ترتيب هجائي .

ويكـون ترتيب الكتب على الـرف التي تكـون المجموعة الهجائية الأولى أي مجموعة حرف الألف بعد ترقيمها كالتالي : أ/١ أ/٢ أ/٣ أ/٤ أ/٥ أ/٦ الخ . . .

ويكـون ترتيب المجمـوعـة الهجـائية الثانية (ب) بعد ترقيمها كالتالي : ب/١ ب/٢ ب/٣ ب/٤ ب/٥ ب/٦ الخ . . .

للوصول إلى الكتاب في هذه الطريقة يتوجب تسجيل كتب كل مجموعة هجائية على بطاقة كبيرة من الورق المقوى أو على صفحات دفتر كالتالي :

ف	
الفنون	١
فقه اللغة	٢
الفلاحون	٣
الفقراء	٤
فرق الاسعار	٥

٤ ـ الطريقة الجغرافية :

ترتب الكتب في هذه الطريقة طبقاً لأقسام جغرافية : حسب القارات يلي ذلك الدول الواقعة في القارة ثم المحافظات الكائنة في الدولة الواحدة ثم المدن التابعة للمحافظة الواحدة . أي اننا نرتب الكتب الخاصة بقارة ما على الرف مع بعضها ثم الكتب الخاصة بدولة ما تابعة لهذه القارة مع بعضها ثم الكتب الخاصة بمحافظة ما تابعة لهذه الدولة مع بعضها وهكذا . . ويتم هذا الترتيب من خلال ترتيب كتب القارة الواحدة هجائياً بعضها مع البعض الآخر.

وكذلك كتب الدولة الواحدة ترتب أيضاً هجائياً . وترتب كتب التقسيمات الجغرافية داخل كل دولة هجائياً بطريقة التسلسل الاكبر فالاصغر: المحافظة ثم المدينة ثم المنطقة الخ . . .

يمكن ترتيب الكتب في هذه الطريقة بشكل آخر نوضحه كما يلي :

١ ـ ترتب الكتب حسب التقسيمات الجغرافية .

٢ ـ ترتب الكتب داخل كل تقسيم جغرافي حسب المواضيع .

٣ ـ ترتب الكتب فيما بينها حسب المواضيع بترتيب هجائي .

٥ ـ الطريقة الزمنية :

تستخدم الطريقة الزمنية على الكتب المتعلقة بموضوع التاريخ فقط . أي أن الكتب التاريخية ترتب حسب التاريخ الخاص بها أي حسب عصرها .

كما وتطبق هذه الطريقة على المطبوعات الدورية وفقاً لتاريخ صدورها كالصحف والمجلات .

٦ ـ الطريقة الموضوعية :

تصنيف الكتب حسب موضوعاتها هو أفضل السبل واحسنها، وايسرها وصولاً إلى الكتاب المطلوب. ولبيان ميزات التصنيف حسب الموضوع لابد من أن نذكر ما يلي :

أ ـ الموضوع صفة موروثة في الكتب :

موضوع الكتاب ثابت لايتغير باختلاف مؤلفه أو عنوانه أو حجمه أو لونه أو رقم تسلسله، فالكتب التي تبحث في الفلسفة، سيبقى موضوعها صفة موروثة في هذه الكتب مهما اختلفت أسماء المؤلفين أو العناوين أو الأحجام أو الألوان أو أرقام التسلسل.

ب ـ الكتب التي تبحث في موضوع ما تكون مع بعضها : ان اعتماد الموضوع لتصنيف الكتب يقود إلى جمع الكتب ذات الموضوع الواحد في مكان واحد، فالكتب التي تبحث في الفقه الاسلامي مثلاً تكون مجموعة مع بعضها، وكذلك بالنسبة لكتب الرياضيات، أو الزراعة أو التاريخ الحديث. . الخ.

جـ ـ الكتب ذات المواضيع المتشابهة في تقارب نسبي : إذا احتلت الكتب التي تبحث في موضوع مامكانها الذي يناسبها، فإنها تكون قريبة من الكتب التي تبحث في موضوعات لها علاقة بالموضوع الأول، وبذلك يستطيع الباحث أو الدارس أو القارىء ان يصل إلى مجموعات من الكتب تبحث في موضوعات لها علاقة بالموضوع المبحوث عنه، فيجد مثلاً كتب الحساب قريبة من كتب الجبر والهندسة، وكتب الفيزياء قريبة من كتب الكيمياء، وكتب الاحياء قريبة من الكتب التي تبحث في علمي الحيوان والنبات وهلمجرا.

من هذا يتضح أن المكتبة التي ترغب في استغلال كتبها وما تحويه من مطبوعات مختلفة وترغب في ان تفيد روادها، وأن يستفيد الباحثون والدارسون من محتوياتها، لا بد لها من أن تصنف كتبها حسب موضوعاتها المختلفة، حتى تصل إلى النتيجة المطلوبة وهي : ترتيب الكتب بشكل سليم وصحيح، ليصل القارىء إلى بغيته في معرفة الكتب وبأيسر سبيل وبأسرع وقت.

من أهم العوامل في تنظيم محتويات المكتبة هو عامل الترتيب فلا بد وان يكون هناك نظاماً أو قاعدة أو فكرة معينة لمعالجة ترتيب محتويات المكتبة وقد توصل المكتبيون منذ الازمنة القديمة (بعد دراسة المكتبة ومحتوياتها) الى فكرة التصنيف. ويجب علينا بهذا المجال التعرف على محتويات المكتبة، فمحتويات المكتبة أو المواد المكتبية يمكن أن تعزل عن بعضها بسبب شكلها كالكتب ذات الاحجام الكبيرة والاطالس والخرائط أو قد تعزل لقيمتها أو لأهمية

معينـة كالكتب النـادرة والتقارير أوتعزل بسبب شكلها ومحتوياتها كالاسطوانات والمكروفيلم والمكروفيش وكذلك المطبوعات الحكومية والاطروحات .

أمـا الـدوريـات الجـاريـة فقد توضع على رفوف خاصة بها لتعرض للقارىء بشكل سهـل وبنفس الـوقت توضع معهـا الـدوريات القديمة . وقد يفضل ان توضع الدوريات القديمة المجلدة بين مجاميع الكتب العادية .

ان التنظيم الحديث في المكتبات لكافة اشكال المواد المكتبية هو ترتيبها وتصنيفهاوفق المحتويات . أي المواضيع أو الأفكار التي تعالجها .

يستطيـع المكتبي في المكتبـة الصغـيرة أن يألف جميـع الموضوعات التي تغطيها المواد المكتبيـة بغض النظـر عن أشكـالها ، ولكن ذلك يتعذر عليه في المكتبة الكبيرة ، لذا يجب ان يتبـع المكتبي طريقـة ما لترتيب المـواد وجعلها في متناول أيدي القراء بالسهولة الممكنة وهي اتبـاع نظـام تصنيف معـين وثم عمـل الفهـارس والكشـافات المناسبة ليعرف المواد الموجودة بوضوح وبطريقة تجعل بالامكان وضع واستخراج أو تحديد المكان المناسب لأي مادة .

وتؤ خـذ طلبـات القـراء وهي كثـيرة ومتعددة بنظر الاعتبار حين ترتيب المواد المختلفة داخل المكتبة للوصول اليها بأقصر وقت واسهل طريقة فهناك طلبات مؤ لف بالذات وهناك طلبـات لعنـوان معـين وهنـاك طلبـات لكتب عن موضـوع معين وطلبات لمواد في شكل من الأشكال (قواميس ، خرائط ، اسطوانات ، أفلام .

وعندما بدأ المكتبيون بترتيب المواد داخل الرفوف فكروا في ترتيبها ترتيباً هجائياً (بعد ان وجـدوا أنـه لا فائـدة من ترتيبهـا حسب اللون أو النـاشـر أوسنـة النشـر) حسب اسـماء تالمؤ لفـين . وكـان من عيـوب هذه الطـريقة هو أن على القارىء ان يعرف اسم المؤ لف كي يستطيـع الـوصـول إلى الكتاب الذي يريده . وإذا لم يتمكن من ذلك عليه بالبحث في كافة المطبـوعـات المـوجـودة وقـد لا يوجد الكتاب بالذات وهذا يستغرق وقتاً طويلاً في استخراج الكتب واعادتها كما يعني انه لا يهتم بالمحتوى الفكري ، أي يهمل مواضيع الكتب فيبعثرها هنا وهناك . وبناء على ما تقدم فقد فكروا بترتيب المواد داخل الرفوف ترتيباً هجائياً حسب عنـاوين المطبـوعات وواجهوا نفس الصعوبة من حيث ايجاد المطبوع فكان على القارىء ان يعـرف العنـوان بصيغـة صحيحـة حتى يصـل إلى الكتاب الذي يريده . ان حفظ الحروف وترتيب المواد حسب الحروف داخل الرفوف عملية ليست بسيطة .

من هذا توصل المكتبيون إلى طريقة تساعد في ترتيب المطبوعات داخل الرفوف بغض النظـر عن شكلهـا ، وايصالها إلى القارىء بشكل سريع وبسيط ، هذه الطريقة هي حسب

المواضيع التي تعالجها كاساس (والمحتوى الفكري للمواد). فالترتيب الموضوعي يقسم المواد إلى مجموعات صغيرة حسب المواضيع وهذا يتم عن طريق التصنيف من هذا نستنتج ان هناك ضرورة للتصنيف فإن ما يهم المكتبي هو ان يجمع الكتب المختلفة من مصادر مختلفة ويحافظ عليها.

والمكتبي لا يقرأ الكتب وانما يعدها لتكون جاهزة ليستفيد منها القارىء الذي ليس له أي علاقة مع المكتبي، فإن ما يهم القارىء هو الحصول على الكتب التي يحتاجها على أساس ان كل كتاب لقارئه وكل قارىء لكتابه. وان مايهم المكتبي هو ان يرتب الكتب بأي طريقة كانت أو أي نظام تصنيف كان ليستطيع ان يحصر الكتب المتشابهة في مكان واحد ويبعد الكتب غير المتشابهة حسب درجة الصلة معها ويهمه ان يعرف اين يضع الكتاب، في أي خزانة ومع أي مجموعة وكيف يضعه وما هي الخطوات الواجبة ليهتدي إلى مكانه.

وبعد ان عرفنا ان من احسن الطرق لتنظيم المجموعات داخل الرفوف هي طريقة التصنيف حسب المواضيع، فلا بد أن يكون هناك دليلاً يساعدنا على الوصول إلى هذه المواضيع، وكان احسن دليل هو الفهرس العام في المكتبة الذي يشمل كافة مطبوعات المكتبة.

هناك أيضاً عدة طرق لترتيب الكتب في المكتبة على الرفوف مثل:

١ ـ ترتيب الكتب حسب حجمها.

٢ ـ ترتيب الكتب حسب تاريخ طبعها.

٣ ـ ترتيب الكتب حسب الوان اغلفتها.

إلا أنه ثبت بشكل قاطع لايقبل الجدل أن الترتيب الموضوعي هو الأفضل، وأن التصنيف هو حياة المكتبة وروحها، وأن المكتبة غير المصنفة تعتبر مخزناً للكتب وضعت فيه الكتب بدون نظام وبشكل فوضوي. إن المكتبة تمتاز على مخزن الكتب بأنها تمتلك أداة قادرة على وضع الكتب المطلوبة عند أصبع طالبها، وهذه الأداة السحرية هي التصنيف.

ثامناً ـ اهمية التصنيف :

للتصنيف أهميـة كبر ى في المكتبـات، بل لا نغـالي إذا قلنـا : إن التصنيف الجيـد هو المعيار الذي تمتاز به مكتبة على مكتبة . فهو:

١ ـ سجل موضوعي (أي حسب الموضوعات) لجميع محتويات المكتبة بحيث يسهل على أمين المكتبة العثور على أي كتاب في أي موضوع بدقائق قليلة ويسهولة تامة . .

٢ ـ يسـاعـد البـاحث الـذي يريـد أن يطلع على جميع محتويات ومقتنيات المكتبة في موضوع من الموضوعات، فإنه بهذه الطريقة التصنيفية التي صنفت الكتب بموجبها حسب المـوضـوعات، يستطيع الاطلاع على جميع ما تمتلكه المكتبة من كتب ومواد ذلك الموضوع . وهذا يسهل عملية البحث تسهيلاً كبيراً طالما أن جميع المواد العائدة لموضوع معين موجودة في مكان واحد وتحت تصرف الباحث، ولذلك قيل : التصنيف مفتاح البحث.

٣ ـ كذلك يسمح التصنيف الجيد للمكتبة أن تتوسع باستمرار دون أن تعيد تصنيف مجمـوعـاتهـا . ذلك أن التصنيف الجيد يمكن أن نصنف به مكتبة عدد كتبها مليون كتاب، وبنفس الوقت يمكن أن نصنف به مكتبة عدد كتبها مائة كتاب .

إن أية مكتبة تتألف من مجموعة من المواد المكتبية (بمعناها الواسع جداً) في مكان من الأمكنة .

قد تكـون هذه المجمـوعـة شاملة وممثلة لجميـع فروع المعـرفة الإنسانية، كما في حالة المكتبـات الكـبر ى الـوطنيـة كمكتبة الكونغرس أومكتبة المتحف البر يطاني، أو كما في حالة المكتبـات المتخصصـة، تكـون هذه المجمـوعـة مقتصـرة على موضـوع معـين أوعدد من الموضوعات الخاصة . فإذا أريد لهذه المجموعات من المواد المكتبية أن تكون ذا نفع وأن تحقق الغايات التي أوجدت من أجلها وجب :

آ ـ أن تنتقي المواد المكتبية بعناية بحيث تغطي الموضوعات التي تمثلها تغطية جيدة .

ب ـ يجب أن ترتب بطريقة من الطرق التي تساعد تلك المكتبة على تحقيق أهدافها بكفاءة وسرعة ويسر. وبدون هذا الترتيب تبقى الكتب مجرد مجموعة من الكتب ولا يمكن إعطاؤ ها اسم مكتبة .

تاسعاً ـ وظائف التصنيف:

١ ـ هو أساس في تنظيم المجموعات بقصد الاستعمال.

٢ ـ لابد من ارتباط المواد المكتبية ارتباطاً نوعياً. أي أنه لابد لها أن تصنيف.

٣ ـ كثير من القراء يبحثون عن حاجتهم دون مساعدة موظفي المكتبة أو استخدام الفهرس. والتصنيف يضمن ترتيباً يعكس أهم الصلات بين المواد المكتبية.

٤ ـ إن ترتيب المواد المكتبية ترتيب خطي. ولا بد لأي ترتيب من أن يفرق بين المواضيع المترابطة إلى حد ما. إلّا أن التصنيف يقلل من هذا التشتيت نوعاً ما.

٥ ـ التصنيف أساس مناسب في دراسة مساعدة القراء.

٦ ـ اختيار المواد المكتبية المبني على التصنيف يضمن التقنين والتوازن في المجموعات.

٧ ـ يقوم التصنيف بواسطة رموزه بما يلي:

أ ـ يضمن ترتيب الأعداد الكبيرة من الوثائق أو بطاقات الفهرس. كما يسهل سحب وإرجاع الوثائق دون أن يؤثر ذلك سلبياً على الترتيب.

ب ـ هو الوسيلة المستخدمة للربط بين الرف والفهرس.

جـ ـ يساعد في إرشاد القراء إلى مجموعات الموضوع أو الميدان الواحد.

د قد ت -خهدم الرموز لأغراض الإعارة.

٨ ـ قد يكون التصنيف أساساً لتنظيم التعاون بين المكتبات في الترتيب الموضوعي المتخصص في ميدان التعاون الدولي، وفي عمليات التزويد التعاونية. وفي هذا الدور يلعب التصنيف دور اللغة العالمية.

غير أن المكتبات تواجه عدداً من المشاكل تؤثر على التصنيف أو تتأثر به. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ مهما كان الترتيب الناتج عن تطبيق أي نظام تصنيف فليس هناك أي ترتيب يرضي جميع القراء.

٢ ـ إن عدداً من نظم التصنيف تخضع للمراجعة والتعديل من وقت إلى آخر. إلاّ أن مكتبات عديدة لا تساير مثل هذه المراجعات والتعديلات. هذا مع العلم أن هذه النظم نفسها قد لا تكون مسايرة لتطور المعرفة.

٣ ـ يقوم المصنف بعملية التصنيف في ميادين مجهولة لديه مما قد ينشأ عنه تصنيف خاطىء.

٤ ـ قد تتعارض محتويات بعض المواد المكتبية مع أي نظام للتصنيف.

٥ ـ صعوبة تصنيف الكتب القديمة من الناحية العملية.

* * *

عاشراً ـ خصائص التصنيف :

ليس كلّ تصنيف يصلح أخذه واستعماله في المكتبة، فهناك مواصفات معينة يجب أن تكون موجودة في التصنيف حتى يمكن اعتباره تصنيفاً جيداً وأهم هذه الخصائص هي :

١ ـ يجب أن يكون التصنيف عاماً أي تصنيفاً يشمل المعرفة الإنسانية كلها. وكما سبق أن رأينا فإن تصنيف الكتب ليس تصنيفاً للمعرفة الإنسانية. ولكن لما كانت الكتب أوعية المعرفة الإنسانية لذلك وجدت صلة وثقى بين الطرفين. ومهما تكن المكتبة اختصاصية، فلا بد أن تمتلك مواد في حقول أخرى من حقول المعرفة لها علاقة بمادة التخصص الأساسية للمكتبة، وهذه تحتاج إلى أن تصنف، ولذا وجب أن يكون التصنيف شاملاً.

٢ ـ يجب أن يسمح التصنيف بالتوسع باستمرار ومع توسع المعرفة الإنسانية. ذلك أن المعرفة الإنسانية تتوسع باستمرار وتزداد باستمرار وتضاف فروع جديدة إلى فروع المعرفة القديمة. فلم تكن الإنسانية تعرف إلا القليل النادر عن الذرة والفضاء الخارجي والصواريخ وما شابه، كذلك لم يكن أحد يعرف شيئاً عن الإلكترونات والعقول الإلكترونية وغيرها من الموضوعات. أما الآن فالكتب والمواد التي تعالج مثل هذه أكثر من أن تعد وتحصى. ولذلك وجب على التصنيف أن يكون قادراً على التوسع باستمرار وذلك يكون بطريقتين :

أ ـ أن يسمح بإضافة فروع جديدة من فروع المعرفة كما في مثل الفيزياء الذرية والإلكترونات وأبحاث الفضاء والصواريخ.

ب ـ أن يسمح بتوسع بعض الفروع التي كانت موجودة من قبل، ولكنها توسعت الآن بفضل عوامل كثيرة أهمها توسع الفرع نفسه ووفرة ما ينشر عنه من مواد، والطلب المتزايد على ذلك النوع من المواد.

٣ ـ يجب أن يكون التصنيف مرتباً ترتيباً منطقياً بحيث يكون الانتقال والتدرج من العام إلى الخاص ويأتي العام قبل الخاص والأصل قبل الفرع لا العكس. فمثلاً كتاب

يبحث في سيرة الرسول عليه السلام يجب أن يأتي بعد كتاب يبحث في الإسلام بشكل عام لا العكس، لأن الإسلام أصل، وسيرة الرسول فرع والفرع يتبع الأصل، وهكذا.

٤ ـ يجب أن يتسع التصنيف للمواد الجديدة التي ترد إلى المكتبة بحيث يكون من السهل أن تصنف بموجبه مكتبة عدد مؤلفاتها مائة كتاب، وأن تصنف بموجبه مكتبة عدد كتبها أكثر من مليون كتاب في نفس الوقت. وهذا يربط هذا البند مع البند رقم ٢.

٥ ـ يجب أن يكون له رموز Notation تدل على أقسامه وأشكاله وفروعه وتفريعاته ويمكن بواسطتها قراءته وكتابته واستعماله.

ينوب الرمز عن أسماء أقسام التصنيف الكبرى وأقسامه الفرعية أو أية تفريعات أخرى يمكن أن تفرع من الأقسام مهما تكن دقيقة صغيرة، وتشكل وسيلة جيدة وفعالة ومعقولة لدلالة على ترتيب وتسلسل التصنيف.

إن الرمز شيء مهم وأساسي بالنسبة لجدول التصنيف، لأنه لا يمكن بدونه قراءة التصنيف ولا جعله متسلسلاً في نظام، ولا يمكن تطبيقه في تصنيف الكتب. إن الرموز هي أساس وقاعدة التصنيف العملي.

هذه الرموز يمكن أن تكون على أشكال ثلاثة:

١ ـ أرقام كما هي الحال في تصنيف ديوي.

٢ ـ حروف هجائية.

٣ ـ تركيب ومزيج من الأرقام والحروف الهجائية كما هو الحال في الرموز المستعملة في تصنيف مكتبة الكونغرس.

أما إشارات الترقيم والأنماط المختلفة من العلامات الأخرى فقد تستخدم غالباً كأدوات لفصل مظهر من مظاهر الموضوع عن الآخر، أو لربط المواضيع. وإذا استخدم نوع واحد من الرموز (الأرقام أو الحروف) سميت الرموز مجردة. أما إذا اشتملت على النوعين فتسمى رموزاً مختلطة.

٦ ـ يجب أن يستخدم النظام مصطلحات واضحة لها معنى ثابت لكل من المصنف والقارىء، وينبغي أن يساعد ترتيب المفردات في الجداول والكشاف على كشف اهمية الترتيب. أما المفردات نفسها فيجب أن تكون حديثة نوعاً ما وغير غامضة، وان تحدد بصورة واضحة وصحيحة المفاهيم والخصائص القائمة في الوثائق المصنفة.

٧ ـ يحتاج نظام التصنيف العام حتى يكون قابلاً للاستخدام إلى الجداول التي

تتضمن قائمة المواضيع مرتبة حسب اسس تقسيم مقننة، ولا بد لهذه الجداول من توفير الاماكن المناسبة لما يلي:

أ ـ القسم الخاص بالمعارف العامة ـ وهذا يكون عادة في أول الجداول ليستوعب المواضيع والأشكال التي لا يستوعبها أي قسم رئيسي آخر من أقسام التصنيف مثل دوائر المعارف العامة والدوريات العامة.

ب ـ الأقسام الشكلية ـ وهي الأقسام التي تستوعب الوثائق التي تبرز أهميتها نتيجة لأسلوب كتابتها أكثر من محتواها الموضوعي. وأهم مثال على ذلك الآداب.

ج الجداول المساعدة ـ والتي تتضمن رموزاً يمكن أن تضاف إلى أرقام تصنيف المواضيع لتبرز العلاقة، أو التقسيمات المشتركة بين المواضيع المختلفة، أووجه المكان أووجه الزمان الخ.

٨ ـ يحتاج نظام التصنيف العام إلى: الكشاف الهجائي للمواضيع، ليعمل على معرفة موقع الموضوع في الجداول. والكشاف نوعان كشاف تحليلي يمكن من إبراز مظاهر الموضوع الموزعة في الجداول وكشاف محدد يبين فيه مكان واحد للموضوع الواحد.

٩ ـ يجب ان يكون التصنيف مطبوعاً في شكل يمكن أن يعطي فكرة سريعة عن المجال الذي يغطيه.

***

حادي عشر ـ مصطلحات التصنيف :

لكل علم ولكل موضوع مصطلحاته الخاصة به ، والمقصود هو المصطلحات الفنية ، ويستحيل على الدارس أو الباحث أو المتخصص أن يعرف موضوعاً ما معرفة صحيحة ودقيقة وان يفهمه فهماً سليماً إلا إذا توفرت للموضوع مصطلحاته المناسبة وتحددت معانيها الدالة عليها وعادة يجمع المتخصصون في الموضوع مصطلحاته في المعاجم الخاصة بالموضوع ، كمعجم الرياضيات مثلاً ، أو معجم الفيزياء أو معجم الموسيقا أو يتم جمعها في قائمة المفردات (glossary) ليرجع إليها المعنيون بالموضوع كلما ا قتضت الضرورة، إلى ذلك .

ومصطلحات الموضوع ليست جامدة ، ولكنها نامية وتزداد باستمرار لتواكب تطور الموضوع وتقدمه . والموضوع النامي كالتصنيف مثلاً يضيف باستمرار مصطلحات جديدة إلى مصطلحاته المألوفة المعروفة . ويستخدم ذوو العلاقة بالتصنيف هذه المصطلحات الفنية باستمرار باعتبارها وسائط التعبير السليم عن المعاني والمدلولات لجوانب التصنيف المتعددة .
أما المصطلحات الخاصة بالتصنيف فهي :

١ ـ الأصل : أي شيء أو مجموعة من الأشياء تنقسم إلى جزئين أو فرعين أو أكثر مثال الأدب (أصل) ينقسم إلى ادب عربي (فرع) ادب انكليزي (فرع) الخ . . .
وينطلق التصنيف عادة من الاصول الرئيسية أو الاصول الأساسية .

٢ ـ الفروع : هي الأقسام التي يتكون منها الأصل أو هي الأقسام التي ينقسم إليها الأصل، ويمكن أن يصبح الفرع أصلاً فينقسم إلى فروع أخرى .

فالأدب العربي يكون أصلاً عندما نصنفه أو نقسمه إلى الشعر العربي ، المسرحية العربية وكذلك الفرع الشعر العربي يكون أصلاً عند تصنيفه إلى الشعر الجاهلي ، الشعر الاسلامي ، الشعر الاموي الخ . . .

٣ ـ الفرق : هو الخاصية التي تستخدم لتقسيم الاصول إلى الفروع ، وبمعنى آخر هو الخاصية التي تضاف إلى الأصل فينتج الفرع الذي يكتسب هذه الخاصية ، والفرع الذي

يكتسبها، ونستطيع اثبات هذه المعادلة في هذا الشأن:

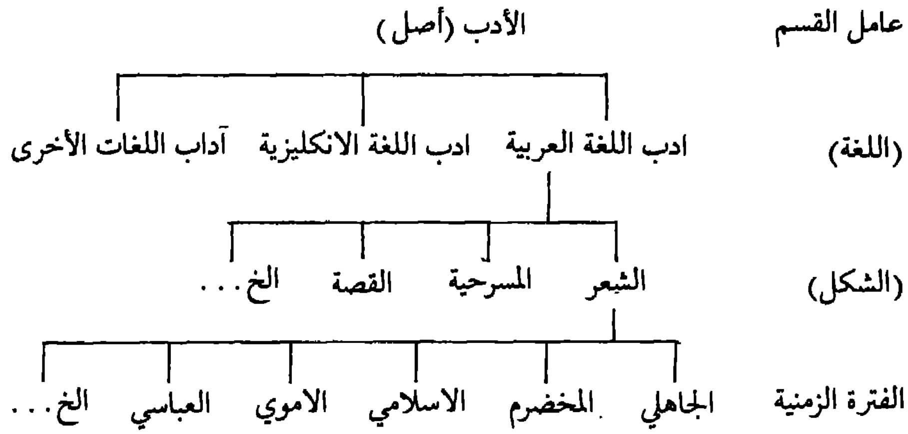
الأصل + الفرق = الفرع أو الفروع

مثال: الحيوان + العمود الفقري = حيوانات

فقارية + حيوانات لا فقارية وفي هذا المثال كان العمود الفقري هو الفرق واضفناه إلى الأصل وهو الحيوان وكان الناتج فرعاً يمتلك هذه الخاصية وهو الحيوانات الفقارية، وفرعاً لا يمتلكها هو الحيوانات اللافقارية.

وكذلك المثال: اللغة + الهجائية العربية = اللغة العربية + اللغات الأخرى. فالأصل هو اللغة واضفنا إليه الفرق وهو الهجائية العربية وكان الناتج فرعاً يمتلك هذه الخاصية هو اللغة العربية، وفروعاً لا تمتلكها وهي اللغات الأخرى.

٤ ـ عامل القسمة: هو المبدأ الذي يتم بموجبه تفريع أصل ما مثال:



وهذا المثال في التصنيف يوضح لنا المفهوم الذي يشير إلى أن عملية التصنيف هي التدرج من الموضوّع العام إلى الموضوع الخاص.

فالأدب هو الموضوع الأعم، والادب العربي هو الأخص والشعر العربي هو الأخص، وهكذا على النحو التالي:

أدب ـ أدب عربي ـ شعر عربي ـ شعر جاهلي ـ المعلقات ـ معلقة أمرىء القيس.

٥ ـ الثبات: هو استخدام عامل القسمة مرة واحدة في آن واحد للحصول على الفروع من أصل ما، وقد لاحظنا من المثال السابق ان عامل القسمة اللغة، أو الشكل، أو

الفترة الزمنية لم يستخدم الواحد منها إلا مرة واحدة حتى نحافظ على مبدأ الثبات في التصنيف.

٦ ـ الشمول: هو المجال المعرفي الذي يشمله لفظ ما. ويحوي اللفظ ذو الشمول الواسع كثيراً من الفروع مثل لفظ الأدب فهو شامل لكل الآداب بجميع اللغات.

٧ ـ الغرض: مجموع الخواص التي يمتلكها لفظ ما. أو المميزات والخصائص التي تتوافر في الشيء أو الموضوع المسمى مثال: المتنبي، لفظ خاص بإنسان واحد معين. ويحدد هذا اللفظ كل الخصائص المتعلقة بالمتنبي من انه شاعر عربي عاش في العصر العباسي.

يتضح لنا مما سبق ان اللفظ ذا الشمول الواسع قليل الغرض أو عديمه، وبمعنى آخر، كلما ازداد شمول اللفظ قل غرضه، وكلما ازداد غرض اللفظ قل شموله. ويقودنا هذا الكلام إلى أن الهدف من عملية التصنيف هو التقليل من شمول الألفاظ الدالة على الموضوعات والوصول إلى الألفاظ الدالة على الغرض لكل موضوع.

***

الفصل الثالث

قواعد التصنيف

أولاً ـ مشكلة الترتيب في المكتبة

١ ـ من أكبر مهام المكتبي أن يرى أن المجموعات التي يرعاها قد انتفع بها على خير وجه ممكن، «كل كتاب لقارئه وكل قارىء لكتابه». وكل كتاب لايعد وحدة مادية قائمة بذاتها فحسب ولكنه على صلات كبيرة لاتخلو من التعقيد بالكتب الأخرى.

٢ ـ وينبغي ادراك الصلات بين المواد. وتمييزها بوضوح، حتى لايؤدي عدم إدراكها إلى عدم الانتفاع الكامل بها. ففي مكتبة تتبع تصنيف ديوي مثلاً، سوف يطلب القارىء معلومات عن النظام البرلماني البريطاني. والكتب العامة عن هذا الموضوع مكانها على الرفوف تحت رقم ٣٢٨,٤٢. وقد تكون الكتب التي تتناول مجلس العموم تحت رقم ٣٢٨,٣٢ أي تسبق الموضوع العام. وقد يهتدي القارىء إلى هذه الكتب، ولكن من العسير عليه أن يكتشف أن هناك كتباً أخرى مفيدة تسهم في الموضوع تحت ٣٢٤ الانتخابات وكذلك تحت ٣٢٩ (الجمعيات السياسية) و٣٤٢,٤٢ (الدستور البريطاني).

ومن الواضح أنه مالم يعرف القارىء بهذه الصلات بطريقة أو بأخرى فإن مواد المكتبة لن ينتفع بها على الوجه الأكمل.

٣ ـ يحتاج المكتبيون باستمرار عند البحث عن المعلومات أن يضعوا في اعتبارهم مراجعة المواد المتصلة بالموضوع في أماكن أخرى من المكتبة. وفي هذا المجال يمكن الانتفاع بالمجموعات على أكمل وجه عن طريقين:

أ ـ عن طريق المساعدة الشخصية للقراء.

ب ـ عن طريق ترتيب وعرض المجموعات بشكل يجعلها بقدر الامكان واضحة بذاتها للقراء.

ويتضمن ذلك توفير الفهارس والكشافات وخاصة الكشاف الموضوعي الهجائي الدقيق الذي يضم الموضوعات الممثلة بالمجموعات.

٤ ـ نعني بالترتيب اختيار صفة معينة لكل مادة (مثل الموضوع أو المؤلف) ووضع المواد في تسلسل يعكس هذه الصفة بطريقة مقننة. من الواضح أن تلك الصفات التي تتخذ أساساً للترتيب ينبغي أن تكون على صلة بأنواع الطلبات التي ينتظر أن يطلبها القراء، ولحسن الحظ، فإن هذه الطلبات يمكن حصرها في عدة مجموعات محدودة ومتميزة بوضوح ودقة:

أ ـ طلبات لمواد كتبت أو صدرت عن شخص أو هيئة بالذات أي عن طريق المؤلف.

ب ـ طلبات لمواد عن موضوع بالذات.

جـ ـ طلبات لمواد في شكل من الأشكال الفنية مقطوعة موسيقية، أو رواية.

٥ ـ من الواضح أن ترتيب الوحدات المادية وهي التي تكون المجموعات ـ الكتب، الدوريات، التقارير، الخرائط، الخ.. لايمكن أن يعكس إلا طريقاً واحداً للوصول الى هذه المجموعات، مادامت كل وحدة من هذه الوحدات سوف توضع على الرفوف في مكان واحد بعينه، فإذا كان الترتيب بالمؤلف فلا بد أن نتجاهل الوصول بطريق الموضوع. أما الطرق الأخرى فيمكن الاجابة عليها بطريق غير مباشر، عن طريق الفهارس والكشافات.

٦ ـ لاينبغي أن نظن بطبيعة الحال أن الترتيب المادي في أي مكتبة سوف يتبع قاعدة أساسية واحدة في المجموعات كلها (المحتوى الفكري مثلاً) فالعوامل التالية يمكن كذلك أن تحدد ترتيب المواد في مكتبة عامة كبيرة:

أ ـ عمر القارىء: كتب الاطفال تفصل عن كتب الكبار.

ب ـ ظروف الاستخدام الذي تتعرض له المواد، كتب الاعارة تفصل عن الكتب التي يرجع إليها في المكتبة فقط.

جـ ـ كثرة استخدام الكتاب: فيتبع مثلاً نظام الرفوف المفتوحة للكتب الجارية، أما الكتب المختزنة فتحفظ في مخزن. كذلك ترتب في العادة كتب المراجع والقصص على رفوف مفتوحة.

د ـ حجم المادة: تفصل الكتب ذات الحجم غير العادي للاقتصاد في المكان.

هـ ـ خصائص مادية أخرى: تفصل الأشرطة المسجلة على الرفوف وحدها.

و ـ المحتوى الفكري للمادة: الأدب الحقيقي يرتب بالموضوع، الأدب الخيالي باللغة أو المؤلف أو الشكل الأدبي الخ....

ز ـ اللغة: قد يفصل كل أو بعض الأعمال الأجنبية بلغتها الأصلية وترتب وحدها.

ح ـ أي أهمية مؤقتة، كأن تعزل بعض المواد للعرض في المكتبة.

ط ـ القيمة: توضع الكتب النادرة في مكان مستقل على الرفوف.

ي ـ المواد التي يختلف شكلها عن المواد الأخرى: سلاسل الدوريات المجلدة قد تعزل وحدها على الرفوف.

ك ـ تاريخ الطبع: إذا كانت المكتبة تملك كتباً طبعت في وقت متقدم.

٧ ـ من الواضح أن الصفات السابقة ليست مانعة قاطعة، فقد يكون الكتاب من كتب المراجع أو كتب الأطفال. وأن ترتيب العوامل السابقة أيها يسبق الأخر سوف يتقرر حسب الاستخدام الذي تتعرض له المواد، وفي المثال الذي أوردناه قد نجد أن العامل الأول هو أنه كتاب للاطفال، كذلك يتقرر وضع كتاب عن موزار بالألمانية مع الكتب الألمانية أو مع الكتب عن موزار وفقاً للاستخدام الذي سوف يتعرض له.

٨ ـ المشكلات الناجمة عن الصفات التي ذكرناها كلها بسيطة فيما عدا صفة واحدة، تلك هي الترتيب بالمحتوى الفكري. وهذه هي أهم صفات الترتيب علاوة على أنها تثير مشاكل جمة عند اتخاذها أساساً للترتيب. ان كون الوحدة المادية كبيرة الحجم أم صغيرة، أو ماإذا كانت على ميكرو فيلم أم لا، يعد ثانوياً بالقياس إلى المحتوى الفكري.

٩ ـ المحتوى الفكري للكتاب هو أهم صفاته. فالكتب هي واسطة لنقل المعلومات. ولا يشغلنا أن يكون الكتاب ٢٥ سم طولاً، مجلداً بقماش كتبه فلان الفلاني بالفرنسية، ونشر في باريس عام ١٩٣٩، كل هذا لايهمنا بالقياس إلى حقيقة موضوعه وهي أنه عن الرسام تيرنر

١٠ ـ سوف يتألف ترتيب المواد في المكتبة، إذن من مجموعات قليلة (كتب المراجع، الخ...) وفي نطاق هذه المجموعات ترتيب آخر قوامه المحتوى الفكري أي المحتوى الموضوعي للمادة. ولايحتم من الناحية النظرية أن يكون الترتيب بالموضوع ترتيباً مصنفاً، فمن الممكن أن ترتب الموضوعات هجائياً بأسمائها...

ثانياً ـ التحليل الموضوعي

١ ـ رغم أن تصنيف المكتبات بمفهومه الواسع يشمل كل المشكلات التي أشرنا اليها سابقاً في الفقرة «مشكلة الترتيب في المكتبة» إلا أن مشكلاته جميعاً تنشأ من جزئه الذي يتناول التصنيف للأعمال تبعاً لمحتواها الفكري، وهذا المدلول الضيق هو الذي ينبغي أن نضعه في أذهاننا عند ذكر تصنيف المكتبات.

قد يكون من المفيد أن نميز بين الأدب الحقيقي والأدب الخيالي. فالأول أهم صفاته الموضوع، وفي الثاني (المسرحيات، النثر، المقطوعات الموسيقية، مجموعات الرسوم والصور) صفات أخرى أهم بل وربما أهملنا الموضوع تماماً، ولابد أن توفر خطة التصنيف العامة مكاناً لها.

٢ ـ يمكن أن تقسم الكتب إلى الكتب التي كتبت بالأنجليزية، التي كتبت بالفرنسية، وكل منها يعرض بطريقة تختلف عن الأخرى فكرة اللغة المستعملة. ولكن تصنيف المكتبات لايهتم بمعالجة مثل هذه الصفات ولكنه يهتم فقط بالمحتوى الفكري للكتب.

٣ ـ هل نحن نصنف المعرفة نفسها، أم أننا فقط نصنف المعرفة كما هي موجودة في الانتاج الفكري؟ وهل يوجد ثمة فرق هام بين الأثنين؟. وكانت أول إجابة مقبولة على هذا السؤال أن تصنيف، المكتبات هو تصنيف للمعرفة مع تعديلات معينة تحتمها طبيعة الكتب كوحدات مادية. وهذا هو الرأي الذي اعتنقه بدرجات متفاوتة كل من ريتشاردسون كتر، بليس، وسايرز.

٤ ـ أسس وندهام هلم نظرية لتصنيف الكتب تقوم على مبدأ «السند الأدبي»، وتدور مناقشاته على الوجه الآتي: هناك نوعان من التصنيف الأول الآلي الذي يتناول التجميع الآلي لأجزاء المادة في أقسام والثاني الفلسفي الذي يتناول تنظيم افكارنا عن الأشياء. وينتمي تصنيف الكتب إلى النوع الأول. وحينما نشرع في تكوين رؤوس الأقسام فإن الصفة التي سوف نأخذها أساساً لهذا التكوين ـ أي السند ـ إما أن تكون:

١ ـ طبيعة المادة الموضوعية التي تقوم بتقسيمها.
٢ ـ حقيقة التجمع الفعلي للمادة الموضوعية في الكتب.

ويزعم هلم أنه من المستحيل أن نواسيس تصنيفاً يعتمد على (١) لأن المادة الموضوعية يمكن تجزئتها إلى مالانهاية. وينتهي هلم إلى أن (٢) هي التي ينبغي أن يعطينا السند الأدبي الذي نعتمد عليه في تكوين رؤوس الأقسام.

٥ ـ أن التجميعات التي ذكرها هلم تشكل عقبة في تصنيف المكتبات وهي المشكلة التي يسميها رانجاناثان الكتب «شبه الشاملة»، أي الكتب التي تغطي أجزاء كثيرة من الموضوع بدون أن تكون مؤلفات عامة شاملة، ويمكن حلها بطريقين: يمكن أن نعتبر الكتاب مشابهاً لمؤلف عام (مثل الحرارة، الضوء، الصوت، تعامل على أنها كتاب عام في الطبيعة) أو يمكن أن يصنف تحت الجزء الرئيسي أو الجزء الذي ورد أولاً، ثم تعرض الأجزاء الأخرى عن طريق مداخل إضافية في الفهرس.

٦ ـ لغرض تصنيف المكتبات لانرى ضرورة للفصل بين المعرفة والمعرفة كما هي في الانتاج الفكري، فالمعرفة أساساً قابلة للنقل، ولايمكن ادراكها إلا إذا سجلت في شكل من أشكال نقل المعلومات هذا الخلط يرجع إلى حدبعيد إلا أننا نميز في تصنيف المعرفة بين نمطين اثنين التصنيف الفلسفي والتصنيف العلمي. ويوجد النوع الأول في سلم رتب العلوم النظرية الكبيرة التي وضعها الفلاسفة لكي يعرضوا رأيهم الشخصي عن العالم. أما الأخير فهو تصنيف الحقائق والكائنات الطبيعية وقد ظهرت نماذج محكمة منه في سلم رتب علم الحيوان، وسلم رتب علم النبات. . وكلا النوعين لايصلح لتصنيف السيل الهائل من المعلومات التي يعرضها الانتاج الفكري، بل يشكل تصنيف المكتبات نوعاً فريداً تماماً من التصنيف.

٧ ـ ان تصانيف المكتبات، تبنى بواسطة عملية تصنيف هي عملية استدلالية، خاصة بتكوين أقسام ضيقة من أقسام أوسع منها تنتقل من العام إلى الخاص. فيأخذ قسماً عاماً مثل علم المكتبات ويبدأ في تقسيمه إلى أقسام فرعية، وهذه بدورها إلى أقسام أصغر منها وهكذا، . . . ويرجع ذلك إلى أن الأسهل هو أن نبدأ من أقسام رئيسية متفق عليها* للمعرفة، مثل الاقتصاد، الكيمياء، علم النفس، الخ. . . . لأن هذه الأقسام تكون الاطار الذي تدرس في نطاقه المعرفة البشرية وفي إطاره أيضاً يكتب عنها.

٨ ـ ورغم أن عملية التقسيم، أو التحليل الموضوعي، هي في الحقيقة عملية أساسية في تصنيف المكتبات، فإنه يجدر بنا أن ندرك بوضوح أن التقسيم والتصنيف بطبيعتهما

يتكاملان بعضهما البعض. فتقسيم الموضوع إلى عناصره الأساسية يتبعه ربط هذه العناصر لتكوين الأقسام المركبة، مثل علم المكتبات الذي يحلل إلى عناصر مثل الفهرسة، التصنيف، المكتبات العامة، المكتبات المتخصصة، ثم يتبع هذه العملية تكوين موضوعات مركبة مثل الفهرسة في المكتبات العامة.

التحليل الوجهي:

رأينا فيما سبق أن تصنيف الكتبات ماهو إلا تصنيف للموضوعات وأن الخطوة الأساسية الأولى في عملية التصنيف هي التحليل الموضوعي أو التقسيم. ولقد اقتبست قواعد التقسيم بشكل تقليدي عن قواعد التقسيم المنطقي. لكن القواعد المنطقية وضعت لغرض يختلف تمام الاختلاف، وهي لاتكفي في حد ذاتها لكي تكون أساساً لتصنيف المكتبات ولكنها ذات أهمية كبيرة بل أن القاعدة الأولى منها هي أهم قاعدة في تصنيف المكتبات.

٩ ـ نورد أولاً بعض الأفكار والمفاهيم قبل الشروع في بحث عملية تحليل الموضوعات:

آ ـ في نطاق أي قسم واحد، سوف نجد عدداً من الأقسام الفرعية يتألف كل منها من بؤرة واحدة (أي يمثل وجهاً أو خاصية واحدة فقط) ولهذا يطلق عليه الموضوع البسيط. فالأدب الانجليزي موضوع بسيط بقسم الأدب. وإذا كان الموضوع او القسم الفرعي يتألف من اكثر من بؤرة فيسمى الموضوع المركب. فالشعر الانجليزي مركب لأنه يربط بؤرتين واحدة من وجه اللغة والثانية من وجه الشكل الأدبي.

ب ـ إذا كان الموضوع يضم أكثر من بؤرة واحدة من أكثر من قسم رئيسي واحد، سمي الموضوع المعقد، مثل تأثير الانجيل في الأدب الانجليزي فهوموضوع معقد لأنه يضم بؤرتين من الأدب والدين وهما قسمان رئيسيان.

١٠ ـ أول ما نواجهه عندما نشرع في تقسيم أحد الموضوعات هو أن نسأل: ماهي الخصائص التي سوف نتخذها أساسا للتقسيم؟ ولما كنا قد أوضحنا من قبل أن الوجه هو مجموع البؤرات التي تنتج من التقسيم وفقاً لخاصية واحدة، فإننا يمكن أن نصوغ سؤ النا بطريقة أخرى: ماهي الأوجه التي يضمها الموضوع؟ ومن هنا كان المصطلح التحليل الوجهي. وقد رأينا بالفعل أن الخاصية الأساسية عند تصنيف الكتب هي المحتوى الفكري (وخاصة المحتوى الموضوعي).

مادام الغـرض من التصنيف هو أن نجعـل تحديد مكان هذا المحتوى الفكري سهلاً ميسوراً لدى القارىء. ولهذا فنحن نرفض الخصائص الأخرى الممكنة مثل الحجم، المؤلف الخ. . .، لأنها ضئيلة الفائدة.

ولكي نحــدد الخصـائص التي سوف نستخـدمهـا فينبغي أن نتفحص أولاً الانتـاج الفكـري للمـوضـوع الـذي نقـوم بتقسيمـه. لنفترض أننا نحلل موضوع العمارة. وطريقة التحليـل هي أن نتنـاول كل وحـدة ثم نسأل: ماهي الأوجـه (أوجـه القسم الـذي نحلله) الموجودة في هذه الوحدة.

نأتي على جميــع الأوجـــه الممكنـــة في المـــوضـــوع ويصبـح لدى المصنف عدداً من الخصـائص يمكنـه أن يقسم المـوضـوع بواسطتهـا، وسوف يقسم الموضوع: العمارة، مثلاً بالمادة المستعملة (ينتج لدينا بؤرات مثل الصلب، الخرسانة، الخشب الخ. .) البناء حسب الـوظيفـة (مصنع، منزل، مستشفى، . . الخ). الجزء من المبنى (نافذة، حائط، أساس، الخ. .) وهكذا.

١١ ـ من هذا نرى أن الانتـاج الفكـري يعطينـا وسيلة نضبط خلالها قواعد التقسيم التي سوف نستخـدمهـا أي يوضـح لنا ماإذا كانت القواعد أو الخصائص التي اخترناها تقوم على «سند أدبي».

١٢ ـ يحدث في العادة فصل بين الخصائص الطبيعية والخصائص الاصطناعية. وهذا الفصـل أوضـح في التصنيف العلمي عنـه في تصنيف المكتبـات. ومن الأمثلة المألـوفة على التصنيف الطبيعي تصنيف الحيــوانــات في علم الحيـوان، وفيـه أعتـبر الـتركيب الصفـة الأســاسيـة الأولى، أمـا الصفات الأخرى فاعتبرت سطحية بالقياس إلى الصفة الأساسية الأولى. فإذا كنـا نصنف الحيـوانـات تبعاً للأماكن التي تعيش فيها، فسوف نصنف الحيتان مع الأسماك لأنها جميعاً حيوانات تعيش في الماء، ومع أن الحيتان والأسماك تمتلك هذه الصفة معـاً إلا أنـه بعـد فحص تركيب هذين النـوعـين من الحيـوانات، سوف نجد أنهما يمتلكان صفـة أخـرى أسـاسيـة هي العمـود الفقري لكنهما يختلفان في صفات أخرى. فقد وجد أن الحـوت يرتبـط بالفيـل أكثـر مما يرتبـط بالسمـك، لأن الحيتـان والفيلة يقتسمـون عدداً كبيراً من الصفـات تميـز الثـدييـات عن الأقسـام الأخرى من الحيوان. فليس الفيل والحوت فقاريين فحسب لكنهما ولودان. ويطلق على امتلاك عدد كبير من الصفات المترابطة والتي توجد معاً باستمرار الصفة الرئيسية للتصنيف الطبيعي، أي «ارتباط الصفات». وكلما كان التصنيف طبيعيـاً، فمعنى ذلـك أن الأفـراد في نطـاق كل قسم من أقســامـه يتقاسمون أكبر عدد من

الصفات المشتركة وأما التصنيف «الاصطناعي» فمع أنه يسهل إجراؤه لأنه يعتمد على صفات سطحية يسهل ملاحظتها، إلا أنه لايعرض الصفة الأساسية «ارتباط الصفات» بدرجة كبيرة، ولهذا السبب تقل فائدته.

١٣ ـ يفيد التصنيف الطبيعي تصنيف المكتبات أكثر من الاصطناعي لأنه يجمع كثيراً من أوجه التشابه في وقت واحد. وفي تصنيف المكتبات نجد أن الصفة الأساسية في عمل حقيقي هي المادة الموضوعية وفي العمل الخيالي هي المؤلف، وهما صفتان طبيعيتان أي هما خاصيتان طبيعيتان. بينما نجد أن الحجم صفة اصطناعية. ومن أسهل الأمور أن نصنف بالحجم، ولكن إذا صنفنا الكتاب على أنه بين «١٨ و٢٢سم طولاً» فإنه لايعرض، الا صفة واحدة هي صفة الطول. هذه الصفة لايمكن أن نستنتج منها أية صفات أخرى عن الكتاب.

١٤ ـ نخلص في النهاية إلى القول بأن الخصائص المستعملة في تصنيف المكتبات سوف نجدها واضحة في الانتاج الفكري، وان مشكلة تحديد «طبيعية» أو «اصطناعية» الخصائص هي مشكلة نظرية غالباً.

* * *

ثالثاً ـ تطبيق خصائص التقسيم

١ ـ بعد أن نحدد الخصائص العاملة والمؤثرة في الانتاج الفكري سوف نواجه مشكلة تالية هي تحديد الترتيب الذي سوف نطبقها به. وقد رأينا من قبل أن اللغة يمكن أن تقسم بواسطة خاصيتين رئيسيتين ـ اللغة والمشكلة اللغوية. فإذا قررنا أن الترتيب سوف يكون: اللغة أولا والمشكلة ثانياً فسوف ينتج لدينا الترتيب التالي للأقسام الناتجة:

خطوة التقسيم	علم اللغات					
١	الانجليزية			الفرنسية		الخ
٢	النحو	الاشتقاق	الخ	النحو	الاشتقاق	الخ

يتضح من الشكل السابق أن المواد الخاصة بموضوع النحو وغيره من المشكلات اللغوية سوف لاتتجمع مع بعضها بل سوف تتشتت. فالنحو الانجليزي سوف يتفرع من اللغة الانجليزية، والفرنسي من الفرنسية، وهكذا. وعلى عكس ذلك سوف تتجمع كل المواد عن لغه معينة مع بعضها. فإذا قلبنا الترتيب الذي نطبق به الخصائص، أي قسمنا بالمشكلة اللغوية ثم باللغة، فإن المواد في موضوع النحو مثلا سوف تتجمع مع بعضها ولكن المواد التي تتناول اللغة الانجليزية هي التي سوف تتشتت.

٢ ـ ينبغي أن يكون واضحاً من الآن أن تصنيف المكتبات بينما يهدف الى تجميع المواد المتصلة معاً، إلا أنه سوف يفصل في نفس الوقت مواد متصلة أيضاً.

لذلك فإن علينا عند تحديد الترتيب الذي سوف نسير عليه في تطبيق خصائص التقسيم أن نبحث عن نوع من الترتيب يعكس بقدر الامكان أهمية كل خاصية في دراسة الموضوع الذي نقسمه. ففي اللغات مثلاً، من الواضح ان دراسة اللغة تجري في حدود لغة

بالـذات، وليس في نطـاق مشكلة لغـويـة معينـة، فالمرء يدرس اللغـة الفـرنسية ـ نحوها، نطقها، الخ. ولايدرس مشكلة النحو في اللغة الانجليزية، الفرنسية، الصينية، الخ. . . .

إذان فإن التقسيم في قسم اللغات ينبغي أن يبدأ أولاً باللغة ثم المشكلة ثانياً. وبهذه الطـريقـة يمكننـا أن نحدد مكان الكتاب المركب بطريقة آلية، فإذا كان لدينا كتاب يعكس الخاصيتين معاً (النحو الانجليزي) مثلاً فسوف نفرعه تلقائياً من اللغة الانجليزية ولا نفرعه من المشكلة (النحو) وبهذا نتمكن من جمع المواد المتصلة باللغة الواحدة.

٣ ـ يبدو أن هناك ثلاثة أراء متميزة تعطينا مبدأ هاماً لاختيار تطبيق الخصائص.

(١) قاعـدرانجـانـاثـان: تناقص المحسوسية: في الزراعة مثلاً نجد أن أكثر المفاهيم محسـوسيـة هو المحصـول الذي يزرع، ولذلك فهو أول خاصية تطبق، يتلوه مفهوم أقل منه محسوسية هو العملية (الفلاحة).

يزعم رانجـانـاثـان أن أي وجـه لأي موضــوع لابد وأن يكون مثالا لواحدة من خمس مجمـوعات أساسية. ويسميها رانجاناثان الشخصية، المادة. الطاقة، المكان، الزمان، وقد رتبهـا رانجـانـاثـان على هذا النحـو بنـاء على قاعـدة تنـاقص المحسـوسيـة ـ أي أنه اعتبر الشخصيـة أكثـر المجمـوعـات محسوسية والزمان أكثرها تجريداً، ولنبدأ من نهايتها: فالزمان والمكـان مجمـوعتـان يسهـل ادراكهـا وضبطهـا، والأولى منهـا تسجـل عادة في قائمة زمنية بالعصـور، وتسجـل الثـانيـة في قائمـة بالأقطار والأقاليم، الخ. والطاقة هي المجموعة التي تصف أو تميز طريقة ممارسة الطاقة ـ أي النشاطات، العمليات، الطرق، المشاكل، الخ. . كما تشتمـل على صفـات خاصيـة للأشيـاء. والمادة هي مجموعة الأوجه التي تعكس المواد، وهي تبرز بصورة واضحة في قسم التكنولوجيا في معظم التكنولوجيات، وفي كثير من العلوم الطبيعية، وتغيب بوجه عام في الرياضيات النظرية مثل القانون، الاقتصاد، الأدب، الخ. والشخصيـــة لاتنتمي إلى أي خاصيـة ثابتـة يمكن التعـرف عليهـا، كما هو الحـال في بقيـة المجموعات الأخرى.

ويستخدم مصطلح الشخصية لوصف وجه أي موضوع تلتصق بهذا الموضوع وحده وتعطيـه صفتـه الأسـاسيـة أو شخصيتـه. وفي أغلب الأحيـان، يمكن أن تعـرف شخصية المـوضـوع من فهم تعـريفـه ـ أي تحت أي الظـروف يهدف المـوضـوع الى نقل المعلومات. ويتناول موضوع الزراعة انتاج المحاصيل، فالمحاصيل هي التي تكون وجه الشخصية فيه.

فالتاريخ يتناول تطور المجتمعات الاجتماعية ـ السياسية في العالم ـ أي الدول القومية وما قد يكون طرأ عليها في العصور القديمة والوسطى من تغير. ولذلك تعد هذه المجتمعات

هي وجه الشخصية للتاريخ.

ويمكن أن نضع هذا الترتيب في لغتنا العادية هكذا: الأشياء - الأنواع وأجزاء الأشياء - صفات الأشياء - العمليات والمشاكل المتصلة بالأشياء. كذلك ثبت أن هذه الصيغة مفيدة من الناحية العملية تساعد المصنف على ترتيب الأوجه.

(٢) الطريقة التي يدرس بها الموضوع. فليكن مثالنا الآن من القانون، الذي يدرس في نطاق نظام تشريعي معين (انجليزي، فرنسي، روسي، الخ.) وليس في نطاق مشكلة تشريعية بالذات (العقود، الأشخاص، الأضرار، الخ) واذن فالنظام (يكون قطرا معينا في العادة) هو الخاصية الأولى والمشكلة هي الخاصية الثانية، أما الموضوع المركب منهما مثل قانون العقود الانجليزي فيوضع تحت القانون الانجليزي وليس تحت قانون العقود.

(٣) الرأي الثالث وهو الغرض. في كثير من الموضوعات (في كل التكنولوجيات مثلا) يكون لدراسة الموضوع هدف يعكس النتاج النهائي الذي يسعى العمل أو التدريب إلى تحقيقه. فدراسة فن المكتبات، تهدف إلى ادارة الخدمات المكتبية (للجمهور العام، للمرضى، الخ.) بطريقة فعالة وليس العمليات المختلفة من تصنيف وفهرسة وغيرها الا وسائل لتحقيق هذه الغاية. وعلى هذا ينبغي أن يكون الوجه الأول هو الخدمة المكتبية، ويتحقق ذلك بتطبيق خاصية الخدمة أولا، ثم يتفرع منها وجه العملية. والهدف في الزراعة هو انتاج محصول بالذات، وأما العمليات مثل الحصاد أو التخزين فهي وسائل لتحقيق هذا الهدف.

(٤) بعد أن حددنا الترتيب الذي سوف تطبق عليه خصائص التقسيم، فسوف نباشر الآن عملية التطبيق الفعلي لهذه الخصائص.

وفي هذا المقام سوف نجد أن القاعدة الأولى من قواعد التقسيم المنطقي كافية لتوضيح المتطلبات الأساسية. والقاعدة هي: لاينبغي أن نطبق في نفس الوقت إلا قاعدة واحدة من قواعد التقسيم.

٥ ـ حينما يعاني التصنيف لبسا (أي حينما يوجد أكثر من مكان للموضوع المخصص وحينما يخفق في أن يشير بوضوح الى أي المكانين سوف يستخدم) فيقال أنه يعاني من التقسيم أو التصنيف المتداخل. وهذا واحد من أكبر العيوب التي يمكن أن يتعرض التصنيف لها، لأنه يتلف واحداً من الأهداف الكبرى للتصنيف وهو وضع المعلومات بيقين وسرعة مطلقين. أي أنه لاينبغي أن يكون هناك شك فيما يتعلق بالمكان الذي يذهب فيه الموضوع. ومع أن التصنيف المتداخل قد يكون منشؤه وجود تداخل في الحقول الموضوعية

الهامة لاحيلة لنا فيه إلا أن مصدره الرئيسي هو الاخفاق في تطبيق القانون أو القاعدة الأولى للتقسيم تطبيقاً مطردا بمعنى آخر الفشل في تمييز الأوجه الموجودة بكل موضوع بوضوح والفشل في تدبير وسيلة لربط هذه الأوجه.

ففي التصنيف العشري مثلا يقسم موضوع الأجور (في الاقتصاد) بواسطة خصائص ثلاثة رئيسية ـ المشكلة (تنتج بؤرات مثل الحد الأدنى للأجور، الخ). الصناعة (الأجور في الزراعة، الأجور في مناجم الفحم، الخ.) والمكان (الأجور في بريطانيا، الخ.).

ويبدو من الترتيب السابق أنه يتبع القاعدة الأساسية، فالتقسيم يتم أولا بواسطة خاصية المشكلة، ولا يجوز البدء في تطبيق خاصية (الصناعة) إلا بعد الانتهاء من التقسيم بالمشكلة، وبعد أن تحصر جميع التقسيمات وفقا لخاصية الصناعة أيضاً نبدأ في تطبيق خاصية (المكان). وإذن فإن تمييز الأوجه ووضوحها يجنبنا التصنيف المتداخل، والأعمال التي تتناول موضوع الحد الأدنى للأجور في الزراعة، أو الأجور في بريطانيا تحتل كل منها بوضوح أماكنها المناسبة. لكن الشك يبدأ في الحال مع وجود موضوع مركب مثل الحد الأدنى للأجور الزراعية في بريطانيا الذي يعكس أكثر من وجه واحد، فهناك شك في المكان الذي سوف نبحث عنه تحته، وقد ينتج عن هذا الشك تصنيف متداخل.

٦ ـ حل هذه المشكلة على درجة كبيرة من الوضوح ـ فلن يتمكن التصنيف من تفادي التصنيف المتداخل واسترجاع المعلومات بيقين كامل إلا إذا ميز الأوجه العاملة في نطاق كل موضوع بوضوح والا اذا وضع ترتيبا لتطبيق هذه الأوجه ـ أي لابد أن يوظف «صيغة لترتيب الأوجه».

ونلخص الآن ماذكرناه فنقول: أن التصنيف ينبغي أن يدبر وسيلة يفرد بها كل وجه في الموضوع على حدة، وأن يعكس كل وجه خاصية واحدة فقط، وأن يدبر كذلك وسيلة لتخصيص الموضوعات المركبة التي تجمع أكثر من وجه واحد في نفس الوقت. يضاف إلى ذلك أن وجود صيغة لترتيب الأوجه أمر لازم لكي نضمن ترتيب الأوجه باطراد وبشكل ثابت ـ ففي علم المكتبات مثلا ينبغي أن يكون الترتيب دائماً: الخدمة المكتبية ـ المادة ـ العملية ولايصح أن نرتبها مرة هكذا ومرة بطريقة أخرى.

٧ ـ قاعدة راسخة جد الرسوخ من قواعد تصنيف المكتبات، وضعت على أساس أنها ترتبط بتوقعات القراء. وهذه القاعدة هي: ينبغي أن ننتقل من المصطلحات ذات المشمول الواسع والمدلول الضيف إلى المصطلحات ذات المشمول الأضيق والمدلول الأوسع، ويعبر عن هذا في اللغة الدارجة (الشائعة) بالانتقال من العام الى الخاص.

ومشمول المصطلح هو مجموع الاقسام الفرعية التي يضمها. فالمنزل كمصطلح يعني من حيث المشمول كل أنواع المنازل ـ الطوبية، الحجرية، الخشبية، الخ. (من وجهة نظر المادة التي صنع منها)، العصر الجيورجي الأول، العصر الجيورجي الأخير، العصر الفيكتوري، الخ. (اذا نظر اليها من وجهة نظر الطراز أو الأسلوب المعماري)، وبهذه الطريقة لا يستبعد من أنواع المنازل شيء.

٨ ـ إذا أردنا أن نطبق قاعدة تناقص المحسوسية في تصنيف اللغات بطريقة مطردة فلا بد أن يكون التسلسل على الوجه التالي:

وجه المشلكة في اللغة	اللغات النحو الاشتقاق الخ

وجه اللغة في اللغات	الانجليزية النحو الاشتقاق الخ	وجه المشكلة في اللغة الانجليزية
	الفرنسية النحو الاشتقاق الخ.	وجه المشكلة في اللغة الفرنسية

مثال من التصنيف العشري: من قسم تاريخ أوربا الحديث (٩٤٠) صيغة ترتيب الأوجه: أوربا الحديثة ـ المكان ـ العصر:

وجه العصر في أوربا	أوربا القديم

الوسيط
الخ

وجه المكان في أوربا
اسكتلندا
القديم
الوسيط — وجه العصر في اسكتلندا
الخ
انكلترا
القديم
الوسيط — وجه العصر في انكلترا
الخ

٩ ـ القاعدة الثانية من قواعد التقسيم المنطقي هي : «ينبغي أن تكون خطوات التقسيم متقاربة ، أي ينبغي أن نتفادى أحداث قفزات في التقسيم» . وقد استعمل المصطلح «الانتقال التدريجي» لوصف هذه الصفة من صفات التصنيف .

وأهمية هذه القاعدة أنه إذا كان من الممكن استعمال قاعدة للتقسيم ثم حذفت فإن العلاقات التي تحملها هذه القاعدة سوف تحجب فقسم الأدب بالتصنيف العشري مثلا يقسم في خطوة واحدة الى الأشكال الأدبية ، فتنتج بؤرات مثل الشعر، المسرحية ، الخ . وقد كان من الممكن أن تسبق خطوة أخرى في التقسيم الى الشعر، غير الشعر (أي النثر) ولكنها حذفت ، ومعنى هذا أننا قد حذفنا علاقة قائمة بالفعل بين المسرحية والقصة ، الخ . هي أنها أشكال من النثر وهذا يميزها عن الشعر. وفيما يتعلق بمؤلفات كاتب ما والمؤلفات عنه ، نجد أن صيغة ترتيب الأوجه في الأدب هي الأدب ـ الشكل ـ العصر ـ المؤلف (في التصنيف العشري) . وهي في تصنيف مكتبة الكونغرس : الأدب ـ العصر ـ المؤلف ـ أي حذف التقسيم بالشكل . وعلى أساس الصيغتين فإن الأعمال الخاصة بمؤلفين توجد معا في نطاق قسم القصة الانجليزية في القرن ١٩ (في التصنيف العشري) . أما في تصنيف الكونغرس فهناك تسلسل هجائي واحد بالمؤلفين ، في نطاق كل عصر. وعلى هذا تحجب العلاقة بين هذين المؤلفين كروائيين .

١٠ ـ الأوجـه المتخـالفـة : افـترضنـا أن التصنيف يتألف أساساً من عدد من الأوجه (قوائم من الأقسام الفرعية، كل قائمة بمنها تعكس خاصية واحدة من خصائص التقسيم). وافترضنا كذلك أن من اللازم أن نتمكن من ربط بؤرات من أي وجه مع بؤرات أي وجه آخـر (ولكن في ترتيب معـين) بل مع بؤرة من كل من الـوجـه في نفس الوقت إذا لزم الأمر. فتصنيف اللغـات مثـلا، ينبغي أن يتألف أسـاسـا من اثنـين من الأوجـه ـ وجه اللغة ووجه المشكلة ـ مع امكان ربط أي بؤرة من أي وجه مع أي بؤرة لوجه آخر (وذلك في الرمز) ولكن ينبغي أن يكون ذلك على هذا الترتيب: اللغة ـ المشكلة.

ونضيف هنـا افـتراضـا آخـر هو أن بؤرات أي وجـه يمكن أن تطبق بنفس الـدقـة والشمـول على جميـع بؤرات الأوجـه الأخـرى. ففي قسـم اللغات من التصنيف العشري مثلا، حصر وجه المشكلة كاملا مرة واحدة تحت اللغة الانجليزية مع افتراض أن كل بؤراته يمكن تطبيقهـا على كل اللغـات الأخـرى، ولذلك يسجل في قوائم هذا القسم توجيه بأن نقسم اللغـات الأخـرى مثـل اللغـة الانجليـزيـة، ويحـدث نفس الـوضـع في قسم الأدب بالتصنيف العشـري أيضـاً. فوجـه الشكـل الأدبي مشـترك أوعام بين جميع اللغات تقريباً وبـدون أي تغيـير أو اختلاف. والاستثناء الوحيد هوالأدب اليوناني والأدب اللاتيني، فلهما وجـه شكـل كيف خصيصـاً ليتـلاءم مع متطلبـاتهـما. وسبب هذا التعديل هو أن الأشكال الأدبيـة التي تلائم الأدب الـلاتيني واليـونـاني، ليس نفسها التي تلائم الآداب الأخرى، أو على الأقـل لايناسبها جميعا ترتيب واحد للأشكال الأدبية، مثل هذه التعديلات في الأوجه الأساسية يطلق عليها الأوجه المتخالفة.

١١ ـ الجوانب. ماهي قاعدة التقسيم التي طبقت على قسم الأدب فنتج لدينا قسما فرعيا مثل أثر الانجيل على الأدب الانجليزي؟ أو ما هي القاعدة التي طبقت على موضوع علم النفس فنتـج لدينـا قسم فرعي مثل علم النفس للمرضات؟ مثل هذه الأقسام الفرعية يطلق عليهـا المـوضـوعات المعقدة، لأنها تمثل تفاعل الموضوع الأصلي مع موضوعات أخرى مستقلة. ويمكن أن ننظـر إليهـا باعتبـارها نوعا خاصا من الأوجه، فالخاصية التي طبقت في حالـة المـوضـوع الأول يمكن أن نصطلح على تسميتها العوامل المؤثرة في الموضوع ويكون النـاتـج هو وجـه العـامـل المؤثر، أما المثال الثاني فيمكن أن يمثل تقسيما طبقت فيه خاصية الدارس الذي كتب من أجله الموضوع. لكنها لاتسمى أوجها بل تسمى الجوانب. فالجانب هو الموضوع الذي يكون جزءا من موضوع معقد لكنه (الجانب) مشتق في الأصل من حقل مستقل بذاته من حقول المعرفة.

١٢ ـ كنا نتحدث حتى الآن عن النقاط التي تتعلق بمشكلة واحدة أساسية هي ترتيب تطبيق الخصائص عند أعداد القوائم. ويمكن أن نطلق عليها الترتيب في الاتجاه الرأسي. والسلسلة الرأسية للأقسام هي مجموعة من الأقسام تتعاقب في رتبها، فكل منها يتلو في الرتبة الذي يسبقه.

ولايمكن البدء في كتابة القوائم قبل البت في مشكلة ترتيب تطبيق الخصائص. ولكن مشكلة أخرى سوف تظهر على الفور ـ في أي تسلسل سوف ترتب البؤرات في نطاق كل وجه؟ ـ وهي مشكلة الترتيب في الاتجاه الأفقي (والصف الأفقي هو مجموعة من الأقسام المتساوية في الرتبة تقوم على نفس خاصية التقسيم). ولكن هذه المشكلة أبسط من المشكلة الأولى ـ مشكلة ترتيب تطبيق خصائص التقسيم. وقد أمكن رانجاناثان التعرف على عدد من الطرق المفيدة للترتيب في الاتجاه الأفقي.

(آ) نظام التطور: إذا كان اثنان من الأقسام ينتميان الى مرحلتين مختلفتين في نفس خط التطور، فإن أحدهما الذي تطور في مرحلة متقدمة يسبق الآخر في الترتيب. وعلم الحياة هو بطبيعة الحال أوضح الأمثلة على ذلك، وفيه تقسيم الكائنات وفقا لخاصية التركيب.

(ب) الترتيب الزمني: يطلق رانجاناثان على هذه القاعدة أيضا اسم الأخير في الزمن لأسباب واضحة ـ فإذا كان أحد قسمين ينتمي إلى فترة زمنية متقدمة عن الآخر، فلا بد أن يسبقه في الترتيب. ومع أن الأمثلة الثابتة على هذا هي ترتيب العصور التاريخية، فإن هذه القاعدة تفيد في أماكن أخرى كثيرة مثل ترتيب المدارس الفكرية في موضوع ما.

(جـ) الترتيب الجغرافي: ينبني على التقارب في المكان، ومن الواضح أن هذا النوع من التقسيم مفيد جداً في أي نوع من التقسيم المكاني.

(د) التزايد في التعقيد: يمكن تطبيق هذه الطريقة عند ترتيب مجموعات المركبات الكيميائية، كذلك يمكن تطبيقه على المفاهيم الرياضية.

(هـ) الترتيب الأبجدي: هذا الترتيب اصطناعي محض، وهو على عكس طرق الترتيب الأخرى، إذ لايحمل أي قسم فرعي أية صلة مفيدة بجيرانه من الأقسام الأخرى.

(و) الترتيب الاصطلاحي: وهو الترتيب الذي قد نحتاج إليه في حالة عدم إمكانية تطبيق أية قاعدة من القواعد السابقة، وقد يكون هذا الترتيب مبنياً على أساس الدين أو العرف أو التقاليد.

(ز) الترتيب المماثل: وهو اتباع اسلوب تقسيم اتبع في تقسيم مجموعة ما من أجل

ذلـك عمليـة الـري والصـرف ثم عمليـة مكـافحة الأراضي الزراعية. ثم تظهر المحاصيل الزراعية. وهكذا وهذا هو احد مظاهر المنطقية في الترتيب.

وقـد تكون المنطقية في العلاقات الطبيعية بين الوحدات المصنفة، ومثال ذلك تقسيم المحاصيل الزراعية كالآتي.

محاصيل زراعية:

محاصيل ألياف

محاصيل زيتية

محاصيل حبوب

ويمكن ان نقسم كل وحدة من هذه الوحدات إلى الأقسام التالية:

محاصيل حبوب:

قمح

ذرة

شعير

ويتضح من ذلك أنه لا بد من وجود مجموعة من الصفات والخصائص الطبيعية في كل وحـدة من الـوحـدات المصنفـة تحت محاصيـل الحبـوب حتى يمكن ادخـالها تحت اصلها، فالقمح صنف تحت فصيلة محاصيل الحبوب لتوافر صفات وخصائص طبيعية تدخل في هذه الفصيلة وهذا ما اطلق عليه «المميز» أو الخاصية.

وثمـة مظهـر آخـر من مظـاهـر التصنيف الطبيعي وهـو الـترتيب على اساس التطور الطبيعي بين الوحدات المصنفة ومثال ذلك تقسيم موضوعات الحرب كالآتي:

اعلان الحرب

المعارك الحربية

الاسرى

الغنائم

وقف القتال

تعويضات

٢ ـ التصنيف العرضي:

برغم ان التصنيف الطبيعي يعتبر الطريقة الاساسية للتقسيم إلا اننا احياناً نحيد عنه

تقسيم مجموعة أخرى. ومن ذلك اتباع التقسيم الخاص بالأشكال الأدبية لأدب واحد على الأشكال الأدبية للآداب الأخرى.

١٣ ـ تتناول القاعدة الثالثة من قواعد التقسيم المنطقي مشكلة أخرى وهي أنه عند تسجيل البؤرات في أحد الأوجه ـ ينبغي أن يكون التقسيم جامعا. وهذا يعني أنه لا يصح اغفال أي قسم فرعي. ويسهل مراعاة هذه القاعدة في الأوجه والموضوعات التي تكون الأقسام فيها معروفة. ولكن معرفتنا بالموضوعات تكون عادة غير كاملة ومن ثم ننصح بتدبير وسيلة نتمكن خلالها من اضافة أقسام جديدة في الاتجاه الأفقي.

١٤ ـ وبالاضافة إلى أوجه الموضوع التي سوف تصنيف، وجد بشكل قاطع أن ثمة أوجها أخرى ينبغي تدبير المكان لها في خطة التصنيف وهي مشتركة بين عدد كبير من الموضوعات ان لم يكن بينها جميعا. هذه الأوجه العامة أو التقسيمات الفرعية العامة لا تقل عن ثلاثة (المكان، الزمان والشكل الذي يظهر عليه المطبوع).

١٥ ـ التقسيم المنطقي هو عملية تمييز أنواع الجنس. والجنس هو عبارة عن قسم كبير يمكن أن نميز في نطاقه عددا من الأقسام الفرعية. والنوع هو أي قسم فرعي يتضمنه الجنس.

ويتميز كل نوع من الأنواع الأخرى من نفس جنسه بامتلاكه لصفة (أو صفات) تكون مايسمى بالفصل. فرسم المناظر الطبيعية نوع من جنس الرسم: فهو يمتلك الصفة الأصيلة المشتركة بين أفراد الجنس وهي «تمثيل شيء ما باللون»، لكنه يتميز عن الأنواع الأخرى من الرسم بالفصل «تمثيل المناظر الطبيعية»، أي أن الأنواع تمتلك صفات الجنس بوجه عام، ولكنها تبرزها بطرق مختلفة.

١٦ ـ يمكن أن نعرف طبيعة الشيء بدقة عن طريق جنسه وفصله (فالانسان حيوان عاقل)، ومشكلة التقسيم في المنطق مرتبطة أشد الارتباط بمشكلة التعريف. والمصطلح الواحد ينظر إليه من ناحيتين: ناحية المدلول (المفهوم)، ويعني الصفات الأساسية التي تدخل في تعريفه، وناحية المشمول ويعني أقسامه الفرعية مجتمعة ـ ويقال عنه أنه جنس. واذن فمدلول لفظ المكتبة أنها مجموعة كتب للقراءة، أما مشمولها فهو كل أنواع المكتبات ـ مكتبات الأفراد، الجامعية، الأديرة، الخ. فالتعريف يحلل مدلول المصطلح، والتقسيم المنطقي يحلل مشموله، وأهميته في تصنيف المكتبات هي أن قواعده التقليدية تقدم لنا طريقة يمكن بواسطتها أن يحلل الموضوع بطريقة مقننة إلى الأقسام الفرعية المكونة له.

١٧ ـ قواعد التقسيم المنطقي: ونميز منها في العادة ثلاثة:

١ ـ ينبغي أن ينبني التقسيم على قاعدة واحدة فقط في كل مرة : ينشأ عن كسر هذه القاعدة تداخل الأقسام أو التقسيم المتداخل ، ولهذا تلازمها قاعدة أخرى هي : أن الأقسام المتساوية في الرتبة في كل خطوة من خطوات التقسيم ينبغي أن تكون جامعة فيما بينها .

٢ ـ التقسيم ينبغي أن يكون شاملا : ينبغي أن تكون الأنواع المكونة لجنس ما مطابقة لمشموله ـ أي لا يصح حذف واحد من هذه الأنواع أو تجاهله .

٣ ـ اذا انتقل التقسيم فيما بعد الخطوة الأولى ، فينبغي أن تتقارب الخطوات ما أمكن ذلك . أي أن التقسيم ينبغي ألا «يحدث قفزات» (أي ينبغي ألا تحذف بعض قواعد التقسيم المتصلة بالموضوع) والا فسوف تحجب بعض العلاقات الهامة . وفي شجرة فورفوريوس المشهورة تنقسم الكائنات الحية الى الحاسة (الحيوان) وغير الحاسة (النبات) ثم تنقسم الأولى الى العاقلة (الانسان) وغير العاقلة . فلو حذفنا الخطوة الأولى ، وقسمنا الكائنات الحية إلى الكائنات الحية العاقلة (الانسان) والكائنات الحية غير العاقلة ، فسوف تنطمس طبيعة الانسان كحيوان ـ واذن فسوف تحجب الصلة بين الانسان والحيوانات الأخرى. وهذا يدمر الغرض من التصنيف المنطقي وهو ابراز العلاقات الأصيلة بين الأقسام .

* * *

رابعاً ـ خلاصة القواعد

١ ـ اسس عدد من الكتـاب المرمـوقـين في الموضوع قواعد، مبادىء، قوانين، الخ. خاصـة بتصنيف المكتبـات، ومن هؤلاء بليس وررانجـانـاثان الذين تتميز كتاباتهم في هذا الصـدد بأنهـا شاملة ـ ومن المتعـذر أن يألف أي دارس كل هذه القـوانين المتنوعة، والقواعد التي سوف نوردها الآن عبارة عن قائمة مختارة من المبادىء أو القواعد مع محاولة للتوفيق بين الأسس العريضة للطريقة التقليدية وبين ماأحرزه رانجاناثان من تغييرات ثورية.

٢ ـ مع أننا نفترض عمل تصنيف عام للمكتبات، إلا أنه من الأنسب أن نتناول أولا تصنيف أقسـام محدودة (الأقسـام الـرئيسيـة، الأقسـام الفـرعية، الخ.) وبعد ذلك نتناول ترابطها في خطة عامة.

٣ ـ المبادىء التي توضع في الإعتبار عند بناء خطة تصنيف.

(١ ـ ٤) التسلسل في نطاق كل قسم.

١ ـ الخصائص الأساسية:

ينبغي أن تكـون الخصـائص التي تتخـذ أساسا للتقسيم أساسية بالنسبة للغرض من التصنيف، الذي هو ترتيب مفيد للمكتبة والقارىء:

(أ) الموضوع هو الخاصية الطبيعية (فيما عدا بالنسبة لأقسام «الشكل»)

(ب) ينبغي أن تشتق الخصـائص بعـد الفحص الـدقيق للإنتـاج الفكـري (السنـد الأدبي).

٢ ـ ترتيب تطبيق الخصـائص. ينبغي أن يكـون هذا الـترتيب بحيث يكفـل تجميع مجموعات المواد تحت أهم مظهر للموضوع، وبحيث لاتنفصل عن الموضوع إلا المظاهر غير الهامة فقط، والمبادىء التالية تساعد على اختيار الترتيب:

(أ) تناقص المحسوسية ـ أي تطبيق المبدأ المحسوس أولا.

(ب) اصطلاح التربويين والعلماء ـ أي الطريقة التي تدرس بها الموضوع ويمارس.

(جـ) الغـرض: الخصـائص التي تعكس النتـاج النهـائي في دراسة ما، ينبغي أن تطبق قبل

تلك الخصائص التي تكون وسائل لتلك الغاية.

٣ ـ طريقة تطبيق الخصائص:

(أ) ينبغي ألا نطبق إلا خاصية واحدة فقط في وقت واحد: ينبغي أن تحصر خاصية ما (أي نسجل كل أوجهها) قبل أن نبدأ تطبيق الخاصية التي تليها. ومن الأمور الأساسية هنا أن نلاحظ بدقة ووضوح ترتيب تطبيق الخصائص الذي تحدد (٢) لكي نضمن تحقيق الأقسام الجامعة فيها بينها، وبهذا نتفادى التصنيف المتداخل.

(ب) ينبغي أن يكون التقسيم شاملا: أي ينبغي ألا نتخطى أي واحد من الأقسام ـ يتبع هذا نتيجة عملية هي أنه كلما كان التصنيف مفصلا كلما زادت فائدته. وأما عن هؤلاء القراء الذين لايرغبون في تفاصيل بعينها فيمكنهم أن يستغنوا عما لايرغبون فيه.

(جـ) الانتقال الطبيعي (التدريجي): ينبغي أن تكون خطوات التقسيم متقاربة بقدر المستطاع. والانتاج الفكري هو الذي سوف يحدد عدد خطوات التقسيم اللازمة بين القسم وآخر قسم فرعي.

٤ ـ ترتيب الأوجه (في القائمة، في الصف المصنف).

لكي نتمكن من حفظ (أ) الترتيب وفقا لتناقص المشمول (المصدق) و(ب) الترتيب تبعا لتزايد المحسوسية، فينبغي أن يكون ترتيب الأوجه في التسلسل المصنف على عكس الترتيب الذي اتبع في تسجيل الأوجه والذي سبق أن تحدد في (٢). أي أن أقل الأوجه أهمية سوف تأتي في البداية.

٥ ـ الترتيب في نطاق الأوجه (داخل الصف). البؤرات المتساوية في الرتبة في نطاق كل وجه ينبغي أن تسلك في ترتيب مفيد، مثل الترتيب الزمني أونظام التطور، الخ. وحينما تطبق نفس خصائص التقسيم في سياقات مختلفة فينبغي أن يكون تطبيقها بقدر المستطاع في ترتيب مطرد أو ثابت.

٦ ـ السند الأدبي (بمفهوم هلم). توجد في الانتاج الفكري غرائب تعكس في بعض الأحيان تجميعات للمواد الموضوعية لايوفر لها بشكل واضح التحليل النظري الذي يقترحه (أ) ـ (هـ). وفي مثل هذه الحالات يكون من الأوفق أن تجرى بعض التعديلات في القوائم.

٧ ـ فيما يلي بعض القواعد التي تساعد وترشد في تحقيق التساوي في الرتب والتفريع في علاقات الأقسام في خطة عامة:

(أ) الاتفاق النسبي للآراء فيما يتعلق بمجال كل موضوع وعلاقاته بالموضوعات الأخرى.

ويبنغي أن تعكس الأقسام الرئيسية والأقسام الفرعية تخصص المعرفة في المجتمع.

(ب) التجميع - ينبغي أن تربط الموضوعات معا وفقا لدرجات اتصالها.

(جـ) التدرج في التخصص - أي انسياب الأقسام الأساسية في الأقسام المشتقة منها.

(د) الصلات بين الجوانب - ينبغي أن تدبر الخطة للتفاعلات بين الأقسام المختلفة.

٨ - كذلك ينبغي أن تدبر الخطة مكانا لأقسام قليلة من المواد يحتاج فيها إلى خصائص للتقسيم من غير الخصائص الموضوعية - أي أقسام الشكل. كذلك يحتاج في كل موضوع إلى وجه لشكل التقديم (أي الشكل الذي قدم عليه الموضوع) وكذلك وجه للمعرفة بشكلها العام (حينها تكون قسما عاما).

٩ - ينبغي أن ترتب الأقسام التي فصلناها لتونا بطريقة آلية أي بواسطة الرمز.

والمبادىء الرئيسية الخاصة بالرمز هي:

(أ) ينبغي أن يعكس الترتيب، ولايقرره.

(ب) أن يكون بسيطا مختصراً بقدر المستطاع.

(جـ) أن يكون مرنا - أن يكون قادرا على تخصيص كل الموضوعات المركبة (يتضمن ذلك أن يكون قادرا على إبراز كل أوجه الموضوع في نفس الوقت إذا لزم الأمر) والموضوعات المعقدة (متعددة الأوجه) وأن يستوعب الموضوعات الجديدة وفي المكان الصحيح.

(د) ينبغي أن يستفيد من التركيب بوصفه عنصرا أساسيا من عناصر الاقتصاد، وبدونه لايمكن أن تتحقق (جـ) من الوجهة العملية، كذلك ينبغي في خطة التصنيف العامة أن نوفر لمفاهيم مثل المكان، الزمان، الشكل، الخ. أي للأوجه العامة.

(هـ) ان يستفيد بجميع وسائل التذكر التي تنتج عن (د).

(و) ان يوفر كشافاً ابجدياً نسبياً كمفتاح وكتصنيف مكمل للتصنيف الرئيسي وأن يبنى هذا الكشاف بطريقة اقتصادية.

الفصل الرابع

انظمة التصنيف

أولاً ـ مقدمة

يحتل التصنيف مكان الصدارة بين فروع علم المكتبات، إذ هو يتناول التنظيم المقنن للمعرفة البشرية كما هي ممثلة في الكتب ومواد القراءة، وهذه هي العملية الأساسية الأولى من العمليات التي تقوم بها المكتبة لترتيب كتبها حتى توصل الكتاب المناسب للقارىء المناسب، ولهذا عد التصنيف أساس فن المكتبات، ولهذا أيضاً تركز قدر كبير من اهتمام علماء المكتبات حوله فلقيت نظمه ومشكلاته عناية قل أن حظى فرع آخر من فروع هذا العلم بها، حتى أن تاريخ المكتبات يتصل اتصالاً وثيقاً ـ في العصر الحديث ـ بتاريخ التصنيف، فإن عام ١٨٧٦ وهو العام الذي صدر فيه الطبعة الأولى من التصنيف العشري يعد نقطة تحول حاسمة بارزة في تاريخ علم المكتبات ـ والتصنيف ـ في العصر الحديث. كذلك كان علماء التصنيف هم أشهر المكتبات فإن ملفيل دوي قد أصبح علما على هذه المهنة في أمريكا بل ويعد كذلك في أجزاء كثيرة أخرى من العالم.

كانت نتيجة هذا الاهتمام، أن حفل التصنيف بكثير من الخطط والمؤلفات، فأصبح أكثر فروع علم المكتبات غنى ووفرة في تراثه الفكري.

بعد ظهور التصنيف العشري لديوي سنة ١٨٧٦ أخذ المكتبيون يتدارسونه، فظهرت نظرية التصنيف، وإذا كانت النظم اسبق ظهوراً فقد افاد ذلك نظرية التصنيف إذ اعطى علماء التصنيف مادة لدراستهم. ولما ظهرت نظرية التصنيف عاد ذلك بالفائدة على النظم إذ وجد اصحاب النظم منهجاً يفيدهم في تقويم انظمتهم وتعديلها.

ومـا كاد التصنيف العشري يظهر حتى أعلن بعض علماء التصنيف عدم رضاهم

عنـه، وأعلن كتر أنـه لايحب الترتيب غير العلمي في ديوي وضيق الأرقام. ولذلك أخذ في اعداد التصنيف الواسع لكي يتفادى فيه أخطاء ديوي.

ثم أخـذت نظم التصنيف تتـابـع في الظهـور. فهـذا براون الـبر يطـاني يعد تصنيفاً بريطـانيـاً هو التصنيف الموضوعي لكي يخفف من تحيز ديوي لوجهة النظر الامريكية، وهذا المعهـد الـدولي للببليوغرافيا في برءكسل يعد التصنيف العشري العالمي، ومكتبة الكونغرس تعـد تصنيفـا جديـدا لتنظيم مجمـوعـاتها قبل انتقالها إلى مبناها الجديد، وبليس يشرع منذ بداية القرن الحالي في دراسة التصنيف واعداد تصنيفه الببليوغرافي.

وفي أواخر القرن التاسع عشر أيضاً بدأ ريتشاردسون في وضع أسس الدراسة العلمية المقننة لنظرية التصنيف ولنظم التصنيف ووضع المعايير التي تقيم على أساسها النظم وكان كتـابـه عن التصنيف أول كتـاب يتنـاول مشكـلات التصنيف النظـري والعملي. وقد تبعه الكثـيرون على شاطئي الأطلنطي منهم ونـدهـام هلم وستـانـلي جاست وبراون وسايرز في بريطانيا وبليس في أمريكا فتأسست الدراسة العلمية لمشكلات التصنيف على أسس راسخة.

وأخيراً يأتي رانجاناتان لكي يحول التفكير في التصنيف إلى اتجاه آخر.

وهـذا كله ان دل على شيء فإنـما يدل على أن تتـابـع انظمـة التصنيف معنـاه عدم الرضاء عن الأنظمة السابقة، ومعناه كذلك أنه لا يوجد نظام واحد يرضى عنه الجميع وإلا ما تتابعت الانظمة في الظهور مع أن بناء الأنظمة العامة ليس عملاً سهلاً.

ويجب التنـويـه هنـا إلى أن نظرية التصنيف هي المنهج الذي تبنى على أساسه وتقيم انظمـة التصنيف، ولـذلـك فإن نظـريـة التصنيف وانظمته متداخلان اشد التداخل، وإن كانت الانظمة اسبق في الظهور.

وقد اتى التصنيف العشري لديوي، منذ أن ظهر عام ١٨٧٦ ـ بأشياء جديدة لم تكن مألوفة قبله وهي:

القـوائم المفصلة. الـرمز العشري. الكشاف. واصبحت هذه الأشياء ـ أو الأجزاء ـ هي التي تكون أجزاء نظام التصنيف.

وقد انقسمت الآراء حول بناء القوائم إلى ثلاث مدارس:

آ ـ المدرسة الأولى: وخلاصة آرائها أن تصنيف الكتب ينبغي أن يتبع تصنيف المعرفة.

ب ـ المدرسة الثانية : جاءت آراء هذه المدرسة بحيث تفرق تماماً بين تصنيف المعرفة وتصنيف الكتب.

ج ـ المدرسة الثالثة : وخلاصة آرائها أن تصنيف المكتبة يجب أن يعتمد على الموضوعات الموجودة في مجموعات المكتبة نفسها وليس على تصور نظري للمعرفة.

***

ثانياً ـ تقسيم انظمة التصنيف على أساس الموقف الفكري

يمكن تقسيم انظمة التصنيف على أساس موقفها الفكري إلى ثلاثة مدارس :

أ ـ المدرسة الأولى : هي المدرسة التقليدية واقطابها هم ريتشاردسون وسايرز وبليس، وخلاصة آرائها أن تصنيف الكتب ينبغي أنْ يتبع تصنيف المعرفة .

وقد وقف سايرز بين كل من ريتشاردسون وبليس، وتبلورت آراء الأخير في نظرية الاصطلاح العلمي والتربوي وخلص بليس إلى أن هناك اتفاقاً بين العلماء على ترتيب المعرفة بصورة معينة وأن هذا هو الاطار الذي يصلح لتصنيف الكتب لكي يكون اكثر بقاء ودواماً وانفع من الناحية العملية .

بعد ذلك تأتي مجموعة من التعديلات التي يجب أن تجري على تصنيف المعرفة لكي يكون صالحاً لتصنيف الكتب، والإضافات التي يجب إضافتها لكي يمكن تطبيقه، وقد اسموها، الصفات الخاصة بتصنيف الكتب، وتضم القسم العام والتقسيمات الشكلية والرمز والكشاف .

ب ـ المدرسة الثانية : تقف في الطرف الآخر من آراء المدرسة السابقة فإذا كانت الأولى تقليدية أوعلمية فإن هذه يمكن أن تسمى المدرسة العملية، وربما كانت آراؤ هارد فعل عنيف للمعالجة المغرقة في النظرية والتي تبنتها المدرسة السابقة، فجاءت آراء المدرسة الثانية مغرقة في العملية بحيث تفرق تماماً بين تصنيف المعرفة وتصنيف الكتب .

وقد ظهرت آراء هذه المدرسة على يد وندهام هلم عالم التصنيف البر يطاني . وهو يرى أن تصنيف الكتب وسيلة لغاية عملية هي ترتيب الكتب على الرفوف، أما تصنيف المعرفة فقد وضع لغرض آخر يختلف عن ذلك تماماً هوتنظيم افكارنا عن الأشياء في حين يعني تصنيف الكتب بالتجميع الآلي للكتب في أقسام . ولذلك يعتقد هلم أن تصنيف الكتب ينبغي أن ينبني على الكتب نفسها لا على تقسيمات فلسفية نظرية .

وقد تبلورت آراء هلم في نظرية السند الأدبي وهو يعني عنده امرين :

١ ـ ان تصنيف الكتب ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الكتب وليس على

تصنيف مجرد للمعـرفـة ، فلا يسجل في قوائم التصنيف إلا تلك الرؤوس التي يسندها انتاج فكري ، أي تلك التي ظهر عنها وحدات فكرية مستقلة على هيئة الكتاب أو المقال . . . الخ .

٢ ـ تجاوز هلم هذا المفهوم البسيط للسند الادبي إلى مفهوم أعقد ، فهو يرى ضرورة تسجيـل «تجميعـات المعـرفـة» التي تظهر في الانتاج الفكري ، فلو أن هناك انتاجاً فكرياً عن الصوت والضوء والحرارة معاً ، أو عن الصوت والكهرباء والضوء معاً ، أو الصوت والكهرباء والمغناطيسية معاً ، لوجب في نظر هلم أن تسجل هذه التجميعات في رؤوس تتضمنها كلها خطة التصنيف .

ج ـ المـدرسـة الثـالثـة في التصنيف : ظهـرت آراء هذه المـدرسـة على يد ممن تصدوا لاعداد تصنيف الكونغرس مثل هانسون ومارتل .

ان تصنيف مكتبـة الكـونغـرس يقـوم على آراء مخالفـة للخطـط الأخرى لأنه يعتمد على الموضوعات الموجودة في مجموعات المكتبة نفسها وليس على تصور نظري للمعرفة .

***

ثالثاً ـ تقسيم أنظمة التصنيف على أساس الحصر

يمكن أن نقسم الأنظمة على أساس الحصر أو التحليل والتركيب.

وسوف نجد في هذه الحالة أن الخطط تنقسم إلى ثلاثة انواع:

آ ـ الأنظمة الحاصرة: وتضم ديوي والكونغرس وبراون وبليس وكتر. وهي حاصرة بمعنى أنها تحاول أن تحصر كل موضوعات المعرفة البشرية في قائمة واحدة وتعطى أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المركبة، وما على المصنف إلا أن يفتح قائمة التصنيف ويحصل على الرقم جاهزاً فينقله.

وأكثر الأنظمة من حيث الحصر تصنيف الكونغرس الذي يكاد يخلو من أي طريقة للتركيب أو بناء الأرقام.

أما الأربع الباقية فهي تتفاوت في ذلك ولكنها لا تزال انظمة حاصرة تضم أرقاماً جاهزة.

وهذا النوع من التصنيف يحصر كل موضوعات المعرفة البشرية في قائمة واحدة ضخمة تبدأ بالوجود وتنتهي بأدق التفاصيل في كل موضوع. وهي تعرض علاقة واحدة بين الموضوعات هي علاقة العام ـ الخاص.

وحتى تتحقق عرض هذه العلاقة بطريقة مقننة وأنها إذا ارادت ذلك فلا بد أن تعمل خاصية واحدة في نفس الوقت ومن البداية للنهاية، في حين أن المادة الموضوعية لكل موضوع أو قسم تقبل أعمال عدد من الخصائص كل منها ينتج مفردات مختلفة ولأن التصنيف الحاصر يضطر إلى تسجيل موضوعات مركبة فهو مضطر إلى ضغط عالم متعدد الابعاد ـ هو عالم المعرفة والموضوعات ومن ثم الإنتاج الفكري ـ في عالم ذي بعد واحد، هو عالم نظام التصنيف الحاصر، ولذلك فإن هذا النوع من التصنيف مضطر إلى حجب العلاقات.

يحاول التصنيف الحاصر أن يسير حسب قواعد التقسيم المنطقي وهي تسير في بعد واحد، وتصنيف المكتبات يعالج المادة الموضوعية والمحتوى الفكري للوثائق. وهذه تتداخل

وتتشابك بكثرة ومن ثم فلا يمكن أن تتطابق أرقام التصنيف الحاصر مع موضوعات الكتب والوثائق.

ب ـ الأنظمة شبه الحاصرة: وليس هناك في الحقيقة إلا خطة عامة واحدة من هذا النوع هي التصنيف العشري العالمي، فهي تعتمد على أساس ديوي، وهو نظام حاصر، ولكنه ادخل درجة من التحليل والتركيب لتخصيص موضوعات الوثائق، ولكنه لم يصل إلى التحليل والتركيب الكاملين.

نصل إلى القول بأن هذا النوع من التصنيف هو حاصر لأنه يعتمد على التصنيف العشري، وهو تركيبي لأنه أدخل بعض الوسائل التي تمكن من تركيب بعض المفاهيم معاً. ولكن لما كانت بنيته الأصلية حاصرة فلا يمكن أن يعد تركيبياً كاملاً فهو شبه حاصر.

ج ـ الأنظمة التحليلية التركيبية: وهناك أيضاً نظام عام وحيد من هذا النوع هو تصنيف الكولون لرانجاناثان.

والانظمة التحليلية التركيبية لا تحصر موضوعات المعرفة البشرية في قائمة واحدة ولا تعطي أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المركبة، بل تسجل فقط العناصر التي تتألف منها الموضوعات في قوائم متعددة مستقلة كل قائمة تمثل عنصراً هاماً من عناصر دراسة الموضوع، وعند التصنيف العملي تحلل موضوع الوثيقة إلى عناصره، ويعطى كل عنصر في الموضوع رقمه المناسب من القوائم، ثم يعاد تركيب هذه العناصر معاً لتكوين رقم التصنيف المركب باستعمال علامات الربط المناسبة. وهو يشبه في هذا الدواء، فالدواء نوعان: جاهز ومركب. والجاهز يشبه الخطط الحاصرة: المصنف هنا هو الصيدلي وعالم التصنيف هو الطبيب. والطبيب يكتب اسم الدواء وما على الصيدلي إلا أن يحضره من على الرف.

أما الدواء المركب فالطبيب (عالم التصنيف) يكتفي بتسجيل العناصر التي يتألف منها الدواء ويوصف طريقة التركيب ومقادير العناصر. والصيدلي (المصنف) يقوم بعملية التركيب في كل مرة على حدة. وفي كل مرة ينتج دواء جديد ولذلك تختلف طريقة الكولون عن غيره من التصانيف، فهو لا يحصر الموضوعات، وانما يحصر عناصر الموضوعات فقط في قوائم مستقلة، كل قائمة تشمل المفردات يسمى الوجه وتسمى العملية كلها التحليل الوجهي. وهذه العناصر أو البؤرات يعاد تركيبها عند التصنيف العملي مكونة الموضوع المركب.

رابعاً ـ نظام تصنيف ديوي العشري

١ ـ مقدمة :

يعتبر نظام تصنيف ديوي العشري اقدم انظمة التصنيف الحديثة واوسعها انتشاراً في الولايات المتحدة الاميركية، كما أن له اتباعاً كثيرين في انحاء العالم والعالم العربي. ويعود الفضل في وضع هذا النظام إلى ملفيل ديوي الذي ولد في العاشر من كانون الأول عام ١٨٥١.

درس ديوي في كلية امهرست وتخرج منها عام ١٨٧٢، وعمل مساعداً لأمين المكتبة في هذه الكلية، واشترك في تأسيس جمعية المكتبات الاميركية عام ١٨٧٦، وانشأ (المجلة المكتبية) المشهورة وترأس تحريرها عام ١٨٧٦ وعمل اميناً لمكتبة كلية كولومبيا عام ١٨٨٣، وانشأ اول مدرسة لتدريس علم المكتبات في هذه الكلية عام ١٨٨٧. وتعين مديراً لمكتبة جامعة ولاية نيويورك عام ١٨٨٩، وأسس نادي ليك بلاسيد عام ١٨٩٥، وتحول هذا النادي إلى مؤسسة تعليمية عام ١٩٢٢، وانشأ المعهد الاميركي للمكتبات عام ١٩٠٦.

توفي ديوي عام ١٩٣١ بعد أن أشرف بنفسه على اصدار اثنتي عشرة طبعة من نظامه.

تولت المؤسسة التعليمية لنادي ليك بلاسيد رعاية النظام كواحد من مشروعاتها، واصبحت مطبعة فورست هي المسؤولة عن نشر النظام، واتفقت هذه المطبعة مع مكتبة الكونغرس على اعداد الطبعات الجديدة للنظام منذ صدور الطبعة السادسة عشر عام ١٩٥٨، حين تأسس مكتب التصنيف العشري في مكتبة الكونغرس. وباشر هذا المكتب في اصدار نشرة بعنوان «الإضافات والملاحظات والقرارات لتصنيف ديوي العشري ـ أصدر ديوي الطبعة الأولى من نظامه عام ١٨٧٦.

وقد احتوت هذه الطبعة على ١٠٠٠ فرع في جداولها مرقمة من ٠٠٠ ـ ٩٩٩ وكشاف تحليلي ومقدمة وقعت جميعها في اثنتين وأربعين صفحة. وصدرت الطبعة الثانية

«المنقحة والمزيدة جداً» عام ٨١٨٨٥ ومنذ ذلك الحين توالى إصدار الطبعات. ففي عام ١٩٥٨ صدرت الطبعة السادسة عشرة متضمنة مراجعة كاملة للأقسام ٥٤٦ ـ ٥٤٧ «الكيمياء العضوية وغير العضوية» أما الطبعة الحالية فهي الطبعة التاسعة عشرة والتي صدرت عام ١٩٧٩.

وفي عام ١٨٩٤ صدرت الطبعة الأولى المختصرة في نفس الوقت الذي صدرت فيه الطبعة الخامسة الكاملة. وحتى الطبعة المختصرة العاشرة لم تكن هذه الطبعة اختصاراً حقيقياً للطبعة الكاملة. إلاّ أن الطبعة الحادية عشرة والتي صدرت عام ١٩٧٩ هي اختصار حقيقي للطبعة التاسعة عشرة الكاملة.

وقد ترجم النظام إلى عدة لغات منها الاسبانية والنرويجية والتركية والفرنسية واليابانية والسنهالية والبرتغالية والتايلاندية.

٢ ـ المفاهيم الأساسية

لقد حاول ديوي أن يضع نظاماً (تتوافر فيه البساطة والسهولة عند التطبيق وان يلقى قبولاً عالمياً فتستخدمه معظم المكتبات) أوكما قال قبل وفاته: (ان الحاجة إلى نظام التصنيف تقضي معرفة اين يوضع الكتاب، واين تجده مرة ثانية إذا بحثت عنه في اليوم الثاني أو بعد قرن من الزمان). وجميع الوقائع حتى الوقت الحاضر تؤيد قول ديوي وتثبت صحته بالنسبة لنظامه.

درس ديوي ما انجزه الفلاسفة في مجال تصنيف المعرفة، ورأى أن الانجاز الذي قام به الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون يصلح لأن يكون نظاماً أساسياً لتنظيم مقتنيات المكتبة، وبذلك تأثر ديوي في نظام تصنيفه بما ورد في لائحة المعرفة البشرية التى نشرها بيكون عام ١٦٠٥ وكان لعمله في مكتبة كلية امهرست دافع كبير في أن يفكر جدياً في وضع نظام لتصنيف مقتنيات المكتبة التي يعمل فيها، وان يكون هذا النظام عاملاً مساعداً للمكتبات الأخرى على تنظيم مقتنياتها، اعتقاداً من ديوي بأن المشاكل التي يواجهها المكتبيون في مكتباتهم لا تختلف عن بعضها بعضاً. وواصل ديوي جهوده إلى أن انجز نظام تصنيفه وطبقه على المكتبة التي كان يعمل فيها.

وبنى ديوي نظام تصنيفه على الأسس التالية:

١ ـ الاصول: قسم ديوي المعرفة إلى عشرة اصول.

٢ ـ الفروع : قام ديوي بتفريع كل أصل إلى عشرة فروع ، وهي مائة فرع .

٣ ـ الأقسام : قام ديوي بتفريع كل فرع إلى عشرة أقسام ، وهي ألف قسم ، حيث أنه ١٠ أصول × ١٠ فروع × ١٠ أقسام يساوي ١٠٠٠ قسم .

وعلى هذا الأساس سمي تصنيف ديوي بالتصنيف العشري . وبعد ذلك باشر ديوي في استخدام الكسور العشرية ، أي أن الكسر العشري لايرد إلا بعد الرموز الثلاثة الأولى .

ان التفريع في نظام ديوي هوتفريع شجري يبدأ بالموضوع العام (الأصل) وينتهي بالموضوع الخاص ، وهذا هو التصنيف الصحيح لموضعات المعرفة . وان الرمز معبر عن جميع مراحل التفريع للموضوع الواحد ، وعلى هذا الأساس تستطيع التدرج عند التحليل لكل موضوع ابتداء من الأصل وانتهاء بالموضوع الخاص .

ويواكبنا في التحليل الرمز الذي حدده النظام في جميع مراحل التفريع مهما كان العدد الذي استوعبه التفريع من أجل الوصول إلى الموضع الخاص .

نورد المثال التالي للتحليل :

٣٧٢,٢١٨ رياض الأطفال (الموضوع الخاص)

التحليل :

٣٠٠	علوم اجتماعية
٣٧٠	التربية والتعليم
٣٧٢	مراحل المدارس الابتدائية
٣٧٢,٢١	معاهد ما قبل الدراسة
٣٧٢,٢١٨	رياض الاطفال

ونلاحظ أن عدد الكسور العشرية لم يكن محدداً أوثابتاً . وتفريع الموضوع الواحد حتى نصل إلى الموضوع الخاص هو الذي يحدد عدد هذه الكسور .

بدأ ديوي ترقيمه بالصفر وحتى الرقم ٩ بالنسبة للأصول العشرة الرئيسية ، واعتمد في ترقيمه على ثلاثة أرقام حسابية أي . . . ، ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ ، ٤٠٠ ، ٥٠٠ ، ٦٠٠ ، ٧٠٠ ، ٨٠٠ ، ٩٠٠ ، فكانت الاصول في مرتبة المئات ، وأما الفروع المائة فكانت في مرتبة العشرات ، ومثال ذلك : ٣٠٠ العلوم الاجتماعية ، مقسمة إلى الأقسام التالية : ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠ ، ٣٧٠ ، ٣٨٠ ، ٣٩٠ ،

وأما الأقسام فكانت في مرتبة الآحاد ومثال ذلك : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،

٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩.

وزيادة في الايضاح، لتأخذ الرقم ٩٥٢، والذي يمثل تاريخ اليابان، ولنحلله حسب تصنيف ديوي إلى الأصل والفرع والقسم فيكون كالآتي:

الاصل ٩٠٠ وهو للتاريخ

والفرع ٩٥٠ هو تاريخ آسيا

والقسم ٩٥٢ هو تاريخ اليابان.

ونورد مثالاً آخر للتحليل موضحاً كيف ذهب ديوي في تصنيفه إلى أبعد من ذلك، فاستعمل الفاصلة العشرية والارقام العشرية للوصول إلى أصغر قسم يراد إضافته إلى المكتبة بالنسبة لمختلف المواضيع ومثال ذلك:

٦٢٠	الهندسة
٦٢١	الهندسة الميكانيكية
٦٢١,١	هندسة القوى البخارية
٦٢١,٢	هندسة قوى السوائل
٦٢١,٣	هندسة الكهرباء
٦٢١,٤	هندسة الحركة والتموجات
٦٢١,٥	هندسة السفن
٦٢١,٦	هندسة المضخات
٦٢١,٧	هندسة المصانع
٦٢١,٨	هندسة القوى الميكانيكية
٦٢١,٩	هندسة الآلات

نستخلص مما سبق ان قوام طريقة ديوي هو أن جميع ما وعاه الانسان من معارف يرجع إلى رتب عشر رئيسية وعلى وفقها تصنف الكتب أيضاً إلى عشر رتب رئيسية يرمز لكل منها برقم، وأولها، وهو رتبة المؤلفات العامة، يتناول المؤلفات التي لا يقتصر الكلام فيها على موضوع واحد من موضوعات الرتب الرئيسية التسع الأخرى وهي التي يستقل كل منها بنوع واحد كبير واحد من فروع المعرفة مثل الدين والفلسفة والعلوم الاجتماعية الخ... وكل رتبة من هذه الرتب تنقسم بدورها إلى عشرة أقسام أخرى يمكن تقسيم كل منها إلى عشرة أقسام فرعية، وهكذا يمكن الاستمرار في التقسيم إلى اصغر جزئيات المادة. وبهذا يمكننا أن نصنف كتب المكتبة تصنيفاً محكماً على أساس هذه الطريقة.

انتشر نظام ديوي وتبنته اغلب المكتبات العامة والخاصة في العالم لسهولة استعماله ولليونته بحيث نستطيع أن نجزأ مواضيعه إلى أجزاء صغيرة ودقيقة حتى نصل إلى جزء لا يتجزأ إلى مواضيع اخرى دون أن يتأثر هذا النظام . كما نستطيع أن ندخل أي موضوع بالآخر الذي يسبقه والذي تربطه به علاقة العموم، أو نخرج مواضيع نراها متشابهة واكثر تخصصاً من الموضوع السابق لجعلها موضوعاً مستقلاً يرتبط بالموضوع السابق بعلاقة عامة . ونظام ديوي هذا ـ أو كما يسمى أيضاً ـ النظام العشري قائم على الموضوع والشكل والارقام العشرية . فمواضيع اللغة والآداب والمعارف العامة تقسم حسب اشكالها العلمية والمقصود بالشكل القالب الذي صبت فيه مادة الكتاب كأن يكون دائرة معارف ليست ذات موضوع واحد فالقواميس والمعاجم تجمع معاً لأنها رتبت بهذا الشكل والشعر يجمع سوية لأنه نظم بهذا الاسلوب الشعري وهذا الشكل من حيث الوزن والبحر والقافية وكذلك الروايات والقصص والمسرحيات تجمع كل منها سوية .

والمواضيع التي تقسم حسب اشكالها هي :

١ ـ المؤلفات العامة ـ المعارف العامة (٠٠٠ ـ ٩٩) .

٢ ـ الآداب (٨٠٠ ـ ٨٩٩) وتصنف حسب أشكالها شعر، مسرحية ، قصص ، لأننا نصنف الشعر ولا ننظر إلى مواضيعه .

٣ ـ اللغة (٤٠٠ ـ ٤٩٩) .

٣ ـ الجداول

قسم ديوي المعرفة إلى عشرة أقسام نستطيع أن ندرك تسلسلها من التخيل لمراحل حياة الإنسان على الأرض على النحو التالي :

١ ـ بدأ الإنسان التفكير في ذاته وماهية وجوده على الأرض ـ فكانت الفلسفة .

٢ ـ هداه تفكيره إلى أن وجوده على الأرض راجع إلى خالق ـ فكانت الديانات .

٣ ـ ولما كان الإنسان مدنياً بطبيعته فلا بد له من العيش كجماعات حيث نشأت الأسرة والعشيرة والقبيلة والدولة وما تبع ذلك من قوانين ونواميس لتنظيم حياة الجماعات ـ فكانت العلوم الاجتماعية .

٤ ـ أدت الحياة مع الجماعة إلى ضرورة وسائل للاتصال ـ فكانت اللغة .

٥ ـ أخذ الإنسان في ملاحظة الحياة حوله وبدأ التفكير في أسرار هذه الحياة والظواهر

الطبيعية التي تحيط به ـ فكانت العلوم النظرية .

٦ ـ كانت لبعض الجوانب النظرية السابقة تطبيقات تخدم الإنسان في حياته في محاولة لتسخير الظواهر الطبيعية لفائدته ـ فكانت العلوم التطبيقية .

٧ ـ كان الإنسان مضطراً للبقاء في سكنه عندما لم تكن تسمح له الظروف بالخروج للصيد أو الزراعة أو الرعي . فكان يقضي أوقات فراغه في الرسم أو النقش على جدران الكهوف ـ فكانت الفنون الجميلة .

٨ ـ تطورت الفنون الجميلة بحيث أصبح الانسان يعبر عن أحاسيسه باللغة ـ فكانت الآداب .

٩ ـ تقدمت حياة الجماعة وظهرت في أماكن متباعدة فكانت هناك الحاجة إلى الرحلات ومعرفة أساليب الحياة لدى كل منها ـ فكان التاريخ .

١٠ ـ هناك حالات تجمع بين بعض أو كل الميادين السابقة ـ فكانت المعارف العامة .

ولكن ديوي استخدم الأصول الرقمية ٠ ـ ٩ ليدل على تلك الأقسام واشترط على ألّا يقل أصل كل رقم عن ثلاثة أعداد، مما جعل الأصول ٠٠٠ ـ ٩٩٩ . وعليه أصبحت الأقسام الرئيسية العشرة على النحو التالي بعد أن قرر أن تبدأ بالمعارف العامة .

٠٠٠ ـ ٠٩٩	المعارف العامة
١٠٠ ـ ١٩٩	الفلسفة
٢٠٠ ـ ٢٩٩	الديانات
٣٠٠ ـ ٣٩٩	العلوم الاجتماعية
٤٠٠ ـ ٤٩٩	اللغات
٥٠٠ ـ ٥٩٩	العلوم النظرية (البحتة)
٦٠٠ ـ ٦٩٩	العلوم التطبيقية (التكنولوجيا)
٧٠٠ ـ ٧٩٩	الفنون الجميلة
٨٠٠ ـ ٨٩٩	الآداب
٩٠٠ ـ ٩٩٩	التاريخ والجغرافيا

ومن الواضح أن ديوي قد خصص لكل قسم رئيسي ١٠٠ قسم فرعي .

وقد قسم كل قسم رئيسي إلى عشرة أقسام فرعية كما هو واضح في المثال التالي :

٦٠٠ ـ ٦٠٩	العلوم التطبيقية (التكنولوجيا)
٦١٠ ـ ٦١٩	العلوم الطبية ـ الطب

٦٢٠ ـ ٦٢٩	الهندسة والعمليات ذات العلاقة.
٦٣٠ ـ ٦٣٩	الزراعة والتقنيات ذات العلاقة
٦٤٠ ـ ٦٤٩	الاقتصاد المنزلي ومعيشة العائلة
٦٥٠ ـ ٦٥٩	الإدارة والخدمات المساعدة
٦٦٠ ـ ٦٦٩	التقنيات الكيميائية والتقنيات ذات العلاقة
٦٧٠ ـ ٦٨٠	الصناعات
٦٨٠ ـ ٦٨٩	صناعة منتجات لأغراض محددة
٦٩٠ ـ ٦٩٩	الأبنية

وبالاستمرار في التقسيم يمكن تقسيم كل قسم فرعي إلى عشرة فروع، وكل فرع إلى عشرة أجزاء وهكذا حتى نصل إلى درجة التفصيل المرغوبة. وهذا التفريع ممكن عن طريق استخدام الفاصلة العشرية بعد الأعداد الثلاثة الأساسية التي تشكل الحد الأدنى لأي رقم تصنيف. والجداول التالية إيضاح لمفهوم التدرج في التفريع واستخدام الفاصلة العشرية لذلك:

٦١٠	العلوم الطبية (الطب
٦١١	التشريح البشري، علم الخلايا، الأنسجة
٦١٢	الفسيولوجيا البشرية
٦١٣	الصحة عموماً وصحة الأفراد
٦١٤	الصحة العامة والمواضيع ذات العلاقة
٦١٥	الصيدلة والعلاج
٦١٦	الأمراض
٦١٧	الجراحة والمواضيع ذات العلاقة
٦١٨	فروع الطب الأخرى
٦١٩	الطب التجريبي

والفسيولوجيا البشرية مفرعة كالتالي:

٦١٢	الفسيولوجيا البشرية
٦١٢,١	الدم والدورة الدموية
٦١٢,٢	التنفس
٦١٢,٣	التغذية

٦١٢,٤	الإفراز والإبراز والوظائف ذات العلاقة
٦١٢,٦	التناسل والنمو والنضوج
٦١٢.٧	الوظائف الحركية والغشاء
٦١٢,٨	الوظائف العصبية والحسية
٦١٢,٩	فسيولوجيا مناطق الجسم

والدم والدورة الدموية تفرع كالتالي:

٦١٢	الفسيولوجيا البشرية
٦١٢,١	الدم والدورة الدموية
٦١٢,١١	الدم
٦١٢,١٢	كيمياء الدم
٦١٢,١٣	الأوعية الدموية والتوزيع الوعائي
٦١٢,١٤	ضغط الدم
٦١٢,١٧	القلب
٦١٢,١٨	مقاييس الأوعية

***

خامساً ـ نظام التصنيف العشري العالمي

١ ـ مقدمة:

كان بول أوتليه وهنري لافونتين يقومان بجهود كبيرة في قارة أوربا لكي يحققا حلماً طالما راودهما هو الببليوجرافية العالمية وقد كانا بحاجة إلى نظام للتصنيف يكون أساساً لترتيب هذه الببليوجرافية وقد اختارا النظام العشري وزوداه بكثير من الوسائل التي تجعله ملائماً لاستيعاب الكتب من جميع الأقطار وجميع اللغات حتى يفي باحتياجات الهدف الذي سعيا إليه، وكانت هذه الوسائل بدايات للتحليل والتركيب في خطط التصنيف.

كان هذا النظام نتيجة مباشرة لمؤتمر دولي عقد في بروكسل عام ١٨٩٥، حيث أعلن تأسيس المعهد الدولي للببليوغرافيا الذي أصبح فيما بعد الاتحاد الدولي للتوثيق. وفي هذا الاجتماع دعا بول أوتلت وهنري لافونتين لوضع فهرس بطاقي لأدبيات العالم، دعت الحاجة لترتيبها إلى وجود تصنيف دولي. وقد وقع الاختيار على نظام ديوي للتصنيف العشري كأساس لهذا التصنيف على أن يعدل ويوسع حسب الحاجة. وقد وافق ملفيل ديوي على هذا الاجراء شريطة ألا تكون هناك تغييرات رئيسية في هيكله. وقد بوشر فعلاً في بناء الفهرس المقترح. إلا أن هذا العمل الضخم قد توقف عام ١٩٢٠، غير ان نظام التصنيف الذي طور من أجل هذا الفهرس قد بقي. وقد نشرت الطبعة الأولى منه باللغة الفرنسية عام ١٩٠٥.

وظهرت الطبعة الفرنسية الثانية خلال الفترة ١٩٢٧ ـ ١٩٣٣، ومنذ ذلك الحين واصدار الطبعة الكاملة من النظام مستمرة على النحو التالي:

١ ـ الطبعة الثالثة (باللغة الالمانية) ١٩٣٤ ـ ١٩٥٣ في عشرة مجلدات. وهذه الطبعة كاملة.
٢ ـ الطبعة الرابعة (باللغة الانجليزية) ١٩٤٣ ـ لم تكتمل بعد.
٣ ـ الطبعة الخامسة (باللغة الفرنسية) ١٩٤٠ ـ لم تكتمل.
٤ ـ الطبعة السادسة (باللغة اليابانية) ١٩٥١ ـ لم تكتمل.

٥ ـ الطبعة السابعة (باللغة الاسبانية) ١٩٥٥ ـ لم تكتمل.
٦ ـ الطبعة الثامنة (باللغة الالمانية) ١٩٥٦ ـ لم تكتمل.

وبالاضافة إلى الطبعة الكاملة صدرت طبعات مختصرة في اكثر من لغة كالتشيكية والهولندية والفنلندية والايطالية والبولندية والرومانية والاسبانية والسويدية والبرتغالية واليابانية. ومن أشهر هذه الطبعات المختصرة الطبعة الثالثة باللغة الانجليزية التي صدرت عام ١٩٦١.

كما قد صدرت بعض الطبعات الخاصة التي تغطي موضوعاً أو ميدانا خاصاً.

والطبعة الأخيرة الخاصة بالتربية هي الطبعة الوحيدة التي ترجمت إلى اللغة العربية عام ١٩٧١ حيث كلف قسم التوثيق التربوي بوزارة التربية والتعليم في الاردن بذلك. غير أن هذه الترجمة غير منشورة بعد.

ويقوم الاتحاد الدولي للتوثيق بتحديث هذا النظام بصورة مستمرة بواسطة نشرته «Extensions & corrections to the U.D.C.» وتجمع هذه النشرة مرة كل ثلاث سنوات.

ويستخدم هذا النظام على نطاق واسع في أوروبا وخاصة في المكتبات المتخصصة. والنظام مطبق على كافة أنواع المواد المكتبية وليس مقتصراً على الكتب. وهذه احدى الميزات التي تميزه عن نظام تصنيف ديوي العشري.

٢ ـ المفاهيم الاساسية

ان عبارة «العالمي» لا تعني كونه دولياً أو عالمياً بالنسبة لاستخدام النظام، انما تشير إلى محاولة معاملة جميع ميادين المعرفة كنموذج موحد من مواضيع متداخلة الترابط لا مجرد مجموعات من تصنيفات خاصة وضعت معاً.

أما كونه «عشرياً» فنتيجة لما ورثه من نظام تصنيف ديوي العشري الذي اعتمد أساساً لبنائه. وهذه الميزة قد أعطته المرونة خاصة وانه أيضاً يستخدم الارقام العربية كرموز. إلا أن تميزه عن ديوي في الامكانيات غير المحدودة في بناء الأرقام وربط المواضيع المختلفة بواسطة اشارات ترقيم خاصة قد أكسبته مرونة فائقة غير أنها أدت بالضرورة إلى طول الأرقام بشكل جعلت المستفيدين ينفرون منه.

أما فيما يخص سهولة تذكر ارقام التصنيف في ديوي فإن هذه الخاصية تقل في هذا

النظام عن سابقه باستثناء الأجزاء الأولى من الأرقام والتي هي مشابهة لتلك في ديوي.

والرمز لهذا النظام مختلط:

(أرقـام + حروف + علامـات) ويصلح بصـورة ممتازة للمكتبات المتخصصة في موضوعاتها، نظراً للتصنيف الدقيق الشامل الذي يوفره النظام لموضوع التخصص.

٣ ـ الجداول

لما كان النظام مبنياً على أساس نظام ديوي فان الاقسام الرئيسية قد اعتمدت دون حاجة إلى تبرير أو اعتماد على مفاهيم فلسفية أو منطقية. إلا أن الهدف من النظام قد حتم على المعنيين أن يعيدوا النظر في الأقسام الرئيسية نفسها ناهيك عن التفصيلات داخل القسم الرئيسي الواحد أو تفريعات المواضيع هناك.

استخدم النظام الاصول الرقمية ٠ ـ ٩ لتدل على الأقسام الرئيسية إلا أنه لم يشترط أن لا يقل أصل كل رقم عن ثلاثة أعداد، أي أنه اعتمد هذه الاصول كما هي. وعليه أصبحت الاقسام الرئيسية على النحو التالي:

٠ المعارف العامة

١ الفلسفة، الأخلاق، علم النفس

٢ الديانات، علم اللاهوت

٣ العلوم الاجتماعية

٤ علم اللغة، اللغات

٥ العلوم البحتة

٦ العلوم التطبيقية

٧ الفنون الجميلة (الفنون، الترفيه، الالعاب الرياضية).

٨ الآداب

٩ التاريخ، الجغرافية، التراجم

٠ المعارف العامة

٠١ الفهارس، الببليوغرافيات

٠٢ علم المكتبات

٠٣ **موسوعات**

٠٤ **مقالات**

٠٥ **دوريات**

٠٦ **منظمات**

٠٧ **صحف**

٠٨ **مجموعات**

٠٩ **مخطوطات**

١ **الفلسفة**

١١

١٢ الميتافيزيقا

١٣ ميتافيزيقا الحياة الروحية

١٤ مذاهب فلسفية

١٥ علم النفس

١٦ المنطق

١٧ الأخلاق

١٨ علم الجمال

١٩ تاريخ الفلسفة

٢ **الديانات**

٢١ لاهوت طبيعي

٢٢ الانجيل

٢٣ اللاهوت العقدي (العقائدي)

٢٤ اللاهوت العملي

٢٥ اللاهوت

٢٦ الكنيسة المسيحية (عام)

٢٧ تاريخ الكنيسة المسيحية (عام)

٢٨ الكنائس المسيحية

٢٩ ديانات أخرى

٣ علوم اجتماعية

٣١ احصاء

٣٢ علوم سياسية

٣٣ اقتصاد

٣٤ قانون

٣٥ ادارة عامة

٣٦ خدمات اجتماعية

٣٧ تربية

٣٨ تجارة

٣٩ عادات وتقاليد

٤ اللغات

٤١ الفقه واللغة

٤٢ الانكليزية

٤٣ الالمانية

٤٤ الفرنسية

٤٥ الايطالية

٤٦ الاسبانية

٤٧ لاتيني يوناني

٤٨ لغات سلافية

٤٩ لغات شرقية، افريقية

٥ علوم بحته

٥١ رياضيات

٥٢ فلك

٥٣ فيزياء

٥٤ كيمياء

٥٥ جيولوجيا

٥٦ الأحافير
٥٧ البيولوجيا (علوم الحياة)
٥٨ علم النبات
٥٩ علم الحيوان

٦ علوم تطبيقية
٦١ علوم طبية
٦٢ هندسة
٦٣ زراعة
٦٤ اقتصاد منزلي
٦٥ ادارة اعمال
٦٦ صناعة كيمياوية
٦٧ صناعات ثقيلة
٦٨ صناعات خفيفة
٦٩ صناعة البناء

٧ الفنون
٧١ تخطيط المدن
٧٢ الفن المعماري
٧٣ نحت
٧٤ رسم
٧٥ رسم زيتي
٧٦ حفر وطباعة
٧٧ تصوير
٧٨ موسيقى
٧٩ مسليات (ترفيه)

٨ الآداب

٨١ عموميات (كتابات مختلفة)

٨٢ انكليزي

٨٣ الماني

٨٤ فرنسي

٨٥ ايطالي

٨٦ اسباني

٨٧ لاتيني

٨٨ آداب سلافية

٨٩ آداب شرقية

٩ الجغرافية والتاريخ والتراجم

٩١ جغرافية ورحلات

٩٢ تراجم

٩٣ تاريخ قديم

٩٤ تاريخ وسيط وحديث

وعلى نفس الاسلوب لنظام ديوي يقم كل قسم رئيسي إلى عشرة أقسام فرعية. وكذلك تخضع الأقسام الفرعية إلى تفريعات مثل:

٦١ العلوم الطبية

٦١١ التشريح

٦١٢ الفسيولوجيا

٦١٣ الصحة عموماً وصحة الافراد

٦١٤ الصحة العامة والسلامة

٦١٥ الصيدلة، علم الصيدلة، العلاج

٦١٦ الامراض، علم الامراض، الطب

٦١٧ الجراحة.

٦١٨ الامراض النسائية والتوليد

٦١٩ الامراض المقارنة. الطب البيطري.

والفسيولوجيا مفرعة كالتالي:

٦١٢ الفسيولوجيا

٦١٢,١ الدم والدورة الدموية

٦١٢,٢ التنفس

٦١٢,٣ التغذية

٦١٢,٤ الفسيولوجيا الغددية. الافراز. الابراز

٦١٢,٥ الحرارة الحيوانية: حرارة الجسم

٦١٢,٦ التناسل. النمو. النضوج. الشيخوخة

٦١٢,٧ النظام العصبي. اعضاء الحس

٦١٢,٨ اعضاء الحركة. الصوت. الجلد.

* * *

سادساً ـ نظام تصنيف مكتبة الكونغرس :

١ ـ مقدمة :

حينما أرادت مكتبة الكونجرس الأمريكي أن تنتقل إلى مبناها الجديد بدأت في دراسة إمكانيات الاستعانة بأحد النظم المستعملة أو وضع نظام جديد وخرجت من المحاولة بوضع خطة تصنيف خاصة بالمكتبة تقوم على مجموعات كتبها ولكنها تستفيد من المنجزات التي حدثت في مجال صناعة الخطط ومن الخطط الموجودة في ذلك الوقت.

تأسست مكتبة الكونجرس عام ١٨٠٠ ، وبعد أن وصل عدد مجلداتها عام ١٨١٢ إلى ٣٠٠٠ مجلد ظهرت الحاجة إلى أسلوب لتصنيفها بدل ترتيبها حسب الحجم والرقم المتسلسل الذي كان معمولاً به. وتم بناء تصنيف مقسم إلى ثمانية عشر فرعاً عاماً مبني على فلسفة بيكون. غير ان المكتبة قد أحرقت عام ١٨١٤ على يد الجنود البريطانيين. ثم باع توماس جيفرسون مكتبته الخاصة التي كانت تضم حوالي ٧٠٠٠ مجلد ومصنفة حسب نظام وضعه هو بنفسه مكون من أربعة وأربعين قسماً رئيسياً وفرعاً ومبني على فلسفة بيكون. ومع ان هذه المكتبة قد احترقت أيضاً فيما بعد. إلا أن نظام جيفرسون قد بقي مطبقاً حتى أواخر القرن التاسع عشر.

وفي عام ١٨٩٩ عيّن الدكتور هربرت بوتنام أميناً للمكتبة في الوقت الذي بني فيه مبنى جديد لها. وقد تقرر اعادة تنظيم وتصنيف المكتبة بعد أن أخذ حجم المقتنيات ينمو بسرعة وأصبح نظام التصنيف القائم عاجزاً عن تلبية احتياجات المكتبة. وكان من الطبيعي أن يفكر بوتنام في أنظمة التصنيف القائمة. فقد كان نظام تصنيف ديوي العشري في طبعته الخامسة ونظام كتر التوسعي في توسعاته الست الأولى. كما لم تفغل أنظمة من خارج الولايات المتحدة حيث درس النظام الالماني الذي وضعه أوتو هارتفيج وقد استبعد الثالث لتأثره الواضح بالفلسفة الالمانية. كما استبعد الأول لأن ديوي رفض اجراء تعديلات وتوسيعات كبيرة. ولذا فإن التعاون مع كتر كان الأساس الذي اعتمد. ولذا عين عدد من

أخصائيي الموضوعات وبدأوا بتطوير جداول مستقلة أو أجزاء محددة من النظام اعتماداً على ما تمثله مقتنيات المكتبة. وقد استغرق اعداد هذه الجداول عدة سنوات ولم تكتمل إلا في عام ١٩٤٠ (باستثناء قسم القانون الذي لم ينجز حتى الآن إلا جزئياً).

ان النظام لا يتقيد بالترتيب العلمي للموضوعات بل الترتيب الملائم لمختلف المجموعات: اعتماداً على انها مجموعات للكتب وليست للموضعات فقط. ولذلك اعتبر هذا النظام نظاماً تعدادياً وليس نظاماً علمياً يعتمد التحليل والتركيب.

صدر هذا النظام في (٢٨) مجلداً خلال الأعوام ١٩٧٣ ـ ١٩٨١ . وما زال موضوع القانون بدون جداول، وهناك (٥٠) مجلداً كملحقات للجداول الأصلية. ويستخدم الرمز المختلط أي الأرقام من (٠٠٠٠ ـ ٩٩٩٩) والحروف الهجائية الكبيرة A-Z والحروف الصغيرة a-z . ويصعب تطويع هذه الحروف باللغة العربية. ولا يوجد كشاف عام لهذا النظام، بل لكل أصل كشاف ملحق به. والتحديث لهذا النظام يعتمد على صدور طبعات لكل أصل من الأصول. وغالباً مايكون الاصدار متباعداً زمنياً، فقد صدرت الطبعة الأولى لجداول التاريخ العام سنة ١٩١٦ وصدرت الطبعة الثانية عام ١٩٥٩، وكذلك الزراعة مثلاً، فقد صدرت الطبعة الأولى لجداولها عام ١٩١١ والطبعة الثانية عام ١٩٤٨. وبسبب رموزه فإن النظام غير قابل لاستخدام الحاسب الالكتروني ولاتعنى المؤسسات التي تقوم بتعليم علم المكتبات والمعلومات بتدريس هذا النظام. وتفعل ذلك بإيجاز كبير للعلم بهذا النظام وليس لاتقانه لأن النظام يناسب المكتبات الكبيرة ذات الملايين من المواد المقتناة. ولأنه يصلح لمكتبة رفوفها مغلقة مثل مكتبة الكونجرس.

٢ ـ المفاهيم الأساسية

النظام في أساسه تعدادي. وقد أخذ عن نظام كتر التوسعي عدداً من الملامح من بينها ترتيب الاقسام الرئيسية واستخدام الحروف الكبيرة رموزاً لتلك الأقسام وفروعها الاساسية واستخدامها الأرقام العربية في التفريعات. وبالاضافة إلى ذلك فإنه يكمل أرقام التصنيف عادة بأرقام دالة على المؤلف.

ويتبع النظام في تفريعه فروع الاقسام الرئيسية مبدأ الانتقال من العام إلى الخاص. كما أنه يستفيد من التسلسل الزمني. أما بالنسبة للتقسيمات الجغرافية ففي معظمها مرتبة هجائياً رغم انه يورد الترتيب المفضل أحياناً ابتداء بالعالم الغربي والولايات المتحدة.

٣ ـ الجداول

قسم النظام المعرفة إلى (٢١) قسماً رئيسياً على النحو التالي:

A	الأعمال العامة
B	الفلسفة
C	العلوم المساعدة في التاريخ
D	التاريخ العام وتاريخ العالم القديم
E/F	التاريخ الأمريكي
G	الجغرافيا والأنثروبولوجيا
H	العلوم الاجتماعية
J	العلوم السياسية
K	القانون
L	التربية والتعليم
M	الموسيقى
N	الفنون الجميلة
P	اللغات والآداب
Q	العلوم
R	الطب
S	الزراعة
T	التكنولوجيا
U	العلوم العسكرية
V	العلوم البحرية
Z	الببليوغرافيا وعلم المكتبات

وقد وزع النظام المواضيع في هذه الأقسام على النحو التالي:

A الأعمال العامة: المجموعات والسلاسل (AC) ، دوائر المعارف العامة (AE) ، الكشافات العامة (AI) ، المتاحف (AM) ، الصحف (AN) ، الدوريات العامة (Ap) ، الهيئات والجمعيات (AS) ، الكتب السنوية العامةي (AY) التاريخ العام للمعرفة والتعليم (AZ)

والفرع الأخير هو الفرع الذي يبدو شاذا هنا .

B الفلسفة والدين : المجموعات والتاريخ والنظم الفلسفيه (B) المنطق (BC) ، الميتافيزيقيا (BD) ، علم النفس (BF) الجماليات (BH) ، الأخلاق (BJ) ، الديانات (BL) اليهودية (BM) ، الاسلام (BP) ، المسيحية (BR-BX) في هذا التفريع هناك تشابه مع تفريعات ديوي .

C العلوم المساعدة في التاريخ : تاريخ الحضارة عامة (CB) ، الآثار (CE) ، المسكوكات (CJ) الكتابة والنقوش (CN) ، شعارات النبلاء (CR) ، علم الانساب (CS) ، التراجم المجمعة (CT) .

D التاريخ العام وتاريخ العالم القديم : التاريخ العام (D) . دول أوروبا (DA-DR) ، آسيا (DS) ، أفريقيا (DT) استراليا والاقيانوسيا (DU) ، الغجر (DX) .

E-F التاريخ الأمريكي : أمريكا (عامة) ، والولايات المتحدة (عامة) (E) ، الولايات المتحدة (محلياً) وأمريكا باستثناء الولايات المتحدة (F) .

G الجغرافيا والانترويولوجيا : الجغرافيا الرياضية والفلكية (GA) الجغرافيا الطبيعية (GB) ، **المحيطات وعلم المحيطات (GC) ، الجغرافيا الانتروبولوجية (GF) ، الانتروبولوجيا (GN)** ، الادب الشعبي (GR) ، العادات والتقاليد (GT) ، الألعاب الرياضية والتسلية (GV) .

H العلوم الاجتماعية عامة (H) الاحصاء (HA) النظرية الاقتصادية (HB) ، التاريخ الاقتصادي والاوضاع الاقتصادية ـ الانتاج القومي (HC) ، التاريخ الاقتصادي ـ الزراعة والصناعة (HD) النقل والمواصلات (HE) التجارة (بصورة عامة) (HF) ، المالية (HG) ، المالية العامة (HJ) ، علم الاجتماع (بصورة عامة ونظرية) (HM) ، التاريخ الاجتماعي والاصلاح الاجتماعي (HN) العائلة والزواج والبيت (HQ) ، الهيئات والجمعيات السرية والاندية (HS) ، المجتمعات والطبقات والاجناس (HT) ، الامراض الاجتماعية والاعمال الخيرية (HV) الاشتراكية والشيوعية (HX) .

J العلوم السياسية : الوثائق (j) ، الاعمال العامة (jA) ، العلوم السياسية ونظرية الدولة (JC) ، الاعمال العامة (JF) الولايات المتحدة (JK) ، امريكا البريطانية وامريكا اللاتينية (JL) ، أوروبا (JN) آسيا وافريقيا واستراليا وجزر المحيط الهادي (JQ) ، الحكومة المحلية (JS) المستعمرات والاستعمار (JV) ، القانون الدولي (JX) .

K القانون : الاقسام المعدة من هذا القسم الرئيسي حتى الآن هي : القانون بصورة عامة (K) قانون المملكة المتحدة وايرلندا (KD) ، قانون كندا (KE) ، قانون الولايات المتحدة (KF).

L التربية والتعليم : الأعمال العامة (L) ، تاريخ التربية (LA) نظرية وممارسة التعليم ،

والتدريس (LB) ، أشكال وعلاقات وتطبيقات خاصة (LC) ، الولايات المتحدة (LD) باقي امريكا (LE) ، أوروبا (LF) آسيا وافريقيا والاقيانوسيا (LG) مجلات الجامعات والكليات والمدارس (LH) ، جمعيات الكليات ومطبوعاتها (LJ) الكتب المدرسية (LT) .

M الموسيقى : الموسيقى (M) ، أدبيات الموسيقى (ML) تلقين وتدريس الموسيقى (MT) ،

N الفنون الجميلة : الفنون البصرية (N) الهندسة المعمارية (NA) النحت (NB) ، الرسم والتصميم (NC) ، الرسم الزيتي (ND) ، وسائل الطباعة (NE) الفنون التزيينية (NK) ، الفنون بصورة عامة (NX) .

•

P اللغات والاداب : علوم اللغة (P) ، اللغات والآداب الكلاسيكية (PA) ، اللغات الأوروبية الحديثة (PB-PH) ، اللغات والآداب الشرقية (PJ-POL) ، اللغات الامريكية والاصطناعية (PM) تاريخ الأداب والمجموعات (PN) الآداب الرومانسية (PQ) ، الادب الانجليزي (PR) الأدب الامريكي (PS) ، الآداب الجرمانية (PT) القصص وأدب الأطفال (PZ) .

Q العلوم : العلوم بصورة عامة (Q) ، الرياضيات (QA) ، الفلك (QB) ، الفيزياء (QC) ، الكيمياء (QD) الجيولوجيا (QE) ، التاريخ الطبيعي (QH) ، النبات (QK) الحيوان (QL) ، التشريح البشري (QM) الفسيولوجيا (QP) علم البكتريا (QR) .

R الطب : الطب بصورة عامة (R) ، الطب الحكومي والصحة العامة (RA) ، علم الامراض (RB) ممارسة الطب (RC) الجراحة (RD) ، طب العيون (RE) ، طب الاذن والانف والحنجرة (RF) الأمراض النسائية والتوليد (RG) ، طب الاطفال (RJ) طب الاسنان (RK) ، أمراض الجلد (RL) ، العلاجات (RM) الصيدلة (RS) ، التمريض (RT) المعالجات بالأعشاب (RV) ، المعالجة المثلية (RX) ، مدارس وفنون متنوعة (RX) .

S الزراعة : الزراعة بصورة عامة (S) ، زراعة النباتات (SB) التحريج (SD) ، تربية الحيوانات (SF) ، تربية وصيد الاسماك (SH) ، رياضة الصيد (SK) .

T التكنولوجيا : التكنولوجيا بصورة عامة (T) ، الهندسة بصورة عامة والهندسة المدنية (TA) ، الهندسة المائية (TC) الهندسة الصحية والبلدية (TD) ، الطرق والارصفة (TE) ، هندسة عمليات السكك الحديدية (TF) الجسور والاسطحة (TG) ، بناء الابنية (TH) الهندسة والآلات الميكانيكية (TJ) ، الهندسة والصناعات الكهربائية (TK) ، السيارات ، والدراجات ، والطائرات (TL) ، الصناعات التعدينية والتعدين والميتاليرجيا (TN) ،

التكنـولـوجيـا الكيميـائية (TP) ، التصوير (TR) ، الصناعات التحويلية (TS) ، الحرف (TT) العلوم المنزلية (TX) .

U العلوم العسكرية : العلوم العسكرية عامة (U) ، الجيوش التنظيم والتوزيع (UA) ، الادارة (UB) ، الصيـانـة والنقـل (UA) ، المشـاة (UD) ، الفـرسـان (UE) المـدفعيـة (UF) ، الهندسة العسكرية (UG) الخدمات الاخرى (UH) .

V **العلوم** البحـريـة (V) :.الاسـاطيـل ، التنظيم والتـوزيـع (VA) ، الادارة البحـرية (VB) ، الصيـانـة البحـريـة (VC) رجال الاسطول (VD) ، الجنود البحريون (VE) ، المعدات الحربية البحـريـة (VF) الخـدمـات الاخـرى للأسـاطيل (VG) . الابحار (VK) بناء السفن والهندسة البحرية (VM) .

Z البيليـوغـرافيا وعلم المكتبات : تاريخ الكتب وصناعتها (Z-4-8) الكتابة (Z 40-115) صناعة وتجـارة الكتب (Z 116-550) حقـوق الطبـع (Z 551-661) ، المكتبـات وعلم المكتبـات (Z 665-997) ، أسعار الكتب وفهارس الناشرين (0001-899Z) . البيليوغرافيا (Z 1001-8999)

* * *

سابعاً ـ نظام تصنيف كتر التوسعي

١ ـ مقدمة

ثمة رجل آخر غير ديوي له على المكتبة فضل كبير، ذلك هو المكتبي الاميركي شارلز كتر (١٨٣٧ ـ ١٩٠٣) وهو صاحب نظام كتر المشهور الذي اعطى فيه رموزاً لأسماء المؤلفين، فإلى جانب نظامه ذاك، أخرج كتر في عام ١٨٩١ تصنيفاً للكتب، محاولاً بذلك أن يجيب على ما وجه لديوي من نقد، واسمى تصنيفه هذا التصنيف المرن أو التوسعي أي الذي يسع كل ما يمكن أن يضاف إليه من جديد، ولعل صاحبنا كان يشعر أن تصنيفه ليس مرناً إلى الحد الذي يتصف به تصنيف ديوي، وكانت هذه الفكرة تلح على عقله الباطن حتى أنه اسمى تقسيمه كذلك.

٢ ـ المفاهيم الأساسية

كان التصنيف العشري بداية لا بد لها من تكملة، فقد انكب عليه المكتبيون يتدارسونه ووجد بعضهم ـ لسبب أو لآخر ـ ووفقاً لوجه نظر كل منهم عيوباً في الخطة فانتقده الكثيرون وحاول بعضهم ـ وفقاً لوجهة النقد التي ارتآها أن يؤسس نظماً جديدة فوجدنا كتر ـ وهو رفيق ديوي في الكفاح المكتبي ـ يضع التصنيف الواسع لكي يتلافى به العيوب العلمية في ديوي.

اعتمد كتر في وضع نظامه على الخبرة التي اكتسبها في تنظيم (١٧٠) ألف مجلد في مكتبة متحف مدينة بوسطن خلال المدة التي عمل فيها أميناً لهذه المكتبة من عام ١٨٦٨ ـ ١٨٩٣، واعتمد كتر في وضع نظامه على الاعتقاد الذي آمن به وهو حاجة المكتبات إلى نظام للتصنيف يتناسب مع عدد الكتب التي تحويها المكتبة على مر الزمن، وعلى هذا الأساس فإن نظامه يتكون من (٧) توسعات أو بالأخرى من (٧) أنظمة للتصنيف. فالمكتبة

الصغيرة تستخدم النظام الأول. وكلما زاد عدد كتبها استخدمت الأنظمة الأخرى الواحد تلو الآخر حتى تصل في استخدامها إلى النظام السابع الذي يناسب تصنيف الملايين من الكتب، ولهذا السبب دعى نظامه بالتصنيف التوسعي.

صدرت الأنظمة الستة الأولى خلال الأعوام ١٨٩١ ـ ١٨٩٣، وأما النظام السابع فقد ظهر منه (١٨) قسما خلال السنوات ١٨٩٦ ـ ١٩١١، ولكن كتر لم يكمل جداول هذا النظام عند وفاته عام ١٩٠٣ ولم يكمل الأصل الخاص بالتكنولوجيا وكان هذا من الأسباب الهامة في تعثر النظام وتجميده ومع ذلك فيمكن القول ان لهذا النظام تأثيرا مباشرا على نظام تصنيف مكتبة الكونجرس.

٣ ـ الجداول

يقسم كتر المعرفة في جداول سبعة منفصلة أولها جدول مختصر جدا وآخرها مفصل إلى أبعد حدود التفصيل. وكان كتر يقول ان المكتبة تمر في تطورها بمراحل سبعة من النمو، وان كل تقسيم من هذه التقسيمات السبعة يصلح للمكتبة إذن في طور من أطوارها الجديدة. وكان يظن أنه بذلك قد أكسب تقسيمه ميزة كبيرة ولكنه في الحقيقة قد زاد التقسيم تعقيداً ذلك لأن كل مكتبة تنمو من طور إلى طور خلال الأطوار السبعة التي ذكرها، وعليها أن تغير كل ترقيماتها حتى تتمشى مع ترقيم المرحلة الجديدة ولا يخفى ما في ذلك من جهد.

فإذا ما أتينا إلى ترقيم كتر وجدناه أصعب بكثير من ترقيم ديوي فلقد كان يدعي أن الترقيم مع استعمال الحروف الابجدية قد يصبح أقصر ولكن أجزاء التقسيم المختلفة حينما قسمت إلى ستة وعشرين فصلاً وهي عدد الحروف الأبجدية فقد الترقيم دلالته على العلاقة بين الفصل والقسم والباب وبالعكس.

ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نقرر أن كتر حينما قسم المعرفة إلى ستة وعشرين فصلاً لم يعد مقيداً بما تقيد به ديوي من حشر لفروع المعرفة كلها في عشرة أقسام واستطاع بذلك أن يصبح تقسيمه أكثر التقسيمات الحديثة إتباعاً للقواعد المنطقية للتقسيم.

وهذه هي الاصول في تصنيف كتر:

المراجع والمعارف العامة	A
الفلسفة والديانات	B-D

التاريخ ـ الجغرافيا ـ التراجم ـ الرحلات	E-G
العلوم الاجتماعية ـ العلوم السياسية	H-K
العلوم الطبيعية	L
علوم التاريخ الطبيعي	M-P
الفنون النافعة	Q-V
الفنون الجميلة	W
اللغات	X
الآداب	Y
علم مصادر الكتب وعلم المكتبات	Z

* * *

ثامناً ـ نظام تصنيف براون الموضوعي

١ ـ مقدمة

وضع هذا النظام المكتبي البريطاني (جيمس دف براون) ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ لكي يفي باحتياجات المكتبات البريطانية التي اهملها ديوي. عمل براون في مكتبة ميتشل في مدينة غلاسكو عام ١٨٧٨، وتعين عام ١٨٨٨، أميناً لمكتبة كلاركفويل العامة في ضواحي لندن. ويعزى اليه اعتماد نظام الرفوف المفتوحة في المكتبات. ودارت مجادلات ومناقشات في بريطانيا حول هذا النظام لأن الرفوف المغلقة كانت السائدة والمنتشرة واستدعى نظام الرفوف المفتوحة أن تكون الكتب مصنفة لمساعدة القراء على الوصول إلى ما يريدون. وتشجع براون إلى وضع نظام للتصنيف يكون بريطاني النشأة. ولم يكن معروفا في بريطانيا سوى نظام ديوي الاميركي. ووضع (التصنيف الموضوعي) وصدرت الطبعة الأولى عام ١٩٠٦، والطبعة الثانية عام ١٩١٤، وبعد تجربة استمرت ٢٦ عاماً ظهر النظام في الطبعة الثالثة الأخيرة عام ١٩٣٩ شاملة للتعديلات المقترحة من المكتبيين الذي استخدموا هذا النظام في تصنيف مقتنيات مكتباتهم.

يتكون النظام من (١١) أصلاً والرمز مختلط من الحروف والأرقام واستخدم الهجائية الكبيرة A-Z والأرقام ٠٠٠ ـ ٩٩٩ واستخدم العلامات في بعض الحالات مثل علامة الاضافة + فمثلاً: المنطق والبلاغة A300 + M 170 وخصائص هذا النظام أنه جمع نظريات الموضوع وتطبيقاته معاً، كما اعتمد نظرية المكان الواحد (أي مكان واحد في النظام للموضوع الواحد)، وهذه القاعدة كانت الثغرة الكبيرة في هذا النظام لأن معالجات الموضوع الواحد تنقله من مكان إلى آخر أو من أصل إلى آخر، فمثلا جمع الصوت والموسيقى في مكان واحد، مع أن الصوت موضوع فيزيائي علمي، والموسيقى موضوع فني. لقد استخدمت هذا النظام مكتبات صغيرة في بريطانيا عند ظهوره. ثم تحولت فيما بعد إلى نظام ديوي.

نشر هذا التصنيف لأول مرة في سنة ١٩٠٦ ، ونشرت الطبعة الثالثة والأخيرة منه (التي قام ج . د. ستيورات بتحريرها) في ١٩٣٩ . وقد زعم براون أن تصنيفه يمثل «طريقة بسيطة ، منطقية وعملية القدر المعقول ، للتصنيف في المكتبات ، والبريطانية منها بوجه خاص » . فإذا وضعنا هذه النقاط في اذهاننا فسوف تعد تقديما وتعريفا بالخصائص التي تتميز بها الخطة .

● - حاول براون أن يحقق البساطة عن طريق وضع كل مظاهر موضوع محسوس ما في مكان واحد ، على عكس ما نجده في التصنيف العشري من التوزيع الدقيق للمظاهر ، الذي قال عنه براون إنه محير . كما أن الكشاف ، بوصفه مصاحباً للخطة ومقترناً بها ، يهدف إلى أن يكون مفتاحا مباشرا لمواضع الموضوعات دون تعدد في المعاني (المداخل) ويزعم براون أنه بذلك يكون أفضل من الكشاف النسبي الدقيق المصاحب للتصنيف العشري .

● - حاول براون أن يحقق تسلسلاً منطقياً إلى حد ماوذلك عن طريق مراعاته لترتيب «التقدم العلمي» بقدر المستطاع ، مع تطبيقات تتبع أساسها النظري ، كما حقق ذلك عن طريق تركه للتجميعات التقليدية ووجوه الفصل المفتعلة أكثر منها علمية ؛ مثال ذلك الفصل بين العلم والتكنولوجيا أو بين الفنون الجميلة والتطبيقية .

● - اعتبر براون أن الخطة العملية هي التي تنشأ نتيجة لهذه الصفات (خطة بها مكان واحد لكل موضوع ، تجمع معاً الوجهتين النظرية والعملية) ويصاحبها كشاف بسيط . أما عن صلاحيتها للاحتياجات البريطانية فهي لا تزيد عن كونها تجنبت الميل لوجهة النظر الأمريكية وهذا الميل ميزة من ميزات التصنيف العشري ، كما أنها توفر قدراً لا بأس به من التفاصيل الجغرافية الخاصة بالجزر البريطانية في قسمي التاريخ والوصف .

وقد فشل التصنيف الموضوعي في أن يحل محل التصنيف العشري مع أنه يمتاز عليه بميزات معينة ، بالنسبة للمكتبات البريطانية على الأقل . وفي الوقت الحاضر ، يستعمله في بريطانيا ما يقرب من أربعين مكتبة . ومنذ فترة أخذت المكتبات التي تستعمل التصنيف الموضوعي تتحول عنه إلى التصنيف العشري ، ومع أن هذا الاتجاه يتم ببطء ، إلا أنه اتجاه جاد وثابت . وقد يرجع بعض هذا إلى الرغبة في اتباع الاتجاه العام السائد ؛ ولكن يضاف إلى ذلك الأخطاء القاتلة في الترتيب والتجميع في التصنيف الموضوعي ، علاوة على إخفاق القائمين بأمره في المحافظة على حداثته ومتابعة تفصيله وتوسيعه . فعلى مدى خمسين سنة لم يصدر منه إلا ثلاث طبعات فقط ، ولم تظهر فيما بين الطبعات أية خدمة أو تسهيل للمشتركين من مراجعة أو إضافات . ولا يبدو أن هناك مكتبات جديدة سوف تستعمل

التصنيف الموضوعي كما لايبدو أن أحدا من المكتبات الحالية سوف يتحول إليه.

٢ ـ المفاهيم الاساسية

١ ـ نظرية المكان الواحد

أشار براون إلى أن الكثرة من أقسام المعرفة وأجزائها الداخلية من الضخامة بحيث يستحيل الكشف عن النتاج الفكري الكامل لواحد من الموضوعات الخاصة في مكان واحد ثابت. «فكل موضوع قابل لأن يعامل من وجهات نظر متعددة، وكل واحدة من هذه قد تكون موضوعاً لقدر هائل من الانتاج الفكري .. . مثال ذلك موضوع الزهور فيمكن أن ينظر إليه من وجهات نظر علم النبات، زراعة الزهور، التاريخ، الجغرافيا، الزينة، الرمزية، الببليوجرافيا، الخ.

ويعتقد براون أن الزهور تمثل موضوعاً محسوساً، وأن وجهات النظر تمثل موضوعات عامة. هو يسأل الآن: هل الأفضل أن نجمع الانتاج الفكري حول موضوع محسوس (بما فيه المركبات مثل الببليوجرافية الخاصة بالزهور) في مكان مخصص (و«محلي» كما يسميه براون أيضاً) (مثل الزهور) أو توزيعه (الانتاج الفكري) في مكان أعم (مثال ذلك الببليوجرافيا).
ثم يجيب براون: إن اهتمام الدارس بالزهور في كل وجهات النظر هذا هو اهتمام ثابت، أما اهتمام الببليوجرافي فهو مجرد اهتمام عرضي؛ ولذلك «فينبغي أن يفضل الموضوع الثابت أو المحسوس على وجهة النظر الأعم أو الموضوع العرضي . وعلى ذلك فإن ببليوجرافية عن الزهور سوف تتفرع من الزهور، وليس من الببليوجرافيا. وكذلك توضع حدائق الزهور تحت الزهور وليس علم البساتين؛ عمارة المكتبات تحت علم المكتبات، وليس العمارة؛ اقتصاديات صناعة الفحم تحت استخراج الفحم وليس تحت الاقتصاد؛ كتاب عن شخصيات شيكسبير تحت سيرة شيكسبير (اعتبر الشخص هنا الشيء المحسوس).

والنتاج العملي لهذه الخاتمة أو الخلاصة التي انتهى براون إليها، هو أن قسم علم البساتين في التصنيف الموضوعي يفقد وجه النبات فيه، وأن قسم العمارة يفقد معظم وجه البناء فيه (ويوجد هنا بعض التناقض ـ مثال ذلك أن عمارة الحوانيت توضع تحت التجارة عامة بدلاً من تجارة الحوانيت L٨٥٤)؛ وأن الاقتصاد يفقد وجه الصناعة والعمل فيه وأن لتاريخ الأدبي يفقد وجه المؤلف فيه.

وهكذا فإن كل الأشياء المحسوسة (مثل الأشخاص، الفحم، الزهور، المكتبات)

تعطى مكانا واحدا فقط في الخطة. أما وجهات النظر التي تصف هذه الأشياء (وجهات النظر هي الأقسام «العامة» التي تمثل السياق الأوسع، أو المجموعة التي تعامل في نطاقها الأشياء، مثل علم البساتين، العمارة، الاقتصاد، الأدب، الخ (فتسجل على حدة (بالاضافة إلى مكانها من القوائم) في قائمة تجميعية «للأشكال، الجوانب، وجهات النظر، الصفات، الخ».

٢ ـ نظرية العلم والتطبيق

في التصنيف العشري والخطط الأخرى، يوجد شيء مثل الزهور أو الفحم في سياقات متعددة وليس في موضع واحد. أما في التصنيف الموضوعي فيوجد هذا الشيء في مكان أو موضع واحد، ويتقرر اختيار هذا الموضع وفقاً لمبدأ هو: وضع كل شيء ما أمكن ـ قريباً من الموضوع الذي يتخذه أساساً له. وعليه توضع الزهور تحت علم النبات، والمكتبات تحت علم المكتبات (في الببليوجرافيا)، والفحم تحت علم المعادن، والأشخاص تحت التراجم.

ومن نتائج المبدأ الأخير أن براون لا يأخذ «بالتقاليد، أوجه الفصل والجمع، التي هي مفتعلة أكثر منها علمية». مثال ذلك الفصل بين العلوم البحتة والتطبيقية، بين الفنون الجميلة والتطبيقية، بين العملات الجارية والمسكوكات الأثرية، بين العمارة والبناء، بين الحلل والأزياء.

٣ ـ الجداول

A	القسم العام	
B/D	العلم الطبيعي والتكنولوجيا	(المادة والطاقة)
E/F	علم الحياة	(الحياة)
G/H	الاثنولوجيا والطب	
I	علم الحياة الاقتصادي والفنون المنزلية	
J/K	الفلسفة والدين	(العقل)
L	علم الاجتماع وعلم السياسة	
M	اللغة والأدب	
N	الأشكال الأدبية	(التسجيل)

O/W	التاريخ والجغرافيا
X	التراجم

١ ـ عن هذا الترتيب قال براون أنه يعكس تسلسلا واسعا : المادة، الحياة، العقل، والتسجيـل. **ولم يعلق على هذا الترتيب أي أهمية وإنما زعم براون أنه يحقق «ترتيباً منطقياً أو** هو يحقق على أي حال ترتيباً حسب التقدم الـذي من أجله يمكن للعقول، قوية كانت أم ضعيفة أن تتقدم في تطورها».

هذا التصور ينشأ عنه ـ في الحقيقة ـ ترتيب معقول ومفيد، مشابه في أساسياته لذلك الـترتيب الـذي نجـده في التصنيف البيليـوجرافي، لكن الترتيب الداخلي في نطاق الأقسام مسألة لها شأن آخر.

٢ ـ فالترتيب في نطاق كل قسم ينبني على مبدأين على طول الخط :

(أ) مكـان واحـد للموضوعات المحسوسة؛ وتحت كل موضوع من هذه المحسوسات نجد الترتيب الذي تحدده القوائم التجميعية هو نفسه ترتيب القوائم الرئيسية (التي سحبت منها) و (ب) تطبيقات تتبع أساسها النظري.

الترتيب غير المفيد في التصنيف الموضوعي

● ـ هذا الضعف يرجـع أسـاسـاً إلى أن التصنيف المـوضـوعي أهمل «الاصطلاح» العلمي. وهذا الإصطلاح يعكس تخصص المعرفة وتقسيم العمل وهما صفتان أساسيتان في المجتمـع الحـديث تحددان إلى حد كبـير الإنتاج الفكري فيه . أما تصنيف براون فالترتيب فيـه ينبني على أن المحسـوس (مثـال ذلـك الـزهور أو الفحم) هو موضوع التخصص ـ وأن الشخص نفسـه سوف يدرس مثـلاً جيـولوجيا الفحم، وكيمياء الفحم، استخراج الفحم، التنظيم الاقتصـادي لصنـاعة الفحم، الخ. ولكن يندر أن يحدث هذا. فالتخصص الذي نجـده في الـتربية والتعليم كما نجده في التدريب، هو التخصص في الكيمياء، الجيولوجيا، تكنولوجيا استخراج المعادن، الاقتصاد، علم المكتبات، الخ. والخطط الباقية الأخرى مثل التصنيف العشري وتصنيف مكتبة الكونجرس تعكس هذا التخصص بصورته هذه، وهي تقـدم لنـا ترتيبـاً أكثـر فائدة من ترتيب براون. على أي حال، فإن براون قد تجنب كثيراً من **وجـوه الفصـل التقليـدية غير الضرورية، مثل ذلك الفصل بين العلم والتكنولوجيا، أو بين** الفنون الجميلة والتطبيقية.

● - يرجع هذا الترتيب غير المفيد أيضاً إلى اتباع براون لمبدأ أن التطبيق يتبع النظرية ثم مضى في تطبيق هذا المبدأ إلى غاياته القصوى. وبناء على هذا المبدأ يوضع تصنيف المكتبات تحت المنطق، وتوضع عمارة الكاتدرائيات تحت الدين، وخدمات النار تحت الجزء الخاص بالحرارة من علم الطبيعة. مثل هذا التجميع غير مرض ويشتت - في أغلب الأحيان - موضوعات وثيقة الصله؛ مثال ذلك أنه يضع اختيار الكتب تحت الببليوجرافيا، الفهرسة مع التكشيف والترتيب، التصنيف تحت المنطق، أي يفصلها عن علم المكتبات.

خطة المكان الواحد

من الواضح أن وجود خطة توفر مكاناً واحداً فقط لكل موضوع ثم تسحب هذا على موضوعات المعرفة جميعاً - أمر يكاد يكون مستحيلاً. فإن جمع مظاهر الموضوع الواحد معا يحرم الموضوعات الأخرى تلقائياً من بعض أقسامها. وعلى هذا فإن التصنيف الموضوعي هو خطة المكان الواحد بالنسبة للموضوعات «المحسوسة» فحسب.

* * *

تاسعاً ـ نظام تصنيف بليس الببليوغرافي

١ ـ مقدمة

كان بليس صاحب التصنيف الببليوجرافي من علماء التصنيف الذين تركوا أثراً كبيراً عليه وكان من أكثرهم كتابة عن مشكلات التصنيف بعامة وعن أساسيات تصنيفه الببليوجرافي خاصة وقد ترزت كتاباته القيمة حول مشكلات الترتيب العلمي لأقسام التصنيف وحول مشكلات الرمز.

وقد بدأ (بليس (١٨٧٠ ـ ١٩٥٥) يكتب عن مشكلات التصنيف وعن التصنيف الببليوجرافي في بداية هذا القرن وظل طيلة حياته يواصل جهوده بالكتابة والتأليف إلى أن أخرج لنا في النهاية التصنيف الببليوجرافي فيما بين سنوات ١٩٤٠ و١٩٥٢ و١٩٥٣ بعد أن مر بتطورات عديدة.

عمل براون مساعداً لأمين مكتبة كلية مدينة نيويورك عام ١٨٩١ وأصبح أمينا بالوكالة لهذه المكتبة عام ١٩١٧ وحاول عام ١٩١٨ أن يصبح أميناً أصيلاً ولكن جهوده باءت بالفشل، وتعين عام ١٩٢٨ أمين مكتبة مشارك، وأعفاه هذا المركز من الأعمال الروتينية، واستمر في هذا العمل حتى تقاعد عام ١٩٤٠.

وصدر الجزء الأول من النظام عام ١٩٤٠ ويحوي: المقدمة والأصول A-G، (الفلسفة، القانون، الرياضيات، العلوم الطبيعية) وصدر الجزء الثاني عام ١٩٤٧ ويشتمل على الأصول H-K: العلوم الانسانية، وصدر الجزء الثالث عام ١٩٥٣ ويحوي الأصول I-Z: (التاريخ والناس والأمم، الديانة، الأخلاق، اللغات والآداب، الببليوغرافيا والمكتبات) كما ظهر الجزء الرابع في هذا العام أيضاً وهو كشاف عام للنظام كله، وتأسست عام ١٩٦٧ في لندن (جمعية تصنيف بلس) برئاسة المكتبي البريطاني جاك ملز، مدرس موضوع التصنيف في كلية البولتكنيك في شمال لندن، وأصدرت هذه الجمعية عام ١٩٧٧ ثلاثة مجلدات من النظام تحوي المقدمة والجداول المساعدة والأصل J الخاص بالتربية

والتعليم والأصل P الخاص بالديانة، وأصدرت جمعية المكتبات المدرسية البر يطانية عام ١٩٦٧ نظام بلس المختصر.

لقد ظهر هذا النظام في الوقت الذي لم يستطع فيه أن ينافس الأنظمة التي سبقته في الظهور وعلى الأخص نظام ديوي ونظام التصنيف العشري العالمي، ونظام مكتبة الكونجرس، ولم يلق قبولاً من المكتبات العالمية والمكتبيين في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن مجموعة من المكتبات الأكاديمية والحكومية في بريطانيا ودول الكومنولث قد تبنته واستخدمته في تنظيم مجموعاتها، وذكر جاك ملز المتحمس لهذا النظام ان عدد هذه المكتبات كان حوالي الثمانين عام ١٩٧٢، ولكن ك. ج، بلا كويل أفاد في كتابه الصادر عام ١٩٧٨ بعنوان: (Classification and Indexing Practice) أن العدد السابق قد أخذ في التناقص بعد أن قررت مجموعة من المكتبات التخلي عن نظام بلس لصالح نظام ديوي أو نظام مكتبة الكونجرس، وأفاد بعض هذه المكتبات أن نظام بلس عاجز عن مواكبة التطورات الحديثة، ويقول بلاكويل ان من الصعب على نظام بلس ان ينافس الأنظمة التي سبقته خاصة وان اثنين منها: نظام ديوي ونظام مكتبة الكونجرس قد جرى شمولها في اشرطة الفهرسة المقروءة آليا.

والرمز لهذا النظام مختلط ويتكون من هجائية الأحرف الكبيرة A-Z ومن الأرقام،

مثال:

YA81 معاجم اللغة الانجليزية

التحليل: Y اللغة والأداب

YA اللغة الانجليزية

YA8 تدريس اللغة الانجليزية.

YA81 المعاجم.

صدر هذا النظام موجزاً في مجلة المكتبة عام ١٩١٠، وفي عام ١٩٢٢ بدأ بليس مناقشة شاملة عن مكان التصنيف الببليوغرافي في تنظيم المعرفة في المكتبات. وفي عام ١٩٢٩ نشر بعنوان «تنظيم المعرفة ونظام العلوم»، وقد نوقشت فيه المشكلة، بوجه عام، مع فحص مفصل بعنوان تنظيم المعرفة ونظام العلوم لمختلف التصانيف الفلسفية للمعرفة، التي نشأت في الغرب فيما يزيد على ألفي سنة منذ الإغريقيين القدماء. وخلص بليس إلى

أن ثمـة اصطـلاحـاً واسعـاً يمكن التعرف عليه منذ أن ظهر أول تصنيف فلسفي (المنطق، الطبيعـة، الأخـلاق) إلى أقسـام بيكـون التي تقـوم على ثلاث كليات للإنسان (الذاكرة، الخيـال والعقـل) ثم الأنظمـة الأكـبر التي وضعهـا فلاسفـة القرن التاسع عشر، ومن بينهم كونت، سبنسـر، وونـدت بوجـه خاص. ونشـر بليس في ١٩٣٣ The Organization of Knowledge in Lihraries الـذي تنـاول فيـه مشكـلات تصنيف المكتبات بتفصيل شديد كما درس بعض الخطط الرئيسية دراسة نقدية. وفي ١٩٣٥ نشر تقريراً موجزاً عن الخطة بعنوان A System of Bibliographic Classification. وسرعان ما راجع بليس هذه الطبعة وصدرت الطبعـة الثـانيـة ١٩٣٦. وربما لا زالت هذه الطبعـة أفضـل مجلد وحيد لدراسة التصنيف الببليوجرافي، فهو يعطينا بدقة كافية (في المقدمة) المبادىء الرئيسية التي يقوم عليها التصنيف والمشكـلات الـدائمـة في تصنيف الحقول الرئيسية للمعرفة؛ موجزاً للقوائم (إلى حرفين من الرمز)، القوائم الأربعة العامة المقننة وعدد من القوائم الهامة الخاصة (لتاريخ قطر ما، للغة والأدب الخاص بلغة من اللغات، الخ). وفيما بين ١٩٤٠ و ١٩٥٣ صدرت القوائم الكاملة.

وقد كان انتاجها في الأعم الأغلب من عمل بليس نفسه (حتى من الناحية الجسمية، إذ أن بليس بنفسـه قد كتب القـوائم على الآلـة الكـاتبـة ثم صدورت حينئـذ) بمسـاعـدة الاخصائيين في الموضوعات والمكتبيين المهتمين ولكن هذه المساعدة كانت في عدد محدود من الأقسـام وبـدرجـات متفـاوتـة. وإذا كانت هناك أخطاء فإنها قد توجد في أجزاء من المجلد الأخير (في الأقسام من Z-L) وهو أمر معروف.

وقـد لقى التصنيف الببليـوجرافي تجاهلاً شديداً في الولايات المتحدة الأمريكية ولكنه لقي بعض النجـاح في الكـومنـولت الـبر يطـاني وفي أمـاكن أخرى. ويستعمله حتى الآن حوالي ستـون مكتبـة، وهي أسـاساً مكتبات كليات وجامعات ومكتبات خاصة ومكتبات حكومية بوجه خاص.

٢ ـ المفاهيم الاساسية

لقيت الأس النظـريـة التي يقـوم عليهـا التصنيف الببليـوجرافي من الدقة والعناية في تكوينها ما لم تلقه واحدة من الخطط الأخرى. وربما كانت المبادىء الست التالية أهمها جميعاً وهي خاصة إلى حد ما بالتصنيف الببليوجرافي.

١ ـ الاصطلاح : كان التنظيم الهائل للفكر والتجارب هو الذي أنتج مانسميه المعرفة البشرية ولا يزال باستمرار يوسع فيها ويغذوها وقد أشار بليس إلى هذا اشارة مختصرة باعتباره الاصطلاح العلمي والتربوي، لأننا نجد أن هذا التنظيم يتأثر تأثراً مباشراً وتقنن نتائجه وذلك من خلال عمليات العلم (بمعناه الواسع) والتربية والتعليم. ويزعم بليس أن هذا النظام للمعرفة «يتصل اتصالاً وثيقاً بالنظام الثابت للطبيعة». ولفظ «الاصطلاح» في أبسط مفهوم له يعني الاتفاق النسبي فيما يتعلق بماهية الأقسام الكبيرة للمعرفة، مجالها والصلات الأساسية بينها. وقد استمد بليس جزءاً من حقائقه في هذه النقطة من الحقائق التاريخية الخاصة بأنظمة التصانيف الفلسفية.

ويزعم بليس أن الأهمية العملية لهذا الاصطلاح هو أنه كلما كان تصنيف المكتبات يعكسه بصورة أدق، كلما أدى هذا إلى ثباته، مرونته وفاعليته. ويأتي ثباته من أن «نظام الطبيعة» (العالم الخارجي كما يلاحظ في العلم) ثابت؛ وترجع مرونته إلى أن الطبيعة النسبية للاصطلاح تتيح للمصنف أن يرى أين تقع مجالات عدم الاتفاق ومن ثم يدرك في أي مكان من النظام ينبغي عليه أن يدبر تعديلات هامة يزودنا في مكانها بالبدائل؛ وتنشأ فاعليته من أن فاعلية التصنيف تعتمد إلى حد كبير على مدى تجميع الموضوعات المتصلة. وسوف يضمن لنا مراعاة الاصطلاح العلمي والتربوي مستوى عالياً من التجميع.

٢ ـ التفريع : ميز بليس نوعين من التفريع ينبغي على التصنيف أن يراعيهما.

(أ) تفرع الخاص من العام ـ أي أن هذا هو نفسه مبدأ تناقص المشمول الذي رسخ تكوينه.

(ب) التدرج عن طريق التخصص ـ يعني بليس بهذا الرأي الذي اعتنقه كثير من الفلاسفة وبخاصة الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت وهذا الرأي يقول باعتماد العلوم الخاصة على العلوم العامة وبتبعيتها لها. فالطبيعة تتناول الظواهر الأساسية ـ طبيعة المادة والطاقة ذاتها. والكيمياء تتناول المادة والطاقة على مستوى أعلى من هذا بعض الشيء ـ أي تتناولهما باعتبارهما مواد محسوسة في شكل منظم. ولشرح الحقائق التي تشتمل عليها الكيمياء، لا بد من الاستعانة بما توصل إليه علماء الطبيعة؛ فمثلاً: قدرة العناصر على التجمع يمكن شرحها على ضوء التركيب الذري لهذه العناصر. وتعد الكيمياء ـ بهذا المفهوم ـ أكثر تخصصاً من علم الطبيعة.

هذا المبدأ كما يزعم بليس أساس لعملية التصنيف ذاتها. وهذا المبدأ ذاته يحدد ترتيب الأقسام الكبيرة في التصنيف الببليوجرافي أكثر مما يحدده أي مبدأ آخر. «. . . كل علم من

العلوم هو في أحد المفاهيم علم فرد يتساوى مع أقرانه من العلوم في الرتبة، ومع هذا فهو في مفهـوم آخـر متفـرع من هذا العلم الـذي يعتمـد عليـه بصفـة رئيسيـة ويـدين له بالمفاهيم والمبادىء وهو العلم الذي اشتق منه بطريق التخصص».

٣ ـ **التجميع**: يعني به بليس مبدأ جعل الموضوعات وثيقة الصلة في وحدة مكانية. والتفريع والتـدرج يعيننـا على تحديـد تسلسل المجالات الموضوعية الواسعة أو الإطارات. وفي نطاق المـوضـوع يستعـان بمبدأ تناقص المشمول وطرق الترتيب المتنوعة في الاتجاه الأفقي لتحديد التسلسـل. ولكن يحتـاج إلى اتباع وتكملة هذه جميعاً مبدأ التساوي في الرتب. فاللغة مثلا هي الـواسطـة الكبـرى للاتصـال في العلوم الاجتماعية وهي وثيقة الصلة بالأدب الخيالي أو الآداب الجميلة في الـدراسـة والتعليم معـاً. وعلى هذا فإن بليس يجمـع هذه الموضوعات. كذلـك الـتربيـة هي العلم الاجتـماعي الـذي يتنـاول حفـظ ونقـل التجربة الاجتماعية في المجتمـع؛ وهي وثيقـة الصلة ـ من الـوجهـة العمليـة ـ بعلم النفس، هذا الجـزء من علم الأنثروبولوجيا الطبيعي (بمعناه الواسع) الذي يدرس العمليات العقلية عند الإنسان ولهذا يجمع بليس هذه الموضوعات.

ويعني التجميـع بصفـة عامـة الترابط بين الموضوعات المتساوية في الرتبة ولكنه يشير أيضاً إلى التفريع؛ مثال ذلك تفرع علم الاجتماع من علـم الأنثروبولوجيا والأخير من علم الحياة.

٤ ـ **نسبية الأقسام ونسبية التصنيف**: رأينا أن الاصطلاح نسبي فقط. وقد يرغب المكتبيون في أن يغـيروا من الـترتيب الـذي تكون بطريق الاصطلاح والتقليد، تبعاً لآرائهم المختلفة واحتيـاجـاتهم المتنـوعـة، خصوصاً في تصنيف يوضع لمجموعة خاصة. فإذا أريد للتصنيف العام أن يحقق غاية المنفعة، فينبغي أن يكون بالإمكان تعديل الترتيب المنطقي لكي يلائم المنفعـة والـراحـة العمليـة ولكي يستـوعب الآراء المختلفـة. وقد قام التصنيف الببليوجرافي بتوفير الأماكن والمعالجات البديلة بحيث لا تضارعه في ذلك خطة أخرى. هذا يعني أنه قد وفر الرمز بدقة وإحكام لتحريك ونقل موضوعات بعينها إلى أماكن أخرى، مثال ذلك نقل الميثولوجيا من قسم P الدين إلى قسم Aل فينتمي بهذا إلى الفلسفة؛ نقل التكنولوجيات مثل فن المـلاحـة الجـوية أو بناء السفن من الطبيعة التطبيقية إلى قسم الفنون التطبيقية؛ وتفريع القانون الدولي من علم السياسة أو من القانون؛ تغيير ترتيب تطبيق الخصائص في الأدب أو الفلسفة أو علم السياسة.

٥ ـ **الرمز**: يؤكد بليس هنا على ثلاث مبادىء بوجه خاص:

(أ) أن الرمز تابع للترتيب وثانوي بالنسبة له ـ أي أنه لا ينبغي أن يحدد الترتيب.

(ب) الاختصار صفة هامة لو أريد للرمز أن يظل بسيطاً إلى درجة معقولة. وقد ذهب بليس إلى أبعد من هذا حين قرر «حداً اقتصادرياً» لطول رقم التصنيف في تصنيف الكتب ـ ثلاث أو أربع عوامل. لكنه يسمح بالزيادة التي لا مفر منها وذلك في حالة «التخصيص ـ المركب» ـ أي عند تكوين الأرقام بطريق التركيب لأغراض التصنيف الدقيق.

(جـ) ينبغي أن يستعان «بالمبدأ التركيبي» للاقتصاد في طباعة وإخراج القوائم، وما ينتج عن ذلك من بساطة في البناء والراحة في الاستعمال. ويحقق بليس هذا بواسطة «القوائم المقننة» العامة والخاصة لأغراض التخصيص المركب.

٣ ـ الجداول ١

رأينا أن الترتيب الذي يسير عليه بليس في أقسام المعرفة الرئيسية الخمسين التي تتألف منها خطته يعكس مبادىء التفريع، التدرج والتجميع. ومهما قيل عن صحة النظريات التي يقوم عليها مبدأ التدرج، فالأمر الذي لا شك فيه أن ترتيب الأقسام الرئيسية الذي انعكس عن هذه المبادىء هو أفضل ترتيب في الخطط الست وأكثرها فاعلية. وقد كان الفهم المدعم للاستمرار في العلوم (أو «الانتقال التدريجي») إحاطة كل موضوع بالموضوعات ذات الصلة الوثيقة به؛ تجميع الموضوعات التي لا تجمع غالباً في الخطط الأخرى، رغم وضوح صلتها الوثيقة بعضها مع البعض الآخر (مثل تجميع لغة القطر مع أدبه، التكنولوجيات مع علومها، الطب مع علم النفس)؛ كل هذه المميزات كان نتيجة للعناية الفائقة التي أولاها بليس لمسألة ترتيب الأقسام الرئيسية. ان هذه الميزة لو تحققت، فسوف تكون ـ من الوجهة العملية ـ من المكاسب الضخمة الحقيقية التي تزيد من فاعلية الخطة. ذلك أن القراء سوف يجدون في سهولة ويسر وفي بساطة هذه الموضوعات مجمعة في مكان واحد، ولن يبحثوا عنها بحذر ودقة لكي يتصيدوها من أماكن عدة (أحياناً من أماكن عجيبة). فكثيراً ما يخفق القراء في إدراك العلاقات بين الموضوعات ولذلك فسوف يخطئون مواد موجودة بالفعل في المكتبة ويمكن أن تساعدهم إذا هم وجودها.

وفيما يلي نبذة عن هذه الأقسام الرئيسية توضح هذه العلاقات، ويلاحظ أن الرمز لا يعكس هذه العلاقات دائماً، ولكن من الأنسب أن نضيفه هنا إلى أسماء الأقسام.

1/9 القسم العام. المجموعات الخاصة.

A الفلسفة (دراسة الطبيعة المباشرة للعالم).

العلم العام، المنطق، الرياضيات، الإحصاء (العلوم التي هي «أداة» للمعرفة بكاملها).

B الطبيعة

C الكيمياء

D الفلك

علوم الأرض: الجيولوجيا، الجغرافيا، الطبيعية والعامة.

E علم الحياة (الحياة على الأرض)

F علم النبات

G علم الحيوان

H الإنسان (أي علم الأنثروبولوجيا)

الطب

I علم النفس

J التربية (التقنين الاجتماعي للعلم والتجربة)

K علم الاجتماع

العلوم الاجتماعية الخاصة (يدرس كل منها مظهراً خاصاً للحياة الاجتماعية).

الاثنولوجيا (أجناس الإنسان)

الجغرافيا البشرية (بيئة الانسان)

الوصف والرحلات

L/O التاريخ الاجتماعي - السياسي (الدراسة العامة التطويرية للمجتمعات)

P الدين والاخلاق

Q الرفاهية الاجتماعية، الأخلاق التطبيقية

R علم السياسة

S القانون

T الاقتصاد والتنظيم الصناعي

U الفنون التطبيقية، الصناعات، التجارات

V	الفنون الجميلة، علم اللغات
W/Y	الأدب واللغة.
Z	الببليوجرافيا

«الأقسام الرقمية السابقة» (أي أنها يعبر عنها بِالأرقام وتسبق الأقسام الأخرى،

مثل:

١	مجموعات حجرة القراءة.
١	دوائر المعارف العامة.
١١	القواميس، الكشافات، الخ.
٣	مجموعات مختارة، الكتب المعزولة
٤	الكتب الخاصة بالأقسام، المكتبة الفرعية.
٦	الدوريات
٧	متفرقات.
٧٨	التقاويم، كتب الحقائق السنوية.
VJ	كتب الشباب (الصغار) (أو٥، أو ٨، إذا كان الأمر يتطلب قسماً كاملاً).
VN	أوائل الكتب المطبوعة

***

عاشراً ـ نظام تصنيف الكولون لرانجاناثان

١ ـ مقدمة

وضعه عالم المكتبات الهندي شيالي رانجاناثان (١٨٩٢ ـ ١٩٧٢).

كان الاهتمام بالتصنيف حتى الربع الأول من هذا القرن محصوراً في بريطانيا وأمريكا ولكن هذا الاهتمام انتقل إلى الهند على يد رانجاناثان. ففي عام ١٩٢٤ عين المكتبي الأول بجامعة مدراس وفي نفس السنة سافر إلى بريطانيا لدراسة علم المكتبات ودراسة النظم المكتبية البريطانية، وعاد في السنة التالية وقد اقتنع بضرورة وضع أساس جديد لعلم المكتبات ووضع نظام جديد للتصنيف فقد وجد ديوي مشوها في كثير من المكتبات البريطانية فأدرك أنه لا بد أن لذلك سبباً جعل المكتبات تجمع على تعديله بصورة أو بأخرى.

وليس هنا مجال تفصيل آراء وأفكار رانجناثان والجديد الذي أحدثه في التفكير التصنيفي ولكننا نكتفي بالقول بأنه بعد دراسته لنظم التصنيف وقيامه بتدريسه في الهند قد اهتدى إلى وضع تصنيف الكولون (١٩٣٣) الذي طبع حتى الآن ست طبعات. والفكرتان الجديدتان أساساً هما: التحليل الوجهي، وضرورة جعل التصنيف تحليلياً وتركيبياً بصورة كلية، فقد أخذ مؤلفه البدايات التحليلية التركيبية في خطة ديوي وفي التصنيف العشري العالمي ووصل بها إلى نهايتها فجعلها أساساً لخطة الكولون وابتكر أو عدل كثيراً من الوسائل التي تعينه على تحقيق هذا الهدف بمرونة كاملة.

وقد اختلف النقاد في آرائه بين متحمس شديد الحماس ودافع لآرائه جملة وتفصيلاً ولكن الجميع متفقون على أن أفكار رانجاناثان جديرة بالدراسة وأنها أضافت لعلم التصنيف كثيراً من تيارات التجديد، وهؤلاء الذين يرفضونها يفعلون ذلك لا لنقد عميق داخلي ولكن لاختلافهم مع رانجاناثان حول طبيعة التصنيف أساساً. وقد تحمس كثير من الشباب البريطاني لهذه الآراء وكتبوا عنها الكثير ثم كان من نتيجة ذلك أن تأسست في

بريطانيا في ١٩٥٢ «جماعة البحث في التصنيف» وهي تضم خمس عشرة عضواً يجتمعون في فترات دوريـة منتظمـة للبحث في مشكـلات التصنيف. ومـع أن الجـماعـة تؤمن بأفكـار رانجـانـاثـات وتتـابعه في كثير منها إلا أنها قد أسهمت بدورها ـ وعن طريق كتاباتها الكثيرة القيمة في تأصيل البحث في التصنيف وهذه الجماعة قد أسهمت في توضيح أفكار رانجاناثان وهي تؤمن بضـرورة جعـل التصنيف التحليـلي الـتركيبي المميز الأوجه أساساً لجميع أنواع وطرق استرجاع المعلومات.

ومـن بين أعـضـاء الجـماعـة خمس يطـلق عليـهـم متكـاف المكتبي الاسـترالي «الـرانجـانـاثانيين» وهم: فيكري، فراداان، بالمر، ويلز، وملز، الذي ينتمي في تفكيره إلى المدرسة الحديثة في التصنيف. وقد كتب ملز الكثير من المقالات وله كتابان:

1- A Modern Outline of Library Classification.

2- Manual of Classification.

الأولى ترجمه الدكتور عبد الوهاب عبد السلام أبو النور تحت عنوان: نظم التصنيف الحـديثـة في المكتبات، اسسها النظرية وتطبيقاتها العملية. ولهذا الكتاب في التصنيف أهمية كبرى، إذ أنه يتناول كل جوانب التصنيف.

عم لرانجـانـاثـان أميناً لمكتبة.جامعة مدراس عام ١٩٥٤ وأجرى تجاربه في التصنيف على هذه المكتبة لمدة (٢١) عاماً. وكان يدرس موضوع التصنيف المقارن منذ عام ١٩٢٩ في مدرسة علم المكتبات بجامعة مدراس والجامعات الأخرى.

وضع نظامه معتمداً على الأوجه للموضوع ولذا يسمى (النظام ذو الأوجه). وحصر أوجه الموضوع في الأوجه الخمسة التالية:

الشخصية ـ المادة ـ الطاقة ـ المكان ـ الزمان. والشخصية مصطلح يعبر عن الخاصية التي تحدد مجال المعرفة كالمحاصيل في الزراعة.

أما المادة فهي المادة المصنوعة كالمعادن أو البلاستيك في التكنولوجيا.

أما الطاقة فتمثل تطبيق المجهود العضلي أو العقلي الذي يبذله الانسان؛ كالعمليات الهندسية.

هذا بينما ظهر كل من المكان والزمان كتفريعات جغرافية وزمنية.

وعلى الـرغم من صدور هذه الخطـة في عام ١٩٣٣ إلا أنهـا لم تعـرف خارج الهند إلا منذ وقت قريب. ولقد طبق رانجاناثان مبدأ «بليس» للتخصيص المركب في التقسيم الفعلي للخطـة. وكـانت النتيجة أن أصبحت الجداول تتكون أساساً من سلسلة من الجداول التي

يجب أن يركب منها الرمز عند تصنيف الموضوعات المخصصة. وليست هناك جداول كاملة للتفريع يمكن للمصنف أن يبحث فيها عن اسم الموضوع الذي يريد أن يصنفه. ويعتبر ظهور الجداول المطبوعة بهذا الشكل إلى حد ما غير مألوف بالنسبة للمكتبيين الذين تعودوا على الجداول السردية. ولقد ادى ذلك إلى توجيه النقد إلى تعقيد الخطة وصعوبتها. كما أنه يستحيل فعلاً التصنيف بواسطتها إلا بعد دراسة طريقة بنائها. ولكن (ملز) يرى انه بمجرد فهم القواعد الأساسية ومبدأ (الكولون) ولا يعتبر ذلك من الامور الصعبة، فإن الخطة تصبح سهلة التطبيق إلى حد بعيد. وربما كانت أسهل من خطة (بليس) نظراً لأنها اكثر منها منطقية واقل منها اعتماداً على رأي المصنف وقراره.

عمل رانجاناثان على بناء النظرية العامة لتصنيف المكتبات. وظهرت الطبعة الأولى للنظرية عام ١٩٣٧. وجرى اكمالها عند صدور الطبعة الثانية عام ١٩٣٩، ومنذ هذا الوقت تطورت النظرية مستقلة عن النظام اعتقاداً باعتماد هذه النظرية لأي نظام من أنظمة التصنيف. ومع ذلك فإن الطبعات اللاحقة للتصنيف التوضيحي (الكولون) استفادت من تطور النظرية وخاصة في تحسين الحقل المعرفي والحقل الرمزي. وصدرت الطبعة السادسة والأخيرة من النظام عام 1960. وكان محتملاً صدور الطبعة السابعة عام 1972 وهو العام الذي توفي فيه رانجاناثان. ويعتمد مستقبل النظام إلى حد كبير على تطور نظرية التصنيف. وهي نظرية في حالة ديناميكية مستمرة بسبب تطور الحقل المعرفي. وهو في حاجة استمرارية إلى الدراسة وتبادل الرأي حوله. وفي حاجة إلى هيئة أو مصدر يتولى الاشراف ويتحمل المسؤولية في اصدار طبعاته. وقد جرى استخدامه بنجاح في الحاسب الالكتروني.

٢ ـ المفاهيم الأساسية

ادرك رانجاناثان بعقليته الرياضية ان ديوي ـ كنموذج من نماذج التصانيف الحاصرة التقليدية ـ خطة جامدة، فرقم التصنيف ينمو في اتجاه واحد فقط، فإذا اردنا تخصيص عنصر جديد فالرقم لايسمح بذلك. فالمرونة في الرمز ـ وفي التصنيف الحاصر بصفة عامة ـ تكمن في جانب واحد هو الجانب الأيمن فقط، أي أنه يمكن تطويره من ناحية اليمين فقط. فإذا أردنا أن نقسم الموضوع تقسيماً آخر، فلن نجد هذا ممكناً.

ان بنية التصنيف العشري، وغيره من الخطط الحاصرة، لا تسمح باستيعاب اكثر

من خاصية واحدة، أي بعد واحد فقط. وهذا هو التصور الرئيسي في هذه الأنظمة.

ادرك رانجاناثان هذا التصور، وادرك أن نظام التصنيف لكي يكون مرناً فلا بد من ان يسمح باستيعاب العناصر المختلفة للموضوع المركب تلك التي نجمت عن اشتقاق المفردات نتيجة تطبيق اكثر من خاصية واحدة من داخل القسم الواحد - أي أن يكون التصنيف متعدد الابعاد وهذا لا يمكن إلا بتطبيق خصائص مختلفة داخل القسم الواحد، كل منها تشكل قائمة مستقلة من المفردات، تعبر عن عنصر من عناصر الموضوع.

وعند التصنيف العملي يحلل موضوع الوثيقة إلى عناصره، وتسحب رقم العنصر المناسب من القائمة المستقلة المناسبة، ثم يعاد تركيب هذه العناصر معاً لتكوين رقم التصنيف المركب للموضوع المركب.

بعد أن توصل رانجاناثان إلى هذه الحقيقة، كانت المشكلة أمامه هي كيف يركب اجزاء رقم التصنيف معاً: لا بد من علامة تفصل اجزاء الرقم، وعناصره عن بعضها وفي نفس الوقت تربطها معاً في رقم واحد بحيث يكون كل عنصر جزءاً مستقلاً وفي نفس الوقت مكوناً من مكونات رقم واحد.

وهنا وجد رانجاناثان الحل في النقطتين: علامة الوقف (الكولون) ولذلك اسمى تصنيفه الكولون نسبة إلى أهمية هذه العلامة في تصنيفه، لا كعلامة ولكن لما تمثله من فكرة جديدة: التحليل ثم التركيب.

واصبح هذا النوع من التصنيف يسمى التحليلي التركيبي لانه يعتمد على تحليل الموضوعات إلى العناصر المكونة لها، ثم تركيب هذه العناصر معاً في رقم واحد. ويسمى التصنيف المتعدد الابعاد لأنه لا يقتصر على بعد واحد أي على علاقة واحدة، وانما يمثل كل العناصر أو الأبعاد التي يتألف منها الموضوع المخصص وهو الذي يضم عناصر متشابكة متعددة. وهكذا قدم رانجاناثان هذا النوع من التصنيف كحل للمعضلة الفلسفية والمنطقية للتصنيف، وكحل لمشكلة تشابك المعرفة الحديثة التي يعالجها نظم استرجاع المعلومات وتقصر عن مواجهة متطلباتها فقدم رانجاناثان هذا التصنيف حلاً لهذا الوضع.

٣ - الجداول

فيما يلي ترتيب الأقسام الرئيسية:

a/z القسم العام.

١ ـ ٩ أوليات، مثل:
٢ علم المكتبات
٣ علم الكتاب
٤ الصحافة.

A	العلم
B	العلوم الرياضية (الحرف اليوناني (Beta)
B	الرياضيات
r	العلوم الطبيعية (الحرف اليوناني Gamma)
C	الطبيعة
D	الهندسة
E	الكيمياء
F	التكنولوجيا الكيميائية
G	علم الحياة
H	علم الجيولوجيا
N	استخراج المعادن (الحرف اليوناني Eta)
I	علم النبات.
J	الزراعة.
K	علم الحيوان
X	علم الاقتصاد الحيواني (الحرف اليوناني Lambda)
L	الطب
M	الفنون التطبيقية
M	الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (الحرف اليوناني Mu).
A	التجربة الروحية والتصوف (الحرف اليوناني Delta)
V	الانسانيات (الحرف اليوناني Nu).
N	الفنون الجميلة
O	الأدب
P	اللغات
Q	الدين

R	الفلسفة
S	علم النفس
w	العلوم الاجتماعية (الحرف اليوناني Sigma)
T	التربية
U	الجغرافيا
V	التاريخ
W	علم السياسة
X	علم الاقتصاد
Y	علم الاجتماع
Z	القانون.

يعتمد نظام الكولون على التركيب والتحليل، ويعتبر من أفضل الأنظمة في هذا المجال. والنظام لا يوفر جداول للموضوعات ومركباتها وانما يوفر مجموعة من الجداول.

والرمز في نظام رانجاناثان مختلط ويتكون من الأحرف الهجائية الكبيرة A-Z ، والأحرف الهجائية الصغيرة a-z ، والارقام وعلامات الترقيم، وخاصة علامة التوضيح؛ الكولون.

ويمكن ايراد المثال التالي:

الرمز ٣: ٦٨ T وتحليله كالتالي:

T	تربية
٦٨	المكفوفون
٦٨:٣	تعليم المكفوفين

* * *

الفصل الخامس

التصانيف الخاصة والعامة

أولاً ـ التصانيف الخاصة

١ ـ مقدمة

تضم انظمة التصنيف العامة المعرفة كلها بكامل أقسامها الموضوعية أو أشكالها الأدبية مهما كان شكل العرض أو نوع المادة المكتبية. إلا أن أنظمة التصنيف الخاصة تقتصر على مجال معين بدرجات متفاوتة. فهي مثلاً:

١ ـ قد تقتصر على موضوع معين.

٢ ـ قد تقتصر على ميدان يشمل عدداً محدداً من المواضيع.

٣ ـ قد تقتصر على شكل أو أشكال أدبية معينة.

٤ ـ قد تقتصر على شكل من أشكال المواد المكتبية.

٥ ـ قد تقتصر على على فئة معينة من القراء.

والعوامل التالية هي التي دعت الكثير من المصنفين إلى التفكير في بناء أنماط من هذه الأنظمة الخاصة:

١ ـ الحاجة إلى جمع كل مظاهر الموضوع معاً في الوقت الذي عجزت فيه الأنظمة العامة عن ذلك.

٢ ـ في جميع الانظمة العامة نقاط ضعف كثيرة خاصة في عملية بنائها. وقد كان لرانجاناثان الفضل الكبير في وضع الأسس المناسبة لتقييم أي نظام تصنيف عام خاصة من

حيث فشله في تطبيق مبدأ التركيب الوجهي والربط بين المواضيع المختلفة التي يتطلبها المتخصصون. كما أن أسس رانجاناثان نفسها سهلت على المصنفين عملية بناء الأنظمة الخاصة.

٣ ـ درجة التفصيل في الأنظمة العامة غير كافية في حالات كثيرة.

٤ ـ توزيع الرموز في الأنظمة العامة بين الأقسام الرئيسية وفي الفرعية توزيع غير عادل.

٥ ـ نظراً لضخامة حجم العمل اللازم لتحديث ومراجعة الأنظمة العامة، فإن هذا العمل يستغرق وقتاً طويلاً مما يؤثر على حداثة المعلومات فيها وعلى سرعة صدور الطبعات.

وقد ظهر نوعان من الأنظمة الخاصة هما:

١ ـ أنظمة استخدمت الأسلوب التقليدي الذي اتبع في الأنظمة العامة.

٢ ـ انظمة تصنيف خاصة تركيبية تحليلية. وتعرف هذه الأنظمة بأنظمة التصنيف ذي الأوجه وهي جداول لمصطلحات مقننة تستخدم في الوصف الموضوعي للمادة المكتبية. تجمع هذه المصطلحات أولاً في ميادين الموضوع المتجانسة. وضمن كل ميدان تقسم المصطلحات إلى مجموعات تعرف «بالأوجه». وتدرج الأوجه في الجداول حسب نظام محدد يكون عادة نفس الترتيب الذي تضم المصطلحات بموجبه لبناء المواضيع المركبة. وتحدد العلاقة بين المصطلحات بواسطة نظام الترتيب في الضم.

ويحتاج بناء مثل هذا النظام إلى الخطوات التالية:

١ ـ تفحص ادبيات ممثلة للموضوع للتعرف على الأقسام.
٢ ـ اختيار المصطلحات الدالة على الأقسام وتوزيعها بين الأوجه.

وقد تحتاج الأوجه إلى أوجه فرعية.

٣ ـ توزيع المصطلحات حسب الأوجه وترتيبها من العام إلى الخاص.
٤ ـ تحديد مكان كل وجه بحيث تكون العلاقة بينها واضحة.
٥ ـ اضافة رمز لكل قسم وفروعه.
٦ ـ اعداد كشاف هجائي.

٢ ـ اختيار خطة التصنيف

يواجه المكتبي المتخصص الذي يحتاج إلى تصنيف مجموعة مكتبته مشكلة على جانب كبير من الخطورة، إذ لايمكن تزكية أي خطة أو التوصية باستعمالها دون تحفظ ملحوظ. كذلك فإن وضع خطة جديدة يستنفد مجهوداً لايستهان به. وكل مايمكن أن نفعله هنا هو توضيح الخطوات التي يمكن للمكتبي أن يتبعها حتى يصل الى القرار السليم. وعليه قبل كل شيء. أن يقوم بإجراء استقصاء شامل للانتاج الفكري في الموضوع الذي تغطيه مجموعته، وذلك بالرجوع الى الأعمال الشاملة والموجزات الارشادية والببليوجرافيات والمستخلصات ومقالات الدوريات دون الاقتصار على رصيد المكتبة وحده، حتى يضع في حسابه احتمالات الاضافات والتطورات في المستقبل. ويجب أن يحدد المواد التي لن تصنف إذا كانت موجودة فعلا، كبراءات الاختراع التي تخضع لنظم تصنيف خاصة، وكذلك بعض أشكال المطبوعات الحكومية التي تعرف عادة بأرقام صدورها. وفي هذه الحالة يفضل ترتيبها حسب تسلسل هذه الأرقام. وكذلك المطبوعات الدورية هل ستعزل وترتب موضوعيا أم سترتب معا في سلسلة.

وعلى المكتبي بعد ذلك أن يقرر ما إذا كان سوف يتبع خطة موجودة فعلاً أم سيضع خطة جديدة والأساس في ذلك بالطبع هو مدى ملاءمة الخطط الموجودة لأغراض المكتبة. ولا زال عدد الموضوعات التي أعدت لها خطط تصنيف خاصة كاملة قليلا، إذن فسوف يكون على المكتبي أن يستعمل في أغلب الأحيان جزءا من خطة عامة. ولكي يكون اختياره سليما عليه أن يختبر جميع الخطط. وربما كان ذلك عملا يستنفد الجهد الطويل. وفي هذه الحالة سوف يلجأ إلى نوع من التقسيم المبدئي لهذه الخطط، فحالة التصنيف العشري الراهنة مثلا لاتجعله صالحا للاستعمال في أي مكتبة متخصصة بنجاح. وإذا قبلت المكتبة الاطار العام للتقسيم فإن التصنيف العشري العالمي يمكن أن يكون اختيارا لاغبار عليه نظرا لمرونته الزائدة وطريقته الفريدة في المراجعة واستيعاب كل جديد. وغالباً مايصبح الترقيم طويلا جدا. وفي هذه الحالة يمكن لتصنيف (بليس) الببليوجرافي أن يكون أفضل من غيره، لأن (بليس) يستفيد إلى حد بعيد من الترقيم المختصر، أضف إلى أنه يتيح الجمع بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية، وهي خاصية يفضلها الكثيرون كما تتيح (الأماكن البديلة) تجميعات صالحة للمكتبات التي تتناول نفس الموضوع من وجهات نظر مختلفة. وعلى الرغم مما لتصنيف (براون) الموضوعي من خصائص هامة إلا أنه لايستطيع

التخلص من نواحي القصور الرئيسية، وهي التجميع الضعيف والتطور غير الملائم. أما تصنيف مكتبة الكونغرس فإنه يضم جداول كاملة تماما للموضوعات الأمريكية بالذات من آداب وعلوم اجتماعية، إلا أنه لايقدم طريقة يمكن بواسطتها وضع الأرقام اللازمة للتصنيف الدقيق للمقالات العلمية. ولايقدم تصنيف الكولون مثل هذه الطريقة. وتعتبر هذه الخطة هي والتصنيف العشري العالمي هما الخطتان الوحيدتان اللتان يمكن لهما أن يلائما مشكلات التوثيق، وإذا كان التصنيف العشري العالمي هو الأكثر نضجا والأسهل استعمالا، فإن تصنيف الكولون أكثر عملية في بنائه، ويقدم طريقة يمكن تطبيقها بسهولة على أي مجموعة مهما كانت درجة تخصصها.

ويميل المكتبيون المخصصون عموماً إلى استعمال خطة التصنيف العشري العالمي أكثر من ميلهم إلى وضع خطط خاصة بهم. إلا أنهم قد تضطرهم الظروف في بعض الأحيان إلى ابتكار خطط جديدة. ولابد أن يتم ذلك على أساس منهج سليم. وهنا تظهر أهمية استقصاء الانتاج الفكري بوضوح، إذ لايمكن في الحقيقة الاقدام على هذه المهمة (وضع خطة التصنيف) دون الاعتماد على استقصاء الانتاج الفكري. إذ لايستطيع المكتبي أن يعرف الأقسام والتفريعات التي يتضمنها المجال، ومن هذا الاستقصاء سوف تتضح المرحلة الأولى من التقسيم الرئيسية للخطة ثم يجزأ بعد ذلك كل قسم على حدة. وتشتمل كثير من الكتب الدراسية التي تناولت موضوع التصنيف على كثير من قواعد التقسيم بهدف تحقيق التوحيد والثبات في ترتيب الأقسام الفرعية. وقد بنيت هذه القواعد على تصنيف منطقي وقد أوضحتها قواعد (سايرز) وإذا اتبعت هذه القواعد فسوف يكون التقسيم رصينا كما يمكن أيضا تجنب التصنيف المتداخل، أو وجود نفس الموضوع في مكانين. ويعتبر التحليل الوجهي لرانجاناثان دليلا على جانب كبير من الأهمية لاستعمال (خصائص التقسيم).

ولابد عند اعداد خطة للتصنيف التأكد من أن المصطلحات قد استعملت استعمالا صحيحا، وبشكل موحد. ويمكن التأكد من الصحة بسهولة بالرجوع إلى الموجزات الارشادية في الموضوع ودوائر المعارف وكذلك المعاجم المتخصصة، ثم الرجوع الى المتخصصين في الموضوع سواء كانوا من العاملين في المكتبة أو من المستفيدين منها. وربما كانت هذه الوسيلة الأخيرة هي المثلى، ذلك لأن المتخصص الموضوعي يشترك مع المكتبي في نفس الهدف وهو الوصول إلى الموضوع بأنسب الطرق. ولهذه النصيحة قيمة لاحد لها في جميع المراحل إلا أنه يجب أن يكون المكتبي حريصا على ألا يجعل ميزان الخطة يختل تبعا للنصائح السخية من أي جانب بالذات.

بقيت نقطة أخيرة لابد من ذكرها وهي أنه حتى في حالة ما اذا قرر المكتبي وضع خطة جديدة، فليس من الضروري أن يضع الخطة كاملة. إذ يجب على المكتبي عند اختباره للخطط المنشورة ألا يغفل الأجزاء التي يمكن استعارتها منها، فمثلا يمكن لاحدى المكتبات أن تستعمل الأقسام الخاصة بالتقسيم الجغرافي من تصنيف (براون) الموضوعي ويجب ألا تنتهي رغبته في الابتكار إلى تكرار لاطائل تحته لخطط موجودة فعلا.

ارتبطت مبادىء التحليل الوجهي بالتصنيف الخاص أكثر مما ارتبطت بالتصنيف العام. هناك خطة عامة وحيدة هي تصنيف الكولون تطبق مبادىء التحليل الوجهي، في حين انتجت جماعة البحث في التصنيف وحدها ما يزيد على عشرين من التصانيف الخاصة. ومعظم التصانيف الخاصة التي انتجها اعضاء جماعة البحث ان لم يكن كلها، هي تصانيف لمراكز معلومات أو مكتبات متخصصة أي لمواجهة حاجات معينة.

والحقيقة أن اخصائي المعلومات في المكتبة المتخصصة حينما تواجهه الحاجة الى البت في قضية اختيار نظام التصنيف الصالح لمكتبته يجد نفسه أمام عدد من الاختيارات:

١ ـ استعمال خطة تصنيف عامة كما هي.

٢ ـ استعمال خطة عامة بعد تعديلها.

٣ ـ استعمال خطة خاصة اعدت لمكان آخر كما هي.

٤ ـ استعمال خطة خاصة بعد تعديلها.

٥ ـ اعداد تصنيف خاص بتوافق مع احتياجات مكتبته.

● تتضمن استعمال خطة عامة المزايا الآتية:

١ ـ ان المجموعات الخاصة بمكتبة ما يندر أن تقتصر على موضوع واحد والمكتبات المتخصصة تضم مجموعات في موضوع رئيسي أو أساسي وتركز عليه، وهي المجموعة الرئيسية، ولكنها تضم أيضا مواد في موضوعات قريبة الصلة بهذا الموضوع وضرورية لاستكمال دراسته، وهي الموضوعات الجانبية أو الثانوية. وأحياناً تكون هذه الموضوعات الثانوية كثيرة لدرجة يجد معها أخصائي المعلومات أن عليه أن يقوم بإعداد تصنيف لعدد كبير من الموضوعات إلى جانب الموضوع الأصلي وقد يكون هذا حملاً كبيراً لا يستطيع تحمله. في حين أن الخطة العامة تعالج كل فروع المعرفة البشرية وتعفيه من هذ الحمل.

٢ـ إن اعداد نظام تصنيف ليس عملاً سهلاً، بل هو في الحقيقة من أشق الأعمال ولا يحسه إلا من مارسه بالفعل. وهو يحتاج إلى درجة عالية من القدرة العقلية لأنه يتناول تنظيم المعرفة في مجال ما. وإن تشابك العلاقات بين الموضوعات، وكثرة التفاصيل والحاجة

الى ترتيب البؤرات والأوجه وحصر المفردات، كل هذه الأعمال في الغاية من العمل الذهني وتحتاج إلى قدرات معينة. وليس كل مصنف قادراً على هذا العمل. ولذلك فقد يختار المصنف الحل السهل مهما تكن عيوبه ويهمل الحل الصعب مهما تكن مزاياه لأنه إذا قبل ركوب الصعب فسوف يورط نفسه في عمل شاق قد لايقدر عليه.

٣ ـ بعض الخطط العامة توفر شيئاً من التفاصيل مثل التصنيف العشري العالمي، وبعضها مثل الكولون يمكن من توفير التفاصيل عن طريق التركيب، الأمر الذي قد يحقق بعض ماترجوه المكتبات المتخصصة.

٤ ـ بعض المكتبات المتخصصة قد تتبنى خطة عامة رغبة في التوحيد حيث أنه يندر أن يوجد توحيد مع استعمال خطة متخصصة.

● اما تعديل خطة عامة فقد يكون أما بتوفير بعض التفاصيل في الأقسام لحاجة الموضوعات المتخصصة، وقد يكون بتغيير تسلسل الموضوعات بحيث تجمع معاً مظاهر الموضوع الواحد التي تجيء في القوائم العامة في أكثر من قسم. وهي بهذا تحقق بعض المزايا التي تفضل استعمال خطة عامة كما هي، ولكنها من جانب آخر تتطلب قدراً كبيراً من الجهد والعناية والحذر، ولابد أن يقوم بها اخصائيون متمرسون. فإذا لم تتوافر هذه الخصائص فقد يكون التعديل أضعف من التصنيف الذي اعتمد عليه.

● اما استعمال خطة متخصصة كما هي فهو يوفر الجهد والوقت. وهناك كثير من الخطط المتخصصة لموضوعات متعددة. ولكنها انتجت على الأساس الحاصر القديم، وهي تنطوي على كل عيوبه، ولذلك فهي لاتصلح للمكتبات المتخصصة بما تضمه من مجموعات تتضمن تشابكات في العلاقات.

● ويبقى الاختيار الأخير، وهو اعداد تصنيف متخصص، وهو أصعب الاختيارات وان يكن أفضلها. فإن اعداد تصنيف متخصص على الأسس الحديثة يعطى المكتبة فرصة تحقيق كل المزايا التي تتطلبها في تصنيفها والتي تتوافق مع احتياجات مجموعاتها وجمهورها، وتتطابق مع بنية المعرفة الحديثة ولكنها تتضمن عملاً شاقاً وتتطلب مقدرة معينة. ورغم ذلك فقد وجدت مكتبات كثيرة من الأسباب مايدفعها إلى تحمل هذه المسؤولية. ولعل أهم هذه الأسباب:

١ ـ أنه لاتوجد خطة عامة كافية. فهناك خمس خطط حاصرة، وهي لاتتوافق مع احتياجات المعرفة الحديثة. وتصنيف الكولون لم يصل بعد إلى درجة من التفضيل تتيح استعماله بكفاية.

أمـا التصنيف العشـري العـالمي فهـو ليس خطة تحليلية تركيبية كاملة، بل هو يعتمد على أسـاس حاصـر. ولـذلـك فهـو يتضمن قدراً كبـيراً من عيوب ديوي الأصلي، ولما كان يعتمـد على بنيـة حاصـرة أصـلًا، فإنـه عندما يحاول التركيب تطول أرقام التصنيف، لأنه لايركب معاً أرقام العناصر ولكن أرقام التصنيف الرئيسية، ولذا فهو يحمل الرمز بأرقام إضافية.

والخلاصة أنه لاتوجد خطة عامة مقبولة يمكن أن تعتمد عليها المكتبات المتخصصة، ولما كانت العيوب عيوباً في البنية، إذن فإن التعديل أيضا يتعذر لأنه يتطلب إعادة بناء الخطة وهو جهد يفوق بكثير اعداد تصنيف متخصص.

٢ ـ فضلًا عن العيوب في البنية والتي تجعل الخطط العامة غير صالحة لحاجات المكتبة المتخصصـة، فإن هذه الخطـط لاتـوفـر التفـاصيـل الـلازمة لأن هذه الخطط صممت على أساس الكتاب. والكتاب لايحتاج إلى تفاصيل دقيقة لأنه يتضمن موضوعات واسعة. ومن الطبيعي أن تختلف هذه عن المـوضـوعـات المتنـاهية في الدقة والصغر والتي تعالجها المقالات وتقارير الأبحاث.

٣ ـ هنـاك من النـاحية الوظيفية تعارضاً بين الحاجات العامة والمتخصصة. وحتى في نطـاق مكتبـة الكـونغـرس نفسهـا تشكـو بعض الأقسـام من أن تصنيف المكتبـة قد أهمل احتيـاجـاتها، لدرجة أن بعض الأقسام قد أعدت مجموعات خاصة بها ومفاتيح خاصة بها لم يقرر ها التنظيم العام للمكتبة.

٤ ـ ان تنظيم الخطـة العـامـة يختلف عن تنظيم الخطـة المتخصصـة. فالخطـة العامة تعـالـج المعـرفـة كلهـا بصـورة متساوية من جهة، وتنظر إليها نظرة شاملة من جهة أخرى. ومعنى الأمر الأول هو أن التفاصيل في الخطة العامة تتساوى في كل الموضوعات، بينما الخطة المتخصصـة تركـز على موضـوع واحـد بالـذات وتقتني مجمـوعـات كبيرة فيه، ومن ثم فإن حاجتها إلى التفاصيل تتزايد، خاصة مع تنوع المواد التي تقتنيها، وتركيزها على الأبحاث والدوريات.

أمـا الأمـر الثـاني فمعنـاه أن الخطـة العـامة تنظم الموضوعات على أساس المجالات الرئيسية للمعرفة، وهذا قد يقتضي توزيع مظاهر الموضوع الواحد في عدد من المجالات أو الأقسـام الـرئيسيـة فإن موضـوعـاً مثـل البترول ينظر إليه من عدد من الزوايا: الجيولوجيا، والاقتصاد، والتجارة، والتكرير، والتعدين... الخ. والذي توصل إليه علماء التصنيف هو أن كل جانب من هذه الجـوانب أقـرب صلة بعلمــه، وهـذا يحتم توزيـع هذه المظـاهـر لاتجميعهـا

في مكان واحد، فيما عدا براون الذي ذهب مذهباً مخالفاً لبقية العلماء. هذا بينما خطة التصنيف المتخصصة تعالج موضوع البترول وحده وتحتاج إلى تركيز وجمع مادته معاً. فإذا استعملت خطة عامة فسوف يحتاج الى استمداد ارقام المظاهر المتعددة من عدد من الأقسام، كل منها مختلف عن الآخر، وهذا يفتت وحدة الموضوع.

٥ ـ يقوم عدد كبير من المكتبات المتخصصة بخدمة مؤسسات مهمتها البحث، وهذا البحث يدور حول موضوعات جديدة، ويتوصل فيها إلى نتائج شبه يومية. هذه الموضوعات التي مازالت قيد البحث لايمكن أن توفر لها الخطط العامة التي تتعامل أساساً مع الموضوعات المستقرة، وتطبع على فترات متباعدة نسبياً. فمن المحتمل جداً ألا يكون لهذه الموضوعات التي يدور حولها البحث في المؤسسات الصناعية والبحثية وجود أصلاً في الخطط العامة.

فهل ينتظر العاملون في المكتبات المتخصصة حتى تصدر طبعة جديدة تتضمن التطورات التي يحتاجونها، أم يقومون هم أنفسهم بإجراء التعديلات الضرورية بصفة مؤقتة أم يصنفون مجموعاتهم انتظاراً للتعديلات التي تصدر فيما بعد عن محرري التصانيف الكاملة.

لكل الأسباب السابقة أخذت الخطط المتخصصة في الظهور، وسوف تستمر في الظهور في المستقبل لأنها تسد حاجة حقيقية للمكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات، وهي حاجة ليس هناك مايسدها من الأدوات الموجودة.

وهذا هو ماحدث بالنسبة لجماعة البحث في التصنيف، فقد كانوا يعملون في مراكز معلومات متخصصة، وواجهتهم مشكلة تصنيف مراكزهم ووجدوا أن الحل الأمثل هو اعداد تصانيف متخصصة على أساس مبادىء التحليل الوجهي.

٣ ـ التحليل الوجهي

العملية الرئيسية في التصنيف الخاص هي التحليل الوجهي وجوهرها هو التعرف على الأوجه المؤثرة في نطاق مجال موضوعي ما. وهذه الخطوة الرئيسية تكملها خطوات أخرى حتى تصل إلى اعداد قائمة متعددة الأوجه. فإذا ماتم ذلك فإنه من الضروري إضافة الرمز إلى هذه القائمة، ثم اختيارها. كما أنه من الضروري أعداد كشاف لها. ولابأس من كلمة سريعة عن كل خطوة من الخطوات.

١ ـ تحديد المجال الموضوعي :

الخطوة الأولى في عملية اعداد قائمة تصنيف متخصص لمجال موضوعي ، هي تحديد هذا المجال الموضوعي .

وهناك نوعان من التصنيف المتخصص :

أ ـ تصنيف الموضوع : أي اعداد تصنيف لموضوع واحد مثل الطب أو الهندسة .

ب ـ تصنيف الوثائق : أو مايسمى بالتصنيف التوثيقي أو التصنيف لأغراض التوثيق .

٢ ـ تكوين الأوجه :

أولى الخطوات في التحليل الوجهي، هوعملية التعرف على الأوجه المؤثرة في حقل موضوعي ما . والأوجه جمع وجه ، والوجه عبارة عن مجموع البؤرات الناتجة عن تطبيق خاصية ما من خصائص التقسيم، والبؤرة هي وحدة من الوحدات الناتجة عن هذا التطبيق .

مثال : لو فرضنا اننا نجري عملية التحليل الوجهي لموضوع مثل الأدب فإن عملية تكوين الأوجه هي معرفة الأوجه المؤثرة في هذا المجال وهي : اللغة ، ثم الشكل الأدبي ، والعصر، والمؤلف . ووجه اللغة يشتمل على كل اللغات ، واللغة تسمى بؤرة ووجه الشكل يشتمل على الأشكال السبعة المعروفة والشعر بؤرة في وجه الشكل .وعادة يكون عدد الأوجه محدوداً ، ولكنه قد يختلف من موضوع لآخر، ويمكن الاستعانة في ذلك بصيغة محددة للأوجه كتلك التي ابتكرها رانجاناثان والمعروفة باسم ش م ط ن ز والأوجه هي العناصر الرئيسية في دراسة الموضوع ، ولذلك فإن التعرف عليها عملية أساسية في التصنيف المتعدد الأوجه . وتوصلنا هذه العملية إلى عدد من القوائم المستقلة لكل منها عنوان أو رأس . ففي الأدب مثلا سوف يكون لدينا ثلاث قوائم مستقلة لثلاثة أوجه هي : اللغة ، والشكل والعصر. وتحت كل منها عدد من البؤرات يزيد أوينقص بحسب ماامكن الوصول اليه خلال هذه المرحلة .

٣ ـ حصر البؤرات :

بعد أن وصلنا إلى القوائم المستقلة التي سميناها الأوجه فمن الضروري أن نشبع هذه القوائم ، أن نحصر البؤرات التي يتألف منها كل وجه .

أما حصر البؤرات فهو عملية مستمرة ، إذ كلما تعرض التصنيف للاستعمال كلما وجد المرء بؤرات جديدة . ولايمكن ان يتم حصر البؤرات مرة واحدة عند بداية اعداد

التصنيف. وهنا تأتي أهمية دراسة مصادر الموضوع المقننة.

فمثلا لو درسنا كتاباً عن المذاهب الفقهية فسوف يتعذر أن يفلت مذهب منها. والكتب التي تعالج المسائل الفقهية في أي مذهب من المذاهب تحشد هذه المسائل بطريقة مبوبة مقننة: باب الطهارة باب الصلاة الخ . . . وهذا أقرب إلى طريقة التصنيف. ولذلك فمن الضروري أن نرجع إلى مثل هذه الكتب. وهكذا في العلوم الأخرى.

٤ ـ ترتيب البؤرات:

لو فرضنا مثلاً اننا نريد أن نرتب المواد في داخل وجه اللغة: لدينا ٢٥٠ لغة فكيف نرتبها أم هل نتركها دون ترتيب؟.

هناك أسس وضعتها مدارس التصنيف، وخاصة المدرسة الهندية لمثل هذا الترتيب في داخل الأوجه. ومن بين مبادىء الترتيب يبرز مبدأ الفئة المفضلة. فأول لغة جديرة بالاسبقية والتقديم هي اللغة المحلية؛ في الوطن العربي اللغة العربية، وفي بريطانيا اللغة الانكليزية، وفي فرنسا اللغة الفرنسية . . . وهكذا فإذا مافرغنا من اللغة الأولى نأتي إلى اللغات التالية. ولاشك أن مبدأ التجاور المكاني للموضوعات المتقاربة يمكن أن يعمل هنا فاللغات السامية أقرب إلى اللغة العربية، واللغات الاسلامية الأخرى مثل الاردبة وهكذا. حتى ننتهي من ترتيب اللغات كلها في كل جزء يكون هناك مبدأ يصلح للتطبيق.

٥ ـ ترتيب الأوجه:

لابد من وجود صيغة لترتيب الأوجه، ولكن كيف يتم اعداد هذه الصيغة؟، أو كيف يتم تحديد هذا الترتيب؟. كيف نعرف أن هذا الوجه أهم من ذاك؟، ولذلك يجب أن يسبقه، للإجابة على هذه الأسئلة لابد من دراسة مفصلة للموضوعات لمعرفة أهمية كل وجه في دراسة الموضوع ومن ثم يمكن أن يسبق.

فقد وجد من دراسة موضوع الأدب مثلاً أن الأرجح في دراسة الأدب هو أن الدارس يدرس ادب لغة معينة وليس كل الأشكال في كل لغة. وقد وجد بعد ذلك أن الدراسة في داخل اللغة تتجه إلى دراسة الشكل الأدبي الواحد، كالشعر أو القصة أو المسرحية ـ بجميع عصوره وليس كل الأشكال في عصر واحد.

وهكذا يمكن القول أن صيغة ترتيب الأوجه في الأدب يفضل أن تكون على النحو الآتي:

الأدب ـ اللغة ـ الشكل ـ العصر.

٦ ـ ترتيب القائمة :

معناها كيفية تسجيل القوائم المتعددة الأوجه ـ كيفية كتابتها في قائمة التصنيف . والذي أثار هذا التساؤل هو أن بعضاً من اعضاء جماعة البحث في التصنيف يرون أن الترتيب الذي وصلنا إليه في ترتيب الأوجه هو ترتيب أهمية ، وأن هذا الترتيب نفسه اصلح لترتيب القوائم حتى إذا رتبت المواد في الفهرس المصنف يجد الباحث أن أهم العناصر هو الذي يأتي في البداية .

وبعض العلماء ومنهم رانجاناثان في تصنيف الكولون يجعلون ترتيب القوائم عكس ترتيب الأوجه ، فهم يرون أن الترتيب السابق مع أنه ترتيب أهمية إلا أنه يسير وفق مبدأ الخاص والعام . أي عكس مبدأ آخر متأصل في تفكير الانسان . وهو مبدأ العام الخاص ولذلك فهم يقلبون الترتيب فيما يعرف بمبدأ القلب .

٧ ـ إضافة الرمز:

مبحث الرمز مبحث يحتاج إلى دراسة مفصلة طويلة اما إضافة الرمز فهي مجرد اضافة لأرقام التصنيف على موضوعات الخطة ، حتى يكون الرمز مساعداً للتصنيف على اداء عمله كما هو مفروض وليس عائقاً يعوقه ويسيء إليه .

٨ ـ اختبار القوائم :

لايمكن أن تصبح القوائم التي توصلنا إليها من خلال المراحل السابقة نهائية وكاملة إلا إذا عرضناها على عدد كاف وممثل من وحدات الانتاج الفكري .

* * *

ثانياً ـ التصانيف العامة.

١ ـ الأقسام الرئيسية

من المعلوم ان المعرفة شاملة لمواضيع رئيسية كثيرة نحتاج إلى تحديدها قبل تطبيق الخصائص في عملية تقسيم كل منها، ان مثل هذه المواضيع الرئيسية تسمى في تصنيف المكتبات الأقسام الرئيسية.

من الواضح أنه لكي نساير عملية التحليل الوجهي، فسوف يكون علينا أن نبحث عن عدد محدود من خصائص التقسيم، التي سوف يخرج عن تطبيقها على حقل المعرفة كله، عدد محدود من الأوجه الكبيرة، مع عدد كبير تابع من الأوجه الفرعية.

من بين النظم الستة التي تناولها ملز بالشرح في كتابه يتفق منها خمس ـ بدرجات متفاوتة ـ على طريقة تكوين الأقسام الرئيسية، ولا يشذ عنها إلا التصنيف الموضوعي.

إليك هذه الموضوعات: (أ) التنظيم الاقتصادي لصناعة البترول في بريطانيا، (ب) تكرير البترول، (ج) جيولوجيا البترول، (د) لوائح الأمن المتصلة بتخزين وتداول البترول، فكلها تحليل إلى موضوع البترول ولكن وجهة النظر ا الخاصة بكل منها تختلف عن الأخريات اختلافاً بيناً. تتناول (أ) التنظيم الاقتصادي للصناعة ـ من الذي يمتلكها، المال المستثمر فيها، صلاتها بمصادر المواد الخام، أسواقها، الخ. وتتناول (ب) المشكلات التكنيكية للكيمياء والهندسة حينما تستخدمان في تجهيز وصناعة البترول. وتتناول (ج) وجود البترول في حقول الزيت، نوع الطبقات الأرضية التي يوجد فيها، الخ. (د) تتناول الالتزامات التي يفرضها القانون كمقياس للأمن العام، والتي توجه أساساً إلى انتاج البترول وتوزيعه تجارياً.

وكل من وجهات النظر السابقة يمثل حقلاً من حقول التخصص ـ الأول خاص برجل الاقتصاد، والثاني يهم رجل الكيمياء الصناعية، والثالث يختص به الجيولوجي، والرابع هو

أقلها وضوحاً يخص المهندس الصناعي. ووجهة نظر الخطط الخمس أن حقل التخصص العام الذي ينتمي الموضوع اليه هو من وجهة نظر التصنيف أهم صفات الموضوع، وأما العلاقة بين الموضوعات الأربع السابقة وبين العنصر المشترك بينها وهو «البترول» فهي العلاقة الأقل. وعلى هذا فسوف يندرج كل واحد من هذه الموضوعات في الخطط الخمس تحت أقسام فصلت عن بعضها كثيراً هي: الاقتصاد، التكنولوجيا الكيميائية، الجيولوجيا، والأمن الصناعي على التوالي.

وأما الخطة السادسة ـ التصنيف الموضوعي ـ فطريقتها في معالجة هذه المشكلة مختلفة تمام الاختلاف: فقد اعتبر براون أن العنصر المشترك ـ البترول ـ هو العامل المحسوس، وأن موضوعات الاقتصاد التكنولوجيا، الأمن الصناعي، والجيولوجيا، هي عوامل «عامة» أو وجهات نظر عامة ينظر إلى العامل المحسوس من خلالها. وبذلك تجمع هذه الموضوعات معاً وتستخدم وجهات النظر كصفة ثانوية مميزة فحسب.

٢ ـ ترتيب الأقسام الرئيسية

لقد كتب الكثير وخاصة في بداية القرن الحالي عن مشكلة ترتيب الأقسام الرئيسية. ونتيجة للنجاح الهائل الذي أحرزته نظرية التطور في علم الحياة، فقد جرت محاولات للتعرف على «نظام الطبيعة» لأغراض تصنيف المكتبات يشبه في طريقته التصانيف الفلسفية. ولقد أنفق من الوقت على هذه المشكلة ما لم يعط بعضه لمشكلة أهم من هذه بكثير: أعني مشكلة التحليل الوجهي. ومع أنه قد أصبح من الشائع الآن أن ترتيب الأقسام الرئيسية لا يساوي في أهميته التحليل الوجهي الدقيق والمطرد. إلا أنه قد يكون من الغباء أن نتجاهل في نفس الوقت أن ثمة طرقاً أفضل من غيرها لترتيب الأقسام الرئيسية وبالتالي فهي أكثر من غيرها فاعلية.

ولقد أسهم بليس بأوفر نصيب في حل هذه المشكلة وجاء ترتيب الأقسام الرئيسية في خطته بدون شك أفضل منه في أي تصنيف آخر. وكان هذا نتيجة لاهتمامه بتفرع العلوم وتجميعها، وربما كان أيضاً، بفضل ملاحظته «للتدرج في التخصص». وان ربط الحقول

الموضوعية الكبيرة بطريقة مطردة ليعكس الهدف الرئيسي من التصنيف ـ وهو تجميع الموضوعات التي تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً.

يعرف بليس التجميع بأنه وضع الموضوعات التي تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً في تقارب دقيق في التسلسل المصنف. ويمكن أن يقال في الواقع أن التجميع مرادف للتصنيف حيث أن الهدف الكلي من التصنيف لا يعدو أن يكون هذا. فنحن نجمع المسرحية الانجليزية مع الشعر الانجليزي. الخ. وليس مع المسرحية الفرنسية أو المسرحية الألمانية، الخ. لأن الصلة أو التشابه مع اللغة المشتركة أعظم من الصلة التي ترجع إلى الشكل المشترك.

ليس أمامنا إلا أن نقبل ما قرره كل من انظمة التصنيف بالنسبة لتسمية الأقسام الرئيسية. اما اسس تجميع المواضيع داخل القسم الرئيسي الواحد فيجب اعتماد ارتباط المواضيع بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً من الناحية العملية مبدأ أساسياً لذلك. ولا بد للترتيب الناتج من أن يأخذ البدائل والأوجه المشتركة.

٣ ـ البدائل

لا يبدو أن ثمة تصنيفاً عاماً يقبل كل المكتبيين ترتيبه وتجميعه. «فالاصطلاح» أو الاتفاق العام على الصلات التي توجد بين الموضوعات والذي يزعم بليس أنه موجود ليس اتفاقاً مطلقاً بل هو اصطلاح نسبي وموقوت ـ ولذلك ينبغي أن يكون التصنيف العام قابلاً للتعديل بقدر الامكان لكي يستوعب الاحتياجات والآراء المختلفة. وهذا يتضمن مشكلتين:

(آ) الأماكن البديلة: ومعناها ببساطة تحريك أي قسم من مكانه إلى موضع آخر ـ مثل نقل اللاهوت في التصنيف الببليوجرافي لكي يجمع مع الفلسفة، ولا يتأثر التقسيم الداخلي للقسم الذي ينتقل بتحريكه وانما يستبدل جيرانه من الأقسام بجيران جدد وحسب.

(ب) المعاملة البديلة: ومعناها تغيير صيغة ترتيب الأوجه في الموضوع. كأن نسمح

بتقسيم الأدب وفقاً لهذه الصيغة: الأدب ـ اللغة ـ الشكل ـ العصر ـ المؤلف أو الأدب ـ اللغة العصر ـ المؤلف.

٤ ـ الأوجه المشتركة

حينما يتكرر ورود وجه ما تحت الموضوعات أو عدد منها، فمن الواضح أنه يصبح بامكاننا توحيد محتويات هذا الوجه، نجعله جامعاً لأكبر عدد ممكن من البؤرات وأن نكرر استخدامه. وهذه الطريقة اقتصادية فيما يتعلق بصناعة القوائم، ولها بالنسبة لمن يستعملون الخطة قيمة تذكرية إلى حد كبير ـ وهذه القيمة تتوفر تلقائياً في كل القوائم مميزة الأوجه لأنها جزء أساسي في بنائها. ومن هذه الأوجه المشتركة:

أ ـ وجه المكان: معظم الموضوعات يمكن أن تخصص باعتبارها محددة بمكان معين، مثل الفلسفة الألمانية، مكتبات فرنسا، تاريخ العلوم البريطانية، كذلك العلوم الاجتماعية يمكن أن تحدد بهذه الطريقة وعلى المستويات (ففي تصنيف الكونجرس أماكن للمنازل السكنية للنساء مقسمة بالقطر تبعاً للأبجدية)، ولكن الأرجح أن العلوم والتكنولوجيا لا تخصص بالمكان إلا على المستويات العامة فقط.

ب ـ وجه الزمان: هناك حاجة واضحة إلى طريقة ما لتخصيص العصور الزمنية في عدد ضخم من الموضوعات، وكل الخطط العامة فيما عدا تصنيف الكونغرس تدبر وجهاً عاماً. لكن صعوبات تدبير هذا الوجه أعظم منها في وجه الشكل ووجه المكان، لأن العصور الهامة تختلف اختلافاً شائعاً بين الموضوعات، فالعصور الأدبية تختلف عن عصور التاريخ السياسي، وفي الأخير لا يتفق فترات أو عصور التطور الاجتماعي والتكنيكي مع عهود الملوك أو غيرهم من الحكام. فحتى في نطاق هذه المجموعات سوف تتفاوت أهمية العصور الزمنية الخاصة بالأقسام الفرعية المتعددة، فمثلاً لن تكون عصور الأدب الانجليزي هي نفسها عصور الأدب الروسي.

جـ ـ وجه شكل تقديم الموضوع: بعد أن نقسم موضوعاً ما بواسطة الخصائص الموضوعية المختلفة. فسوف نجد أنه سوف يتبقى عدد كبير من الوحدات التي تحمل نفس رقم

التصنيف، رغم أنها تختلف اختلافاً بيناً في شكلها المادي، أو في طريقة ترتيبها للمعلومات، الخ. وبالتالي في الاستعمال الذي سوف تتعرض له. فقد تكون بمختارات من المقالات عن موضوع ما، أو أعمال جمعية علمية أو مهنية في الموضوع، أو دورية، أو قاموس، أو دائرة معارف في الموضوع، وهكذا. ويحال إلى هذه الأشكال في العادة على أنها أشكال تقديم الموضوع. والمفروض أن الموضوع يظل ثابتاً، مقالات في الاقتصاد، الاقتصادي (دورية)، دائرة معارف الاقتصاد السياسي ـ فكل هذه الأشكال محتواها الموضوعي هو موضوع الاقتصاد بوجه عام. وهي تختلف فقط في كيفية تقديم الموضوع.

د ـ القسم العام: كما أن وجه شكل تقديم الموضوع في أي موضوع مخصص يكون الأعمال العامة لذلك الموضوع ويصف هذه الأعمال بالشكل، فكذلك سوف يتألف شكل تقديم حقل المعرفة كله من كل المواد التي لا يقتصر محتواها الموضوعي على أي موضوع واحد ـ أي الأعمال العامة. وقد تكون هذه في أشكال مادية متنوعة، مثل الصحف، الدوريات، دوائر المعارف، مجموعات من مقالات متفرقة، الخ. وتكون هذه ما يطلق عليه عادة القسم العام.

هـ ـ هناك أوجه عامة أخرى واضحة، فاللغة التي كتب بها المطبوع رغم أن عدداً من الخطط يخصصها إلا أنه من الواضح أنها ليست وجه موضوع على الاطلاق، فهي أقرب إلى شكل خارجي، منها إلى موضوع، ومن النادر أن تستخدم خارج نطاق الأدب وبعض الأقسام الأخرى مثل الفلسفة والدين حيث تطبع نصوص العمل نفسه بعدة لغات.

٥ ـ الرمز

الرمز إضافة هامة لا بد منها إلى القوائم لكي يمكن العمل بها وهو مبحث من اهم مباحث نظرية التصنيف. ان الرمز تابع للتصنيف ووسيلة عملية من وسائله، فالتصنيف أساساً هو القوائم المقننة التي تضم الموضوعات أو عناصرها، وليس الرمز إلا وسيلة للترقيم تسهل عملية الوصول إلى الموضوعات.

الرمز عبارة عن نظام من العلامات التي تستخدم لترقيم الموضوعات.

ويتضمن نظام التصنيف جداول يحدد فيها التسلسل المرغوب للمواضيع المختلفة بحيث تكون مقسمة أولاً إلى أقسام رئيسية حسب التسلسل المختار لهذا النظام، وضمن كل قسم رئيسي تجمع المواضيع بحيث تكون المترابطة منها معا. إلاّ أن هذا التسلسل الناتج لا يمكن أن يؤدي وظيفته في تصنيف المكتبة إلاّ إذا أضفنا إليه عنصرا آخر ألا وهو المفتاح أو الرمز - وهذا الرمز ذو قيمة عددية معروفة - أي أنه ذو مكان في التسلسل. وهذه القيمة هي التي تمكن من ترتيب جداول التصنيف بصورة آلية.

وظائف الرمز:

١ - حفظ تسلسل المواضيع بصورة آلية وذلك بتخصيص رمز له قيمة عددية مقبولة لكل مصطلح. ويبرز هذا في استخدام الرمز في ترتيب الوثائق على الرفوف أو في مداخل الفهارس. فالرمز هنا وسيلة للترتيب.

ولا نتمكن وقد سجلنا رؤوس الموضوعات اللفظية في قوائم التصنيف أن نتداول هذه الرؤوس، لأن الألفاظ ليس لها قيمة ترتيبية يمكن التعرف عليها، فلو وضعنا هذه الرؤوس في القائمة أو على الرفوف أو في الفهرس المصنف فكيف يمكننا الوصول إلى أماكن أي رأس منها، أما إذا أضفنا إلى كل رأس رقماً معيناً له قيمة ترتيبية يمكن ادراكها بسرعة وسهولة لامكن الوصول إلى اماكن الموضوعات بسرعة في كل سجلات المكتبة، ولأمكن تحريك الوثائق من مكان لآخر وتداولها وعودتها إلى اماكنها. فهو إلى جانب أنه يصون تسلسل الموضوعات فهو وسيلة إيجاد موفرة للوقت والجهد.

٢ - التمكين من إعداد الكشاف الهجائي للموضوعات. فبوضع الرمز مقابل المصطلح المستخدم في الكشاف نستطيع الوصول إلى الموضوع في الجداول. كما أن الرمز هو وسيلة الربط بين الفهرس والوثائق على الرفوف.

٣ - عن طريق التركيب أو بناء الأرقام يتم الاقتصاد في بناء الجداول وفي تقليص حجمها المادي. وكمثال على ذلك يجري تفصيل المشكلات اللغوية التي تشترك فيها جميع اللغات تحت لغة واحدة فقط، ثم يضاف تحت كل لغة أخرى تعليمات تنص «صنف مثل لغة»...

دون حاجة إلى إعادة تفصيل المشكلات اللغوية نفسها تحت كل لغة. ولا يقتصر هذا الأمر على المواضيع في المواضيع الأساسية في الأقسام الرئيسية فقط، بل قد يطبق على الأقسام الفرعية للموضوع الواحد أيضاً، فمثلاً تطبق العصور الأدبية لأدب معين على العصور الخاصة بشكل أدبي من ذلك الأدب، كتطبيق العصور الأدبية للأدب العربي عامة على العصور الخاصة بالشعر العربي دون حاجة إلى إضافة تفصيلات العصور تحت الشعر، بل يكتفى بإضافة التعليمات «صنف مثل العصور الأدبية للأدب العربي».

٤ ـ توفير المجال للتذكر ـ وتعتمد وسائل التذكر في التصنيف على ما يلي:

أ) نظام ترتيب ثابت نتيجة لتكرار نفس التسلسل من الأقسام الفرعية في مواضيع متعددة.

ب) رمز يعكس هذا الترتيب الثابت، كأن يعكس الرمز نفسه فرع النحو في جميع اللغات دون أن يقتصر على لغة واحدة فقط.

جـ) وسائل تذكر حرفية، كأن يكون الرمز «وهو حرف في هذه الحالة» مجرد الحرف الأول من اسم الموضوع.

٥ ـ يساعد في إرشاد القراء إلى مقتنيات المكتبة.

٦ ـ قد يستخدم الرمز في عمليات الإعارة في بعض المكتبات.

صفات الرمز:

لكي يؤدي الرمز الوظائف السابقة ينبغي أن تتوافر فيه عدة صفات أهمها:

١ ـ على الرمز أن يعكس الترتيب في نظام التصنيف دون أن يكون له دور في إقرار هذا الترتيب. فالرمز تابع للتصنيف، وهو مجرد وسيلة تحفظ التسلسل المقنن للمواضيع. ولذا لا يجوز التفكير فيه إلّا بعد تقرير التسلسل.

٢ ـ ينبغي أن يكون الرمز بسيطاً بقدر الإمكان. وهذا يعني أنه:

أ ـ ينبغي أن يعكس الترتيب بوضوح وجلاء. والأرقام والحروف الهجائية في العديد من اللغات هي الرموز الوحيدة التي تعكس التسلسل بصورة آلية. فإذا استخدمت رموز أخرى فينبغي أن تعطى قيمة عددية نستطيع ملاحظتها بوضوح ودقة. إلّا أن علينا أن

نتفادى استخدام علامات أخرى إضافة إلى الأرقام والحروف كلما كان ذلك ممكنا، وإلا فيجب أن يقتصر الاستخدام على أقل عدد ممكن منها. وإذا استخدمت الحروف والأرقام معاً فلا بد من أن تبين القيمة العددية بينهما.

ب ـ ينبغي أن يكون الرمز سهل الكتابة واللفظ والتذكر. ونعني بسهولة الكتابة سهولة تمييز كل جزء من أجزاء الرمز، فلا يجوز أن نستخدم مثلاً رقما وحرفاً متشابهين في الكتابة أو أياً منهما مع علامة أخرى مشابهة، كأن نستخدم (٠) الصفر مع (.) النقطة في إشارات الترقيم، أو الحرف (O) بالانجليزية مع الرقم (٥). أما سهولة اللفظ فلا تتحق إذا استخدم رمز مختلط بصورة مبالغ فيها؛ كما أن استخدام الحروف الكبيرة والصغيرة (في اللغات اللاتينية) يعني أننا نستخدم حرفين مختلفين إلاّ أنهما يلفظان بنفس الصوت. وسهولة التذكر تعتمد على سهولة الكتابة واللفظ. فالقارىء يحتاج إلى أن يحمل في ذاكرته الرمز عند انتقاله من الفهرس إلى الرف أو من الكشاف الهجائي إلى الفهرس المصنف أو من الكشاف الهجائي لنظام التصنيف إلى الجداول دون أن يضطر في كل حالة إلى كتابة الرمز.

٣ ـ ينبغي أن يكون الرمز مختصراً بقدر الإمكان. ويعتمد هذا على الأمور التالية:

أ) طول الأساس أو الأصول. فالأصول في الرمز الذي يستخدم الأرقام ٠ ـ ٩ هي عشرة، وفي الذي يستخدم الحروف أ ـ ي هي ٢٨*. ومن الواضح أنه كلما كان الأساس طويلاً كانت أرقام التصنيف أميل إلى القصر. وهذا يعني أن الرمز المختلط (من الحروف والأرقام معاً) سوف يكون أقصر من الرمز المجرد (من الحروف أو الأرقام فقط).

ب) التوزيع ـ أي توزيع الرموز بين المواضيع والذي يجب أن يكون عادلاً أي على أساس عدد الأقسام الفرعية وفروع هذه الأقسام. وليس على أساس موقع المواضيع في سلم التسلسل. وهذا التوزيع لا علاقة له بعدد الكتب في الموضوع الواحد في المكتبة بل هو خاص بالأقسام والفروع في المواضيع. فللقرآن الكريم مثلاً رقم تصنيف واحد رغم أن هناك مئات من الطبعات والترجمات قد صدرت منه. والتوزيع السيء كثيراً ما يؤدي إلى طول أرقام التصنيف. والمواضيع المتطورة أو المستمرة النمو هي التي يجب أن تعطى مكاناً أوسع مما يعطى للمواضيع الثابتة نسبياً.

جـ) القدرة على أن يكون الرمز معبراً ـ أي أن يعكس درجات التفريع الموضوعي بحيث يظهر الأرقام للموضوعات المتناظرة متساوية في الدرجة، ويبدي أرقام الموضوعات المتفرعة من الأقسام متفرعة من تلك الأقسام التي تحويها. ولكن كلما كان الرمز معبراً كانت أرقامه أميل إلى الطول. أما إذا ألغينا هذه الميزة منه فسوف تكون لدينا حرية أكبر في توزيع

الرمز بحيث تصبح أرقام التصنيف الأكثر استعمالاً أقصر طولاً . كما أن هذه الصفة قد تؤدي إلى عدم استخدام رموز كثيرة في سبيل المحافظة على هذه الصفة . غير أنها تساعد القارىء على تتبع بناء التصنيف . ولكن هذه الصفة لايمكن أن تحقق إلاّ بإطالة أرقام التصنيف ، كما أنها مسألة المرونة بالغة التعقيد مما يجعل أمر التأكيد عليها غير ضروري في كثير من الحالات .

د) (درجة التركيب ـ أي أن يكون بالإمكان تركيب رقم تصنيف من رموز يخص كل منها عنصراً من عناصر الموضوع ، ومن ذلك إمكانية إضافة رموز المكان لرموز الموضوع لتدل على أن الوثيقة تتضمن معالجة للموضوع من وجهة نظر مكانية . والأرقام التي نحصل عليها بالاستفادة من هذه الصفة قد تؤدي إلى طولها إذا أردنا للتصنيف أن يكون تفصيلياً .

هـ) درجة التفصيل ـ كلما زادت درجة التفصيل كانت أرقام التصنيف أطول بطبيعة الحال .

و) المرونة ـ أي أن يعكس الرمز إمكانية استيعاب مواضيع جديدة ، وأن يوفر مجالاً للبدائل . فبالنسبة لاستيعاب المواضيع الجديدة علينا أن نتذكر أن بعض هذه المواضيع تتضمن مركبات تمزج معاً من عناصر موجودة في التصنيف أصلاً . وعملية الاستيعاب هذه ينبغي أن تكون ممكنة سواء في بداية أو نهاية أو وسط التسلسل القائم في التصنيف . ويمكن أن نميز بين نوعين من المرونة .

١ ـ المرونة في الاتجاه الرأسي .

٢ ـ المرونة في الاتجاه الافقي .

والأولى هي إمكانية تحديد أوجه الموضوع كلها في وقت واحد ، والقدرة على تحديد الأوجه الجديدة في مكانها الصحيح من التسلسل . وليس المطلوب هو إمكان تحديد التفريعات فحسب بل يجب أن يكون هذا التحديد في التسلسل الصحيح . أما الثانية فتخص المواضيع المتناظرة في الدرجة . وقد جرت محاولات عدة لزيادة المرونة في الاتجاه الأفقي :

١) الطريقة الثمانية ـ حيث لا يستخدم الرقم (٩) بمفرده على الإطلاق، بل يستخدم فقط كعلامة فاصلة بين كل تكرار ثماني على النحو التالي :

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ،

٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨

٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٨ , , .

وعند تحديد القيمة العددية للرقم أو موضعه نفترض حذف رقم (٩) من الاعتبار. ولكن من العسير أن نقول أن ١٩٢ تبدو متساوية في الدرجة مع ١٥ مثلاً.

٢) استخدام الرمز المئوي. فمثلاً يقسم الرقم ١، ١٤١ إلى: ١١١، ١٤١، ١١٢، ١٤١، ١١٣، ١٤١، ... أي أن يقسم من ١١ ـ ٩٩ بدلاً عن ١ ـ ٩.

٣) إطالة الأصل أو الأساس باستخدام أكثر من نوع واحد من الرموز في تسلسل واحد كاستعمال الحروف والأرقام معاً.

٤) الطريقة الهجائية.

٥) الطريقة الزمنية ـ أي استخدام التاريخ نفسه كجزء من رقم التصنيف.

٦) الطريقة الموضوعية ـ أي تقسيم الموضوع بواسطة نظام التصنيف بكامله، كأن يطلب النظام مثلاً تقسيم النقابات العمالية حسب النظام كله.

كما أن البدائل عنصر من عناصر المرونة. فبالنسبة للأماكن البديلة قد يتضمن النظام تعليمات تسمح بتصنيف التراجم مثلاً في قسم التراجم في النظام أو مع الموضوع أو حتى هجائياً حسب الأشخاص المترجم لهم. أما المعالجة البديلة فقد تكون عن طريق نص صريح بذلك في النظام أو بواسطة استعمال علامات مميزة كدلائل لبعض الأوجه.

وباختصار يمكن أن نقول عن المرونة بأنها اهم صفات الرمز، وعليها تتوقف فاعلية الرمز وما إذا كان سيكون وسيلة مساعدة للتصنيف أم سيكون مفسداً له. والمرونة تعتمد اعتماداً كبيراً على نوع الأساس المستخدم للترقيم، أي على ما إذا كنا سنستخدم الأعداد أو الحروف أو هما معاً، لأن سعة الأساس تزيد من مقدرة الرمز على استيعاب الموضوعات أي المرونة، كما أن سعة الأساس تؤدي إلى قصر أرقام التصنيف وهذه تؤثر في البساطة وهذه تؤثر في سهولة الكتابة والنطق والتذكر.

٦ ـ الكشاف الهجائي

بعد انجاز التسلسل المقنن لكل الأقسام التي يغطيها نظام التصنيف، وبعد إضافة الرمز إليه ليكون تسلسلاً آلياً، يبقى الجزء الأخير من النظام وهو الكشاف الموضوعي الهجائي. ووظائف هذا الكشاف هي:

١) القيام بدور دليل مفتاحي لأماكن المواضيع وذلك بأن يبين أسماء المواضيع

(مصطلحات أو مترادفات) في ترتيب هجائي مع بيان رقم التصنيف الخاص بكل اسم إزاءه.

٢) يوفر تصنيفاً مكملاً، وذلك أنه يجمع معاً كل مظاهر الموضوع الواحد وكل الموضوعات ذات العلاقة به والتي لم ترد معاً في الترتيب التسلسلي في جداول النظام.

٣) يساعد على الثبات حيث أنه يبين أين صنفت المواضيع بالفعل (وخاصة في حالة المواضيع المركبة).

والكشاف نوعان:

١) كشاف تحليلي ـ يبين فيه إزاء كل مصطلح أرقام التصنيف الخاصة بمظاهر الموضوع المختلفة التي وردت في التصنيف.

٢) كشاف محدد ـ يذكر مدخلاً واحداً لكل مصطلح.

ومن الضروري هنا التمييز بين الكشاف المطبوع الذي يشكل جزءاً من نظام التصنيف وبين الكشاف الذي تعده المكتبة لمجموعاتها الخاصة بها (وخاصة إذا كانت المكتبة تستخدم الفهرس المصنف). فالأول غير مقترن بأية مجموعة من الوثائق ولا يميز بين موضوع وآخر. أما الثاني فهو كشاف بالمواضيع الممثلة فعلاً في مقتنيات المكتبة مع السرعة التي يتطلبها العمل اليومي لا بد أن تكون هناك وسيلة تسهل وصول المصنف والقارىء إلى أماكن الموضوعات بسرعة. وهذا العمل يقوم به الكشاف.

ولتوضيح الوظيفة الثانية للكشاف نقول بأنه يجمع مظاهر الموضوع الواحد تلك التي وردت مشتتة في القوائم. فموضوع البترول مثلاً يمكن النظر إليه من وجهات متعددة:

اقتصاديات البترول
جيولوجيا البترول
التوزيع الجغرافي للبترول
استخراج البترول
تعديل البترول
تخزين البترول
الامن الصناعي للبترول
تجارة البترول ونقله.

وحتى لا يصعب على المصنف والقارىء الوصول إلى هذه المظاهر في القوائم، يعد الكشاف الهجائي بحيث يكمل عمل القوائم، فيرد موضوع البترول في الكشاف في مكانه

من الترتيب الهجائي وتحته في بعد آخر جميع مظاهره مرتبة هي الأخرى ترتيبا هجائيا، وأمام كل مظهر رقم التصنيف الذي يمثله في القوائم. وهذه الوظيفة، أي جمع كل مظاهر الموضوع الواحد وكل الموضوعات ذات العلاقة به معاً ـ يقوم بها الكشاف التحليلي.

٧ ـ اختبار خطة التصنيف

ينصح أمناء المكتبات باستعمال أحد أنظمة التصنيف المعترف بها عالميا، وعدم اللجوء إلى الطرق الشخصية وابتكار تصانيف جديدة للكتب بزعم أن طريقتهم أسهل استعمالاً وأيسر تطبيقاً.

إن مثل هذه الطرق الشخصية تبرهن على عدم كفايتها وقصورها، إن عاجلا أو آجلاً، أما أنظمة التصنيف الكبرى فهي ثمرة أخصائيين أمضوا العمر في دراسة فن التصنيف وتطبيقاته. وأمين المكتبة الذي يحاول ابتداع نظام تصنيف شخصي إنما يضيع وقته ووقت من سيخلفه على إدارة المكتبة. ذلك أن مثل هذه المكتبة سيعاد تصنيفها بعد فترة، طالت أم قصرت طبقاً لنظام تصنف عالمي معترف به.

ومهما يكن من شيء فهناك أربعة أسس يجدر بالمسؤولين عن المكتبة أن يأخذوها بعين الاعتبار عندما يريدون اختيار أحد التصانيف المعروفة ليطبقوها في تصنيف المواد المكتبية في مكتبتهم. وهذه الأسس هي:

١ ـ حجم الكتب وعددها: وهذا شيء أساسي. فالتصنيف الذي يختار لتصنيف المكتبات الكبرى والمكتبات الوطنية ومكتبات البحث يجب أن يختلف عن تصنيف تصنف بموجبه مكتبة مدرسية صغرى مثلاً.

٢ ـ مستقبل المكتبة:

وهذا عامل مهم جداً. فالمكتبة التي يُعرَف أن أمامها مستقبلاً واسعاً من النمو والتوسع والازدهار، بسبب وجودها في مكان آهل بالسكان، أو لتوقع افتتاح معهد علمي في جوارها أو جامعة... يجب أن يختار لها تصنيف يلائمها ويلائم توسعها في المستقبل القريب والبعيد.

٣ ـ عدد رواد المكتبة ومستواهم الثقافي:

وهذا أيضاً عامل حاسم في الموضوع، فتصنيف مكتبة جامعية مخصصة للبحث

والدرس والدراسات العليا وعدد طلابها كبير يجب أن يختلف بالضرورة، عن تصنيف مكتبة عامة في بلدة ريفية. وتصنيف مكتبة متخصصة يختلف بالضرورة عن تصنيف مكتبة مدرسة ابتدائية. .

٤ ـ سياسة المكتبة في الإعارة وتبنيها نظام الأرفف والمخازن المفتوحة أو المقفلة وما ماثل ذلك يؤثر في اختيار هذا التصنيف أو ذاك.

* * *

الفصل السادس

التصنيف العملي

أولاً ـ مقدمة :

يحتل التصنيف مركزاً هاماً بين العمليات الفنية التي تقوم بها المكتبات في سبيل تنظيم مجموعاتها وتقديم هذه المجموعات لجماهير القراء بوسائل سهلة ميسرة. وإذا كانت المكتبات في السنوات العشر أو العشرين الأخيرة قد قطعت شوطاً لا بأس به في مجال الآلات، حتى أضحت «الآلة» تدخل في العديد من الأعمال والإجراءات المكتبية التي كانت توكل فيما مضى للأذهان والأيدي البشرية العامة، كما هو الحال في الفهرسة والببليوجرافيا والاعارة والخدمة المرجعية وغيرها، فإن «الآلة» لم تستطع حتى يومنا هذا أن تقدم شيئاً ملحوظاً بالنسبة للتصنيف العملي، الأمر الذي يجعل الاعتماد على المصنف حقيقة ثابتة.

وبالرغم من منهجية التصنيف في نظرياته، فإن التصنيف العملي ليس علماً ثابتاً له أصوله الراسخة، بل هو فن يحتاج في حالات عديدة إلى ممارسة الأحكام الشخصية. ولقد قيل منذ زمن بعيد على لسان «ل. س. جاست» من أوائل علماء المكتبات، «أن تجد تصنيفاً مرضياً شيء... وأن تجد مصنفاً مرضياً فهذا شيء آخر»، والقليل من العاملين في المكتبات يمكنهم القيام بالتصنيف دون أن يكونوا قد تعلموا أصول التصنيف العملي. وأغلب هؤلاء ممن قضوا وقتاً طويلاً في التصنيف؛ وممن يتمتعون برجاحة العقل وحسن التصرف.

ولا يمكن مع ذلك أن يترك أمر تصنيف الكتب والمطبوعات لرجاحة عقل المصنفين أو يكتفى بالاعتماد على حسن تصرفهم، بل يتحتم أن تكون هناك أصول وقواعد عامة يسترشدون بها في عملهم، ويرجعون إليها كلما أحسوا بحاجتهم إلى ذلك. فالمصنف وإن مضى سنوات عديدة في ممارسة عمله يحتاج بين الوقت والآخر إلى ما ينشط ذاكرته ويساعده

على السير في الطريق الصحيح، هذا إذا ما وضعنا في الاعتبار أنه يعيش فترات طويلة بين الأرقام والرموز البسيطة حيناً والمعقدة المتشابكة في أغلب الأحيان.

وقد اهتم بالجانب العملي للتصنيف عدد من كبار المشتغلين بهذا العلم، وعلى رأسهم «مريل» و «برويك سايرز»، «مارجريت هيردمان». وتتفق كتابات هؤلاء وغيرهم على مجموعة من الأسس والقواعد العامة التي يتوجب على المصنف الأخذ بها. كما أن معظم خطط التصنيف الببليوجرافي، ومنها خطة التصنيف العشري، تزودنا ببعض النصائح والإرشادات حول استخدامها عملياً.

وفي ممارسة التصنيف الفعلي للكتب تقفز ثلاثة أسئلة: ما هو ـ بوجه خاص ـ موضوع الكتاب؟ أو غرضه؟ أو اهتمامه الرئيسي؟، هل وضعت كتب مشابهة أخرى في المكتبة، وإذا كان هذا قد حدث ففي أي قسم؟ وأي قسم سوف يذهب إليه هذا الكتاب؟ وما هي علامات التصنيف التي سوف تعطى له؟

و«موضوع» الكتاب ليس بسيطاً دائماً، وليس مقصوراً على خط واحد لا يحيد عنه، فقد لا يتناول الكتاب مظهراً واحداً من مظاهر المعرفة فحسب، أو قد لا يعنى الكتاب برأي خاص تجاه ذلك المظهر فحسب بل قد يقوم «الشكل» الذي قدم عليه الكتاب مما يستحق النظر.

ويمكن ان يقسم فن تصنيف الكتب إلى جزئين ـ مع أن هذين القسمين ليسا، مانعين فيما بينهما، ولكنهما يتداخلان إلى حد ما..

فالجزء الأول ـ كما يلاحظ مما سبق ـ هو كيفية تقدير موضوع الكتاب، وهذا العمل في منتهى الاهمية، وهو صعب دائماً. فهو اختبار لتجربة الدارس وقراءاته العامة وخلفيته التعليمية. فإذا ما أمكن تحديد موضوع الكتاب، فإن الجزء الثاني هو كيفية ايجاد المكان المناسب في خطة التصنيف، والجزء الثاني أسهل عادة من الجزء الأول. وكثيراً ما يتسبب عن النقص في المعارف العامة، وما ينتج عنه من عدم القدرة على تحديد الموضوع ـ أخطاء في التصنيف أكثر من تلك التي تنجم عن الجهل الفني بقوائم التصنيف.

ولنأخذ مثالاً بسيطاً ـ فقد اخفق كثير من الدارسين (في امتحانات جمعية المكتبات البريطانية) في أن يضعوا الكتاب التالي في الوضع الصحيح: (النقابات العامة في بريطانيا العظمى)، ولم يكن هذا راجعاً إلى عدم قدرتهم على استعمال التصنيف العشري، ولكن إلى جهلهم بماهية النقابة العامة وكيف تختلف عن النقابة المحلية.

يجب أن نميز ـ إذن ـ بين معنى كلمتين هما «الموضوع» و «الشكل» ـ في الأولى نقصد

المـادة التي يتنـاولهـا الكتاب مثل «الكيمياء» أو «الموسيقى»، وفي الثانية نقصد القالب الذي وضعت فيـه تلك المـادة كأن يكـون «رسـالـة» أو «تـاريخ» أو «دائرة المعارف» أو «مقالة» عن الموسيقى والتصنيف طبقاً لنظام ديوي يكون بحسب الموضوع إلا في حالتين اثنتين:

١ ـ المؤلفـات العـامـة «٠٠٠ إلى ٠٩٩» فهـذه تصنف طبقـا للشكـل «قـاموس أو مجموعة مقالات أو دائرة معارف» لا طبقاً للموضوع، لأنها لا تبحث في موضوع معين وانما تبحث في موضوعات متعددة.

٢ ـ آداب اللغة «٨٠٠ إلى ٨٨٩» فكلها تصنف طبقاً للشكل «شعر أو قصة أو مسرحية .. الخ» لا طبقاً للموضوع، لأننا لا ننظر في موضوع القصيدة ولكننا نكتفي بالتصنيف بالشكل لأنه هو الغرض في الآداب.

وفيما عدا ذلك فإن التصنيف يكون بحسب الموضوع.

صنف الكتـاب حسب موضـوعـه أولاً، ثم حسب الشكل الذي وضعت فيه مادته، ولتـلاحـظ ان كتـاباً في تاريخ الموسيقى هو كتاب موسيقى وليس كتاب تاريخ، لأن الموسيقى هي مادة الكتـاب ولكن المؤلف عالـج المـوضوع من الناحية التاريخية ـ كذلك الحال بالنسبة لكتـاب في فلسفـة الـدين. فالـدين هو مادة الكتـاب، والفلسفة الشكل الذي وضعت فيه المادة، فيجب اذن تصنيفه في رتبة «الدين» وسنجد بين فروع هذا القسم في خطة التصنيف قسماً مخصصاً للدين من وجهة النظر الفلسفية وهو ما يعبر عنه بالأقسام الشكلية.

***

ثانياً ـ قواعد التصنيف العملي :

١ ـ ضع الكتاب حيث يتحقق من وضعه اعظم الفائدة، المقصود بهذه القاعدة أن يوضع الكتاب في المكان الذي يتوقع المصنف أن يلجأ إليه أكبر عدد ممكن من القراء لاستعماله. وهنا يبرز السؤال التالي: أعظم الفائدة لمن؟ للقارىء العام؟ للطالب؟ لغير القارىء المستديم التي نريد اجتذابه إلى المكتبة؟ نتيجة لذلك تختلف المكتبات فيما بينها حول مسئولية المصنف تجاه معرفة أين يكون الكتاب ذا فائدة قصوى للرواد الذين يستخدمون مكتبته فلا جدال أن كتاب «موجز تاريخ العالم» لن تكون له فائدة أكبر من وضعه تحت تاريخ العالم، ولكن المشكلة تظهر عندما تصنف مثلاً كتاباً عن «نحل العسل». . هل وجوده مع بقية الكتب عن «الحشرات» أنفع، أم مع الكتب الأخرى عن «تربية النحل»؟ أو كتاب «الدكتاتوريون»، قديماً وحديثاً هل نفعه أكثر تحت «تاريخ العالم» أم «السياسة» أو التراجم»؟ لذلك يتوجب على المصنف أن يضع في اعتباره طبيعة رواد مكتبته وميولهم. كما ينبغي أن ينبني قراره على معرفة تامة بأهداف مكتبته، وهو الأمر الذي يكتسب بخبرة المصنف الشخصية وليس بوضع قاعدة معينة يمكن اتباعها هنا.

إذن، المبدأ الأساسي في التصنيف هو أن الكتاب يوضع حيث يكون وجوده انفع للقارىء الذي يقصد المكتبة للبحث عن موضوع معين.

٢ ـ صنف بالموضوع أولاً ثم بالشكل، فيما عدا الموضوعات الشكلية حيث يصبح الشكل هو الأساس.

يعتبر الموضوع دائماً أساساً لتصنيف أي كتاب. لهذا يعطى الكتاب الرمز الدال على الموضوع أولاً ثم يتبع بالرمز الدال على شكل الكتاب، أما في حالات الأدلة العامة ودوائر المعارف العامة وغيرها فتصنف تحت الشكل بصرف النظر عن الموضوع. وهناك في جميع خطط التصنيف أماكن مخصصة لمثل هذه الموضوعات الشكلية.

٣ ـ صنف الكتاب تحت الرأس المحدد الذي يشتمل على هذا النوع من الكتب، يقصد بهذه القاعدة إعطاء الكتاب رمزاً يعبر بدقة عن درجة الاختصاص سواء من حيث اتساع

التغطية أو عمقها. مثال ذلك إن كان على المصنف أن يصنف كتاباً عن «كرة القدم» فيجب عليه أن يضع الكتاب مع بقية كتب «كرة القدم» وليس تحت الموضوع العام «ألعاب الكرة»، وليس بالطبع تحت الموضوع الأكثر شمولاً «الرياضة».

٤ ـ عندما يعالج الكتاب موضوعين، صنفه تحت الموضوع الرئيسي، فإذا تعذر الأمر، صنفه تحت الموضوع الأول. هذه القاعدة تعني أن يضع المصنف في اعتباره عدد الصفحات التي كتبت في كلا الموضوعين، فإذا تبين له أن أحد الموضوعين يشغل الجزء الأكبر من الكتاب وضعه تحت ذلك الموضوع؛ أما إذا تساوى الموضوعان في القدر، فإن تصنيف مثل هذا الكتاب يخضع للموضوع الذي يعالجه الكتاب أولاً.

وبقول آخر:

إذا كان الكتاب يعالج اثنين من الموضوعات، صنفه تحت الأول، إلا إذا كان الثاني أهم من الاول، فالأفضل أن يصنف تحت الثاني. صنف الكتاب دائماً تحت الموضوع الأول، إلا إذا كان ثمة سبب قوي لوضعه تحت الموضوع الثاني، وإذا كان الكتاب يعالج موضوعين متتابعين، وتبقى الصلة ببعضهما، ضع الكتاب بصفة عامة تحت الأول، على اعتبار انه يشمل الثاني، إلا إذا كان من الواضح أن الثاني أهم.

٥ ـ إذا كان الكتاب يتناول ثلاثة أقسام من موضوع عام، فصنفه تبع القسم الأغلب. وإذا تعذر عليك ترجيح الأغلب فانسبه إلى الأول ـ وإذا كان الكتاب يتناول أكثر من ثلاثة أقسام فصنفه تبعاً للأشمل من تلك الأقسام وأكثرها تعميماً، فمثلاً إذا كان هناك كتاب يقارن بين ثلاثة فروع من فروع العلوم الاجتماعية مثل الاقتصاد والقانون والسياسة، فصنفه في أي الثلاثة تراه أغلب، وإذا تساوت فصنفه في الأول وهو الاقتصاد، وعندما يعالج الكتاب بالتساوي ثلاثة موضوعات أو أكثر، صنفه تحت الموضوع الأكبر الذي يشملها جميعاً.

مثال ذلك كتاب يعالج «الحرارة» و«الضوء» و«الصوت» و«الميكانيكا»، فينبغي وضعه تحت الرمز الخاص بالموضوع الأكبر الذي يضم كل هذه الموضوعات، وهو «الفيزياء». وكثيراً ما يصادف المصنف أمثال هذه الحالة عند قيامه بتصنيف الكتب الدراسية.

٦ ـ في حالة الموضوع الذي يصف موضوعاً آخر، صنف الكتاب تحت الموضوع الموصوف.

فإذا صادفت كتاباً في «الجيولوجيا الهندسية» فالأمر الطبيعي أن يصنف تحت الموضوع «جيولوجيا» وليس تحت الموضوع «هندسة».

٧ ـ عندما يعالج الكتاب موضوعا محدودا بمنطقة جغرافية، صنف أولاً تحت الموضوع. (راجع رقم ١٠).

والأمثلة على ذلك عديدة ولنأخذ منها كتاباً بعنوان «الفكر الاقتصادي في الحضارة الأوربية»، إذ يجب أن يصنف تحت الموضوع «اقتصاد»، أولاً، ثم يتبع بعد ذلك بالرمز الدال على المنطقة الجغرافية «أوربا».

٨ ـ عندما لا تجد مكاناً لموضوع الكتاب المراد تصنيفه في جداول التصنيف اختبر اقرب مكان له في الجداول وضعه فيه.

كثيراً ما يواجه المصنف صعوبات ناجمة عن عدم وجود مكان لموضوع كتابه في جداول التصنيف، كأن يتناول الكتاب موضوعاً حديثاً جداً لم تفسح له خطة التصنيف مكاناً بعد، أو يعالج فكرة أو ظاهرة أو موضوعاً بتخصيص شديد. هنا يحتاج المصنف إلى البحث عن أقرب مكان «مناسب» لموضوع الكتاب. ويقتضي الأمر أن يكون المصنف في مثل هذه الحالات ملماً الماماً كافياً بالمجال الموضوعي للكتاب.

٩ ـ في تحديد ترتيب العناصر في السلسلة، ثمة قاعدة أساسية هي أن اشكال التقديم تتفرع دائماً من العناصر الموضوعية. مثال ذلك: قاموس للموسيقى فيأخذ السلسلة: الفن ـ الموسيقى ـ القواميس، وتأخذ مجلة الاقتصادي السلسلة: الاقتصاد ـ الدوريات. وكتاب مواصفات للأوعية الخشبية: التعبئة ـ الأوعية الخشبية ـ المواصفات.

١٠ ـ ربما كانت مشكلة وصف الموضوع بالمكان أبرز المشكلات في هذا المجال، وفي مرادفة ـ في الحقيقة ـ لمشكلة تاريخ الموضوع، لأن المعالجة المحلية (المكانية) هي ببساطة تاريخ معاصر مقصور على بقعة مكانية معينة.

آ ـ من الناحية العملية يسجل المكان والزمان في نهاية العناصر، الموضوعية، ولا يأتي بعدهما إلا أشكال التقديم إن وجدت.

ب ـ يعطى تصنيف الكونجرس ـ بطريقة مشابهة ـ موضوع الحد الأدنى للأجور في فرنسا السلسلة: الاقتصاد ـ الأجور ـ فرنسا (ويخفق في تخصيص الحد الأدنى للأجور) وليس الاقتصاد ـ الأجور ـ الحد الأدنى للأجور ـ فرنسا. ننصح المصنف بأن يسجل المكان أخيراً. ففي معظم الخطط لا يسمح بناء الخطة بتخصيص السلسلة الكاملة للموضوع إلا إذا سجل المكان في مثل هذه الموضوعات في النهاية. ففي التصنيف العشري يسهل تخصيص: علم المكتبات ـ المكتبات العامة ـ بريطانيا ولكن لا يمكن أن يخصص علم المكتبات ـ بريطانيا ـ المكتبات العامة.

جـ ـ على أي حال، ينبغي أن نلاحظ أن المكان له دعوى قوية في عدد من الموضوعات باعتباره الوجه الأول فيها. وفي الخطط (مثل التصنيف العشري العالمي، التصنيف الببليوجرافي، التصنيف الموضوعي أحياناً) التي يمكن أن يتأثر تسجيل المكان فيها في أجزاء مختلفة من السلسلة ينبغي أن يكون المصنف على دراية بهذا. مثال ذلك: في علم السياسة، يعامل تصنيف الكونجرس المكان على أنه الوجه الأول ويجمع كل مظاهر النظام السياسي في قطر ما في مكان واحد (باستثناء الحكومة المحلية).

د ـ في عدد من الكتب، يعامل الموضوع في اطار من الظروف المحلية بدون أن تذكر هذه الحقيقة في العنوان، أو حتى في النص الرئيسي. وانما تؤخذ على أنها شيء مسلم به. مثال ذلك: البغاء والقانون، فمن المقطوع به أنه يعني القانون البريطاني.

١١ ـ تقسيمات العصور في نطاق قسم التاريخ أو أي موضوع آخر يثير أمام المصنفين مشكلة عسيرة الحل، ترجع إلى اختلاف العصور التي يختارها الكتاب لكي تكون موضوعاً لكتبهم. وتخصص العصور في معظم الخطط بجعل فترات حكم الملوك ورئاسة الرؤساء، الخ. وحدات للتقسيم الزمني. ولسوء الحظ فإن الكتب تكتب حول عصور تتداخل مع هذه العصور، والمشكلة هي أن نحافظ على الترتيب الزمني (ترتيب العصر المتقدم في البداية)، والمحافظة في نفس الوقت على تناقص المشمول. مثل ذلك: في التصنيف العشري تحت تاريخ انجلترا (١٩٤٢):

٠٧٣	جورج الثالث	١٧٦٠ - ١٨٢٠
٠٧٥	جورج الرابع	١٨٢٠ - ١٨٣٠
٠٧٥	وليم الرابع	١٨٣٠ - ١٨٣٧

١٢ ـ ثمة خطأ شائع في التصنيف هو تصنيف مؤلف العمل وليس موضوعه. مثل: مجموعة من المقالات عن موضوع معين اختيرت من دورية بريطانية مشهورة فصنفت تحت الدوريات البريطانية (٠٥٢ في التصنيف العشري). وصنف تقرير عن معرض للفن الأمريكي الحديث تحت القاعة التي تشرف على المعرض (٧٠٨,٤٢١ في التصنيف العشري). وصنف عمل فرنسي عن تاريخ الحضارة وحقوق الانسان تحت الفلاسفة الفرنسيين المحدثين لأن مؤلفه فيلسوف.

١٣ ـ يمكن ذكر القواعد التالية، إضافة إلى القواعد السابقة:

ـ الترجمات، كتب الوصف، المفاتيح، التحليلات، الاجوبة، والكتب الاخرى التي تتناول الكتب المخصصة، تصنف مع الكتب الاصلية.

ـ الكتب التي تتناول مكاناً ما أو شخصاً ما، حادثة أو موضوعاً ما:

(أ) صنف السير الشخصية التي تكون جزاء لا ينفصل من حادثة موضوع محدد معروف واضح، مع حادثة الموضوع.

(ب) صنف التراجم المتصلة بالسياسة الخارجية.. الخ، أو زعماء الدول مع التاريخ.

(جـ) صنف التراجم التي تستخدم لوصف عصر ما، أو حادثة.. الخ، مع العصر.

(د) صنف وصف الأماكن المحددة التي تتصل بشخص ما تحت الشخص نفسه.

ـ الكتب التي تتناول موضوعات ـ مع اشارة خاصة إلى ـ قطر ما أو شخص ما أو أي مبحث، توضع تحت الموضوع المخصص اكثر من غيره.

ـ حينما يؤثر موضوع ما في آخر يعدل منه، صنف دائماً تحت الموضوع المتأثر الذي يكون دائماً اكثر تخصصاً.

ـ إذا عولج الموضوع من وجهة نظر خاصة، صنف مع الموضوع، إلا إذا كان الموضوع قد غير كل التغيير لأغراض منتفع خاص، مثل الرياضة البحتة لرجل الاقتصاد (٥١٠,٢)، ولكن كتاب: كيف تمرض مرضى العقول (٦١٦,٨) وليس في (١٣٢)، هندسة محلات العمل (٦٢١,٨)، ويشير ديوي أحياناً إلى تفضيله لمكان على آخر، مثل (٤٢٨,٢٤) للكتب الدراسية لتعليم اللغة الانجليزية للأجانب.

* * *

ثالثاً : تحديد موضوع الكتاب

من الواضح أن المصنفين لا يملكون الوقت لقراءة كل الكتب التي تضاف إلى رصيد المكتبة . ومن الواضح أيضاً أن عنوان الكتاب ليس في حد ذاته معلومات كافية عن الكتاب حتى يمكننا من تقرير موضوعه . لذلك ينبغي على المصنف أن يستعين بالوسائل المختلفة التي تساعده على تقرير موضوع الكتاب . وقد يتطلب الأمر أن يستخدم أكثر من وسيلة للوصول إلى هدفه ، وأهم هذه الوسائل هي :

١ ـ العنوان : يدل العنوان عادة على ماهية الموضوع . ولكن على المصنف أن يحذر دائماً العناوين المضللة ، أو التي تحتوي على تشبيهات أو استعارات . لهذا فإن تقرير موضوع الكتاب يتطلب الذهاب إلى ماهو أبعد من قراءة صفحة العنوان . ومن العناصر المفيدة في هذا المقام : العنوان الفرعي ، السلسلة ، المعلومات عن المؤلف وحقل تخصصه أو دراسته .

قائمة المحتويات : أفضل دليل إلى الموضوع الحقيقي للكتاب ، فإذا لم توجد قائمة محتويات فإن عناوين الفصول تفيد في التعرف على محتويات الكتاب .

٣ ـ المقدمة : من الحكمة أن يقرأ المصنف مقدمة المؤلف لمعرفة وجهة نظره من تأليف كتابه .

٤ ـ الكشاف : إذا كان الكتاب مزوداً بكشاف ، فسوف يكون هذا دليلاً نافعاً إلى محتوياته ، وإلى الأهمية النسبية لكل موضوع . ويشتمل الكشاف على اسماء الموضوعات التي وردت في الكتاب مرتبة هجائياً ، إلا أن كتباً عربية كثيرة قد تفتقر إلى مثل هذا الكشاف .

٥ ـ نص الكتاب : عندما يفتقر الكتاب إلى العناصر السابقة ويتعذر معرفة موضوعه ، فلا مفر من قراءة أجزاء من الكتاب أو فحص نصه فحصاً دقيقاً .

٦ ـ مصادر الكتاب : وهي المراجع التي استخدمها المؤلف اثناء الكتابة ، وقد تعكس هذه المراجع صورة عن الموضوع .

٧ ـ كتب المراجع: إذا اخفقت كل الطرق السابقة تفحص الببليوجرافيات التي يمكن الاعتماد على سلامتها (الفهارس المصنفة والمشروحة، قواميس التراجم، تواريخ الآداب، دوائر المعارف العامة، كتب الوصف.. الخ)، للحصول على معلومات عن نوع الكتاب، والفهارس والببليوجرافيات مفيدة بالنسبة للكتب القديمة، وبالنسبة للكتب الاحدث هناك مراجع النقد.

٨ ـ المادة الموضوعية: تقدم التوضيحات والخرائط ـ غالباً ـ مفتاحاً يرشدنا إلى المادة الموضوعية الاساسية، ولا يصح اغفال ملحوظات الناشرين، والمقتطفات المأخوذة من كتب الوصف، وما شابه ذلك مما يمكن أن يوجد على أغلفة الكتب الجديدة.

٩ ـ آراء المتخصصين: ينبغي استشارة آراء المتخصصين عندما تفشل كل الوسائل السابقة في امداد المصنف بما يساعده على التعرف على موضوع الكتاب.

وعلى المصنف ـ فيما يتعلق بتحديد موضوع الكتاب ـ أن يقرر أيضاً ما يلي:

١ ـ موضوع الكتاب

٢ ـ مكان ذلك الموضوع في تسلسل الأقسام في نظام التصنيف.

٣ ـ ترجمة الموضوع إلى الرموز المناسبة (رقم التصنيف). وقد لا يتطلب هذا الأمر أكثر من نسخ رقم تصنيف موجود في النظام؛ أو قد يستدعي تركيب رقم التصنيف.

إن البند الأول هو أصعبها جميعاً، إذ أن عدم القدرة على تحديد الموضوع ستتسبب في أخطاء كثيرة. ولذا فإن المعرفة العامة السليمة أساسية وضرورية للمصنف. وكثيراً ما يقال أن أولى قواعد التصنيف العملي هي أن تصنف الكتاب في المكان الذي سيستفاد منه فيه أكثر. ومثل هذا المكان هو المحتوى الموضوعي للكتاب دون اعتبار يسبق ذلك للمتغيرات الأخرى، مثل الشخص الذي كتب الكتاب من أجله. فكتاب علم النفس للممرضات مثلاً هو كتاب علم النفس وليس كتاب تمريض رغم أنه قد يتضمن أمثله مختارة ويهتم بجوانب من علم النفس تنطبق بوجه خاص على التمريض. ونخلص من هذا الى أن علينا أن نصنف ا لكتاب في المكان الذي سوف تكون فيه ذات فائدة دائمة وليس في مكان تخدم فيه حاجة مؤقتة.

وبعد تحديد الموضوع لابد من البحث عن مكان هذا الموضوع في التسلسل الموضوعي في نظام التصنيف. وهذا يعني:

تحديد القسم الرئيسي ـ وهنا لا بد من الاهتمام بالزاوية الخاصة التي بحث منها الموضوع؛ علماً بأن معظم المواضيع لا تمثل مفاهيم مفردة بل أفكاراً مركبة من عدة عناصر.

ولتوضيح ذلك نورد الأمثلة التالية:

زراعة قصب السكر.

تكرير السكر

القيمة الغذائية للسكر.

السكر في الطهي.

التنظيم الاقتصادي لصناعة السكر.

فرغم ماهو باد من الترابط بينها نتيجة لاحتوائها جميعاً لعبارة «السكر» إلّا أن كلاً منها يقع في مكان مختلف في تسلسل نظام التصنيف، إذ هي على التوالي: الزراعة ـ الصناعات الكيميائية ـ الغذاء ـ طهي الطعام ـ الاقتصاد. وهذا كله يدعو إلى ضرورة فهم المصنف لنمط التسلسل العام بدقة.

ـ تحديد الصلات الجانبية ـ تبرز بعض المواضيع المعقدة أحياناً بعض الصعوبات تتطلب تحديد العنصر الأول منها. ومن هذه الصعوبات مايلي:

أ ـ علاقة التأثير ـ إذا كان ثمة عملان في الكتاب يؤثر أحدهما على الآخر فصنف تحت العمل الذي يقع عليه التأثير. (راجع القواعد).

ب ـ مسألة التحيز ـ أي أن يكون هناك عمل كتب لفئة معينة مثل الإحصاءات الطبية والتي تصنف مع الإحصاءات وليس مع الطب.

جـ ـ مسألة الأداة ـ أي أن يكون هناك عملان أحدهما استعمل كأداة أو أسلوب لبحث الآخر، فيكون التصنيف تحت الموضوع الذي استخدم الأداة وليس تحت الأداة أو الأسلوب. مثال: تاريخ مصر من القرآن الكريم، هو كتاب في تاريخ مصر وليس في الدين الاسلامي.

بعد ملاحظة النقاط السابقة قد يتكشف للمصنف القسم الرئيسي حتى قبل أن يبحث في الجداول. إلا أنه لايجوز إهمال هذه الجداول خاصة وأنها تتضمن ملخصات ونبذاً عن المواضيع قد تساعد على معرفة القسم الرئيسي. وللكشاف هنا أهمية كبيرة خاصة إذا واجه المصنف موضوعاً معقداً لايتضح قسمه الرئيسي بسرعة. ولاحاجة بنا إلى تأكيد أهمية مراجعة التسلسل الكامل في الجداول لأن معنى المصطلح في التصنيف يتحدد خلال تسلسله، فعلى المصنف أن يراجع كل رأس موضوع في السلسلة من أول القسم الرئيسي تنازلياً حتى يتأكد من صحة بقية السلسلة.

٣ ـ تحديد القسم المحدد ـ بعد أن يحدد المصنف القسم الرئيسي فإن الخطوة التالية

هي استخراج بقية السلسلة الصحيحة للموضوع ـ أي الخطوات المتتابعة للتقسيم من القسم الرئيسي إلى القسم المحدد. وهناك ثلاث حالات مختلفة:

أ) إذا كان نظام التصنيف من النوع التحليلي التركيبي فإن ما يصادفه المصنف هو بيان بالتركيب الذي عليه أن يسجل فيه أوجه الموضوع المركب. والنظام الذي يفعل ذلك هو نظام التصنيف التوضيحي الذي وضعه رانجاناثان. أما أنظمة التصنيف الأخرى فلا تتبع ذلك إلاّ في بعض الحالات التي عندها إرشادات وتعليمات توجه المصنف إلى طريقة التركيب المطلوبة.

ب) قد يعرض نظام التصنيف صيغة لترتيب الأوجه بصورة ضمنية وذلك بحصر الموضوعات المركبة وذكر الإرشادات والتعليمات.

جـ) لاتكون هناك أية صيغة لترتيب الأوجه مباشرة كانت أو ضمنية. وفي هذه الحالة على المصنف أن يكون متنبهاً ويعمل على تطبيق المبادىء النظرية للتحليل الوجهي (أو تطبيق الخصائص). والمبادىء التي يستأنس بها هي:

١ ـ تطبيق مبدأ تناقص المحسوسية أن تسجل عناصر الموضوع في ترتيب يتبع مبدأ تناقص المحسوسية، مثال ذلك: في الزراعة المحصول قبل العملية، في تكنولوجيا النسيج، المادة قبل العملية، في علم المكتبات المكتبة قبل المادة والمادة قبل العملية، في فقه اللغة، اللغة قبل المشكلة اللغوية. وعلى هذا الأساس فإن الكتاب الذي يتناول تخزين محصول البطاطس سوف يذهب تحت فلاحة البطاطس، وليس تحت طرق التخزين في الزراعة.

٢ ـ تطبيق مبدأ تناقص الأهمية: ويتحدد هذا عن طريقة دراسة وتعليم الموضوع ـ وهو مبدأ الاصطلاح، اللغة قبل المشكلة اللغوية في فقه اللغة، النظام القانوني قبل المشكلة القانونية في القانون.

٣ ـ تطبيق مبدأ الغرض أو الهدف: ويتحدد هذا في ترتيب يضع العامل الذي يمثل الغرض أو النتاج النهائي في الموضوع أولاً، والوسيلة التي تسهم فيه في النهاية. مثال ذلك: المحصول قبل العملية في الزراعة، اللغة قبل المشكلة في فقه اللغة.

ومهما كان المبدأ المطبق فإن على المصنف أن يكون على دراية بالأوجه والخصائص العاملة في نطاق القسم، وأن يعكس قراره مبدأ تجميع المواضيع معاً وفقاً لدرجة الترابط بينها. ولتوضيح ذلك نأخذ المثال التالي:

منازل غرناطة في عهد بني الأحمر.

فالعناصر هنا هي منازل ـ غرناطة ـ عصر بني الأحمر فإذا خلا نظام التصنيف من

توجيهات حول ترتيب عناصر (أوجه) هذا الموضوع فإن على المصنف أن يختار الترتيب الذي يكون أكثر فائدة للقراء: هل هو الطراز المعماري والمبنى ـ والمكان.

وهذا يقتضي بأن يكون المصنف على دراية ووعي بالسبب الذي من أجله تصنف الوثيقة في مكان معين. كما أن تحليل الموضوع إلى عناصره أو أجزائه مسألة حيوية تساعد المصنف في تحديد المكان الصحيح في التصنيف.

٤ ـ تطبيق الرمز على الموضع: وهذا الأمر قد لايتعدى عملية نسخ رقم التصنيف من الجداول، كما هي في حالة موضوع مثل الكيمياء العضوية أو الجيولوجيا الاقتصادية أو تاريخ الأردن. إلّا أن هناك حالات تستدعي تركيب أرقام التصنيف من عناصر أبسط. ويقوم بهذه العملية المصنف نفسه. ولنأخذ مثالاً على ذلك:

اقتصاديات صناعة الفوسفات في الأردن.

هذا المثال فيه العناصر التالية:

اقتصاد ـ صناعة ـ الفوسفات ـ الأردن.

والعنصران الأولان قد يكونان محددين في جداول التصنيف حيث نجد هناك أيضاً تعليمات بأن نقسم مثل قسم الصناعة والذي هو وارد في مكان آخر من الجداول. ولذا نستعير الرقم الخاص بالفوسفات من هناك. ثم نرى ماذا لدى النظام من تعليمات حول إضافة الرمز الدال على المكان، فإن كانت هناك تعليمات نتبعها بعد استعارة رقم الأردن من مكان آخر في الجدول (أو من جداول مساعدة في معظم الأنظمة). وعليه نكون قد ركبنا رقم التصنيف المطلوب بإضافة جزأين إلى الرقم الأصلي من أماكن مختلفة من الجداول.

***

المحتويات

* * *

صدر للناشر

الدكتور ماجد علاء الدين

١ ـ «عائد إلى حيفا» تأليف: غسان كنفاني.
ترجمه إلى الروسيه ١٩٧٤

٢ ـ «الضفدعة السائحة» قصة للأطفال ـ عارسس.
ترجمة إلى العربية ١٩٧٥

٣ ـ «أكتوبر وحركة التحرر الوطني» ـمجموعة مؤلفين.
ترجمه إلى العربيه ١٩٧٥

٤ ـ «الأقصوصة السوفييتية المعاصرة» ـتأليف وترجمة
طبعه أولى ١٩٨٣ دمشق
طبعة ثانية ١٩٨٤ دمشق
طبعه ثالثة ١٩٨٥ دمشق

٥ ـ «الواقعية في الأدبين السوفييتي والعربي» تأليف.
١٩٨٤ دمشق

٦ ـ «كمب ديفيد: سياسة مصيرها الفشل» تأليف: فومس وزاخاروف.
ترجمة إلى العربية
طبعة أولى ١٩٨٤ دمشق
طبعة ثانية ١٩٨٥ دمشق

٧ ـ «مغامرات بوراتينو أو المفتاح الذهبي» تأليف: الكسي تولستوي قصة للناشئة.
ترجمة إلى العربية ـدمشق ١٩٨٥

٨ ـ «المرآة والقرد» شعر قصصي للأطفال ـتأليف: إ. كريلوف.
ترجمة إلى العربية ـدمشق ١٩٨٥
الصياغة الشعرية: مريم خير بك

٩ ـ «الوقواق والديك» شعر قصصي للأطفال ـتأليف: إ. كريلوف.
ترجمة إلى العربية ـدمشق ١٩٨٥
الصياغة الشعرية: مريم خير بك

١٠ ـ «الذئب والثعلب» شعر قصصي للأطفال ـتأليف: إ. كريلوف.
ترجمة إلى العربيه ـدمشق ١٩٨٥
الصياغة الشعرية: مريم خير بك

١١ ـ «مختارات من الشعر الروسي» ـترجمة وإعداد ـ دمشق ـ ١٩٨٠
الصياغة الشعرية: مريم خير بك
صدرت عن دار طلاس للنشر
١٢ ـ «البلدان النامية والعلاقات الاقتصادية الخارجية» ـتأليف: إ. بورساتيكوف.
ترجمة إلى العربية ـدمشق ١٩٨٥
١٣ ـ «تيمور وفريقه» ـقصة للناشئة ـ تأليف أركادي غايدار.
ترجمة إلى العربية ـدمشق ١٩٨٦
٢ ـ «الأخوة كينيدي» ـتأليف: أ. غروميكو
ترجمة إلى العربية بالاشتراك مع شحادة العبد المجيد

قيد الطباعة:

١ ـ «ملحمة العصر» ـ مجموعة شعرية ـ سافرونوف.
ستصدر ضمن منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين
٣ ـ «الرموز المقدسة» ـمجموعة شعرية ـتأليف: ن. ريريخ
ترجمة إلى العربية
٤ ـ «ابن سينا والعلوم الطبية» ـتأليف: اسحاقي
ترجمة إلى العربية بالاشتراك مع شحادة العبد المجيد
٥ ـ «المدارس والاتجاهات الأدبية» ـتأليف.
٦ ـ «غاغارين في القلب» ـمذكرات والدة غاغارين.
ترجمة إلى العربية بالاشتراك مع شحادة العبد المجيد
٧ ـ «الصهيونية العالمية في خدمة الامبريالية» ـتأليف: ماجوريان
ترجمة إلى العربية بالاشتراك مع شحادة العبد المجيد

مراجعة وتدقيق:

١ ـ «ستالينغراد.. ملحمة العصر» ـمذكرات المارشال تشويكوف.
ترجمة: محمد عدنان مراد ـدمشق ١٩٨٦
٢ ـ «قصص من حياة دوستويفسكي»
ترجمة: محمد بدرخان
٣ ـ «الروح المتمردة» ـتأليف: م. ليرمنتوف
ترجمة: محمد بدرخان